السيّدة حليمة شبّر
حرم الشهيد الخطيب جواد شبّر

عام ونصف قضيته في سجون النجف

كتّاب مشاركون
السيّدة هيفاء شبّر - السيّد صلاح شبّر
السيّدة نداء شبّر - السيّدة سلوى شبّر

دار المحجة البيضاء

السيدة حليمة شُبّر
حرم الشهيد الخطيب جواد شُبّر

عام ونصف قضيتهُ في سجون النجف

عام ونصف قضيتهُ في
سجون النجف

السيدة حليمة شبّر

حرم الشهيد الخطيب جواد شبّر

كتاب مشاركون: السيدة: هيفاء جواد شبر

السيد: صلاح جواد شبر

السيدة: نداء جواد شبر

السيدة: سلوى جواد شبر

الإهداء

(اللهم تقبل منا هذا القربان......)

صرخة أطلقتها بطلةٌ ما... وهي في لهيب المعركة..

لتلك المرأة أهدي كتابي...

أتمنى أن تتقبله مني، بضاعةً مزجيةً....

وإلى زوجي الكبير الخطيب الشهيد

جواد شبر.....

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

مشهدٌ متحركٌ

في سجنها كانت تختار أن تقترب من الخالق العظيم، عندما يجنّ الليل فتنسل إلى محرابها لتخاطب بارءها، وتشكو له ما أصابها من نصب ألم. .

- **واحزناه. . . . . نفيتموه عني طويلاً، وأهديتموه إليّ قتيلاً. . . فأهلاً وسهلاً بمن كنت له غير قالية. . وأنا له اليوم غير ناسية. . . . .**

كانت هذه كلماتها عندما وضع السجان رأس زوجها في حجرها وهي في آخر ركعة من ركعات التسبيح. . . فلم يكن منها بعد أن ناجت رأس زوجها بذلك النداء الرسالي إلّا أن تقول للسجّان بأن يذهب إلى الجلاد الكبير (معاوية) ليقول له:

- **أيتم الله ولدك. . . . وأوحش منك أهلك. . . . ولا غفر لك ذنبك. . . . .**

أمر الجلاد الكبير أن تحضر في مجلسه. . .

- **يا عدوة الله ءأنت قلت ذلك. . ؟ سألها. . .**

- **نعم وأنا غير نازعة عنه، ولا معتذرة منه، ولا**

منكرة له.. فلعمري لقد اجتهدت في الدعاء إن نفع الاجتهاد.... وان الحق لمن وراء العباد.... وما بلغت شيئاً من جزائك، وان الله بالنقمة من ورائك...

وجلس متزلف رخيص في مجلس ذلك السلطان المتجبر فقال له: ما كان زوجها بأحقّ بالقتل منها.. فأجابته قائلةً..

- **تباً لك... أنت تدعوه إلى قتلي كما قُتل زوجي بالأمس..** ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: ١٩].....
- **لله درك (قال السفاح الكبير) اخرجي لا أريدك في الشام أبداً...**
- **وأبي لأخرجن.. فما من الشام لي بمجيب، ولا أعرج فيه على حميم، وما هي لي بوطن، ولا أحس فيها إلى سكن، وما قرّت فيها عيني...**

فخرجت إلى حمص فماتت من الطاعون.

الشخصيات: الزوج الصحابي الجليل عمرو بن الحمق الخزاعي (ت50/ 670 م) هرب من يد الطغاة فاعتقلوا زوجته المرأة العظيمة آمنة بنت الشريد الثقفية إلى أن يعود زوجها. بعدها قتلوه في المواجهات وجيء برأسه، فأمر الحاكم السجّان أن ينتقي فرصة مؤاتية كي يرمي رأس زوجها على حين غرة في حجرها....

الفصل الأول

إصبع (خايس).........

تعاون رجال الأمن على رفعي عن أرضية الشارع، ورميي في داخل السيارة التي كانت تضم في المقدمة عنصراً معروفاً في أمن النجف اسمه (أبو سعد)، وكان شخصية ساديّة مُجرمة، جلّ همها إثبات ذاتها عن طرق المزيد من التعذيب والقسوة وشدة التعامل مع المعارضين السياسيين والدينيين. . . . وكان بجانبه سائق قد ارتدى ملابس مدنيّة ولف رأسه بكوفيّة حمراء لا يظهر من وجهه إلّا عينيه، في الوقت الذي كان يمسك بيد أبي سعد وهو يحاول أن يمنعه من أن ينطق بأي كلمةٍ بذيئة أو قاسية تجاهي، أو أن يقوم بضربي كما هي الطريقة التي تتم مع الآخرين من المعارضين السياسيين عند اعتقالهم من بيوتهم وهم في طريقهم إلى مديرية الأمن، حتى إذا ما وصل إلى المخفر فإنه يكون قد وصل إلى مرحلة الانهيار.

كان ذلك في أواسط شهر نيسان أبريل من عام 1984. . . . فقد اتصلوا قبلها بيومين يريدون مقابلتي في البيت، فأخبرتهم ابنتي التي كانت إلى جنبي[1] بالقدوم غداً عصراً، وفي تلك اللحظات من الانتظار وفي اليوم التالي تجمعت بعض النسوة من الجيران في انتظار الحدث المقابلة علّهن

(1) السيدة نداء جواد شبر مواليد 1958، تعمل اليوم مستشارة في رعاية مجلس مؤسسة الشهداء.

يُساعدنني في الحديث مع عناصر الأمن. . . . . . . ولكنهم لم يأتوا في الموعد المحدد، وقد أعادوا الكرّة مرات عدّة ولم يأتوا، وفي إحدى المرات، وبعد أن غادرت النسوة إلى بيوتهن، طُرق الباب بحدود الساعة الرابعة عصراً، وإذا برجل أمن يرتدي زيّاً مدنيّاً يرافقه شخص آخر يبدو من ملامحه بأنه من أعالي الفرات قال بأنه أبو سعد كما عرّفنا عن نفسه.

لبست حجابي وعباءتي ثم فتحت له الباب وقدّمنا له قنينة من الكولا لم يشربها، أمّا مساعده فقد بقي صامتاً طوال فترة المقابلة. . . . . لففت نفسي كما هي طبيعة وشكل الحجاب(1) الذي كنا وما زلنا نرتديه، وجلست أنا وابنتي التي كانت قد رزقت بمولود جديد (مصطفى)(2). بادرنا الرجل بنوع من التهكم. . . .

- هل هنالك من يضايقكم. . ؟

- لا أبداً. . . . أجابت ابنتي.

- إذا سمعتم عن أي شخص يريد مضايقكم، أو أراد ابتزازكم أخبروني وهذا تلفوني. . .

- ليس هنالك من يريد ذلك، ومشكلتنا هو مصير الوالد الذي اعتقلتموه قبل سنة ونصف. . . . فنحن نريد أن نعرف أخباره وأين هو. . . . أجابته ابنتي.

(1) تغطي المرأة نفسها بعباءة طويلة سوداء فضفاضة، ثم إما تغطي وجهها بقطعة سوداء أخرى (البوشية) أو تُحكم تغطية أجزاء كثيرة من الوجه ماعدا العينين بجزء من العباءة. وهو الزي الذي تلتزم به معظم النساء من بيوتات العلماء سواء أكان في النجف أو خارجه.

(2) مصطفى الآن عمره 31 سنة، وهو معوق من الولادة، بسبب الظرف القاسي الذي واجهته العائلة أثناء فترات الحمل، وهذا الشاب ذكي جداً وذو مواهب في الرسم والفن. أقام أكثر من معرض فني في الرسم بالكومبيوتر.

- ها. . . .ها. . . الوالد السيد جواد شبر. . أليس كذلك. . ؟

- نعم والدنا. . أجابت ابنتي. .

صمت هنيهة، كمن يبحث عن مُدية أو نصل حاد لكي يذبح به فريسته التي وقعت بين يديه على حين غرّة وفي غفلة من زمن الوطن وضعف الهمة. . . . . فكان يفكر كيف يلتهم فريسته التي هي بيده الآن مع استمرار لبوسه ملبس الصالحين الخيّرين. . . .

- جواد شبر. . . . نطقها ببطء.

- نعم أبونا الخطيب جواد شبر، نسألك عنه إن كنت تعلم عن مصيره. . ؟

- أنسوه. . . . .أجاب بسخرية

- أنسوه. . . صاحت ابنتي في وجهه، وصحت أنا بأعلى صوتي انسوه ماذا تعني، هل هنالك من ينسى أباه أو مربيه أو ملهمه أو زوجه. . . فضلاً عن نوعيّة شخصية جواد شبر. . . ؟

- أنسوه قلت لكم. . . .

- . . . .

- **إصبع (خايس) قطعناه. . . . . . .**

- ماذا تعني (إصبع خايس). . . ؟ ألا تعي ما تقول. . . ؟

- تماماً هذا ما أقوله. . . . لقد قتلناه. . .

نزل الخبر نزول الصاعقة على رأسي وعلى مشاعري، وحاولت أن أوحي لنفسي بأنه يريد إضعافنا لكي يبتزنا من أجل الحصول على المعلومة التي جاء من أجلها. . . فقد كان يدور في خلدي بأنه جاء لتقصّي هروب

ولدي الأصغر[1] من الجيش العراقي في حربه ضدّ إيران[2]، فكنت اعتقد بأنهم يريدون ابتزازي لمعرفة مكانه، وفيما إذا كان مختبئاً في البيت أو في مكان آخر[3]. . . ثم فكّرت بما أجيبه وبأي لغة أواجهه، وكانت ابنتي تنفعل بين الفينة والأخرى وهي تجمع قطرات الدمع التي بدأت تمهمر من بين جفنيها، محاولة إخفائها لكي لا يكون ذلك عامل ضعف في صراع المواجهة فيتمكّنون من الحصول على مطلبهم. . . . . . وكنت في ذلك الوقت وكأن الله ثبّت على قلبي في الاعتقاد بأنّ الخبر غير صحيح وأنّ ما قاله فقط كان لإضعاف نفوسنا.

- إذا كنتم قد قتلتموه أين هو حكم الإعدام. ؟. . سألته نداء.
- ربما سيصلكم خلال أيام. . . أجابها بسخرية.
- وهل هنالك محاكمة لإعدامه. . ؟ أم نحن في دولة وحوش. . . . !!
- أنتم تعرفون لماذا قتلناه. . .

(1) وهو الخطيب المعروف السيد محمد أمين شبر مواليد 1957 الذي كان قد انسحب تواً من الجيش (الجبهة) والتحق بالثوار في شمال العراق أولاً، ثم قاتل نظام صدام المتفرعن في معارك الكر والفر بين قوات النظام والمقاتلين الإسلاميين.

(2) أطلق عليها حرب الخليج الأولى، مع أن صدام كان قد سماها باسمه (قادسية صدام)، بينما عرفت في إيران باسم (الدفاع المقدس). . . استمرت من سبتمبر 1980 حتى أغسطس 1988، أطول حرب في القرن العشرين، وخلّفت أكثر من مليون قتيل، وخسائر مالية بلغت 400 مليار دولار أمريكي، وواحدة من أكثر الصراعات العسكرية دموية، أثّرت الحرب على المعادلات السياسية لمنطقة الشرق الأوسط، وكان لنتائجها بالغ الأثر في العوامل التي أدت إلى حرب الخليج الثانية والثالثة ثم ظهور ما يمسى (بالمارد الشيعي). أنظر في ذلك: http://en.wikipedia.org/wiki/Iran%E2%80%93Iraq_War.

(3) أصدر النظام العراقي عقوبة الإعدام لمن يرفض الالتحاق بالحرب ثم تعليق جثته على باب داره أو وضع لوحة يكتب عليها عبارات نابية عن ذلك الشخص (أنظر وثيقة رقم 1).

- لا أبداً لا نعلم. . . . . . فهو خطيب موجّه لعمل الخير، مُبلّغ إلى جادّة الوطنية وخدمة آل البيت وأهدافهم في بناء المجتمعات. . . .

- هذا ما تقولونه أنتم. . . فالخائن يجب أن يُقتل. . . . .

- لا أدري ما أجيبك. . قلت له. . أخبرنا فقط بالحقيقة وأترك بقية الآلام علينا. .

- هذا هو ما أخبرتكم به، وإياكم أن نسمع منكم صائحة أو نائحة أو ما شابه، فعندها ستواجهون مصيراً أسوداً لا يختلف عن مصيره.

- لا أعتقد بكل ذلك، وأنني أريد إثبات شهادته إن استشهد. . . .

- أكتب. . أكتب. . . . توجه إلى مساعده الشاب قائلاً له: أنهم يريدون شهادة وفاة. . . .

- متى أتوقع جوابك. . ؟. . سألته نداء. . .

- هذا تلفوني، إن تأخرت عليكم بالخبر اتصلوا بي. . . . فكما أخبرتكم لا أريد لكم المزيد من المتاعب، فأنا ناصح أمين وأنا أحترم السيد جواد شبر. . . . . .

غادر الرجل الجلواز الدار بعد أن منعنا من أن نصل إلى الباب الخارجية وقال لنا لا تقتربوا من الباب فهذا ممنوع عليكم إلا بعد مغادرتي. . . . . .

جلست أنا وابنتي ننظر لبعضنا البعض في حالة صمت جنائزيّة رهيبة، وفي ليل حالك كانت نجومه تتراقص فرحاً وهي تستقبل **عُرس الشهادة** في أعزّ مكان ولأعزّ إنسان، وفي تراجيديا كبرى تتعامل مع النفس، ومع المبدأ، على شكل رقصات تحبكها ملائكة الرحمن اللّاتي كُنّ على موعد مع شخصية كبرى من علم وفقه وقدرة وشجاعة ومعرفة وتجرّد.

بقيت متسمّرة في مكاني وأنا أراجع حديثه حرفاً حرفاً، بينما سارعت نداء إلى الغرفة المجاورة على صوت رضيعها الذي ربما أدرك عمق الموقف ومغزاه، فالرضيع يعلم أكثر مما نُدرك في لحظات الشدة، فهو يفهم بالبديهة ونحن ندرك بالأسباب.

خيّم علينا ليل ثقيل لا تختلف ساعاته عن ليل قد سبقه في عرصات كربلاء مع الفارق في الشخصية وفي الزمن وفي عمق المأساة، فلا أدري لماذا توجهت بصورة لا إراديّة إلى جهة الشمال إلى كربلاء أرض معركة الطف التي لا تبعد عن دارنا سوى 70 كيلو متر أو أقل منها بقليل، علّني استكشف ما يُخبئه الدهر لي وله (زوجي) في طموح غامر أن أمتلك ما احتملته سيدة الصبر في عمق الألم في صحراء ليس لها رسم أو رحم وفي ساعات مشابهة، وقد أرخى الليل سدوله على مأساة كبرى لم تكن شمس النهار الساطعة في الثاني عشر من تشرين الأول من عام 680 ميلاديّة، المصادف العاشر من المحرم 61 هجرية أن تخفيه أمام ضخامة الهدف وعملقة المستقبل.....

كان عمق الجرح حتى وإن كنت في داخلي استشعر بأنّه جُرح مُصطنع على ما قاله ذلك الجلواز، ولكنه نصف جرح، وأنصاف الجروح أحياناً بل دوماً هي أمضّ من الجرح ذاته، ولذلك قيل (والجرح يُسكنه الذي هو آلمُ) أو كما يقول الفلاسفة: العدم المحض خير من الوجود الناقص.. فمن الصعوبة أن تتصور عزيزاً أو حبيباً وهو يعاني بين الموت وبين عدمه، فالموت هي صورة ملائكيّة مرتبطة بالعلو والشموخ تقترب من صور العظام من آل البيت ومن الشهداء الصالحين الأوفياء، وهي نسخة مُقاربة لحالة الوجدان الرباني الذي يُبنى في نفوس عاشقي الشهادة، من الذين يحملون بُعداً حضارياً في تفهّم طريق الموت وعلاقته بالحياة ضمن معادلة يتخيلها

من يُدرك معنى معادلات الشهادة، كما يفهم التلميذ الذكي ماذا تعني معادلة الرياضيات.

لم أفق من تعلّق عقلي وجسمي بعالم كربلاء إلّا بعد أن اقتربت مني ابنتي وهي تقول لي. . . . أمي إن اعتقدت بأنّ جواد شبر قد مات فأنت واهمة، لأنّ الشهيد لا يموت ولن يموت ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]. . . . . حيّ في الدنيا والآخرة. . . . . فهو رجل الموت قبل أن يكون رجل الحياة، كما هو رجل المُثُل قبل أن يكون جسم المادة. . . . . . فالناس أحياناً يُخلقون كما يُراد لهم أن يكونوا، أو كما يُريدون هم لأنفسهم، تماماً مشابهٌ لأرزاق الحياة تتأتّى من قيمة رفعة النفس. . . **(إنما هي نفسي أروّضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الفزع الأكبر)**، فليس هنالك من قيمة لدنيا في جسم، وإنما هنالك قيمة من مُثُل في عقل وروح. . . . . إن الصعوبة والشجاعة والعزة تكمن في مقدرة الانسان على مقاومة الرغبات الدنيوية والشهوات الفانية، أما ما ينكب على حطام الدنيا فلا قيمة له، فكلّنا يملك مادة ولكن ليس كلنا يمتلك مُثُلاً وقيماً. . . .

بقيت الليل بطولة أتصفح نجوم السماء في ليل نجفي تحوّل في هذا الشهر من السنة إلى هبات من رياح تأتي من الشمال (كربلاء الطف) لكي تعجن بحباتها ما تحمله، وبما تمرّ عليه من أرض لطالما هبّت عليها نسمات وهي تحمل عناوين متعددة وصور متباينة. . . . . فطوبى لمن يفوز بصورة من صور الفهم الإيحائي والتجلّي الوجداني الذي يُحوّل كلّ ذرة من تلك الذرات إلى (مفهوم) و(عقيدة) و(ثورة) و(تضحية). . . . . فقد أشعلت مجرد ذكرى ليس (لحسين) وإنما (لجون)[1] أمة كاملة، بل أشعل شعباً بكيانه لكي

(1) مولى أسود لأبي ذر استشهد مع الحسين.

يقول لمن أريد لهم أن يستكينوا، بأن الاستكانة ليست من سنخيّة (حسين) و(جون). . . . . فأمة تملك حرفين من حروف الاسمين المذكورين كافية أن تُحوّل النار إلى ثلج ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا. . .﴾ [الأنبياء: ٦٩] وأن تُحوّل الهدوء إلى عاصفة هوجاء تُسقط عروشاً، وتُقيم دولاً وتبني مجداً.

أفقت على صوت آذان الفجر، صليت وانتحيت جانباً، بينما كنت أسمع صراخ الطفل حفيدي وهو يطلب غذاء أمه التي وجدت في نفسها بأنّ ذهاب أبيها هو انذارٌ بأن اقترب مفهوم **(اقتلوا أهل هذا البيت ولا تُبقوا لهم من باقية)**[1] فحاولت ابنتي أن تنتقل إلى شخصية الأم لا شخصية المضحيّة، فالأم أم والمضحية مضحية، والاقتراب الذهني من كلي المفهومين بينهما هنالك بون واسع جداً، لا يمكن تقريبه أو استيعابه لأنه أمر فطري، والفطرة قانون والقانون صارم.

فلئن سمعنا بأن هنالك من تنادي على ابنها وتنهره بقولها: **(قم وانصر الطيبين. . . أتُفجع فاطمة بولدها ولا أفجع أنا بولدي. . . .**[2]**)** هذا أمر

(1) البيان رقم (1) الذي أعلنه عمر بن سعد في يوم 12 اكتوبر من عام 680 المصادف الاثنين من سنة 61 هجرية عندما بدأت شرارة المواجهة على أرض الطف.

(2) هذا القول لأم وهب الكلبيّة (المسيحية) عندما قالت لابنها: قاتل دون الطيبين، فقال لها: الآن كنت تنهيني عن القتال، والآن جئت تقاتلين معي. . . .؟ قالت: يا وهب لا تلمني أن واعية الحسين كسرت قلبي، فقال لها: ما الذي سمعت منه. .؟ قالت: يا وهب، رأيته بباب الخيمة وهو ينادي: وا قلة ناصراه. . . . فبكى وهب بكاء كثيراً، وقال لها: ارجعي إلى النساء رحمك الله، فأبت أن ترجع ولم تطاوعه، وأخذت تجاذبه ثوبه وهي تقول: لن أدعك أو أموت معك. . . . (عشيرة كلب، هي عشيرة مسيحية كانت تسكن المثنى، منها أم يزيد بن معاوية ميسون التي طلّقها وهي حامل، فولدت بيزيد وهو عند أخواله المسيحيين، فربوه على الطريقة المسيحية في التعامل مع مفاهيم القتل، هذا بالإضافة إلى اهتمام معاوية الأب به باعتباره الشخصية التي لولاه لذهبت الخلافة إلى آخرين كثيرين).

أكبر من قدرة العقل البشري على استيعابه ما لم. . . ما لم يمتلك المشهد تجلياً يعيش خارج عالم الماديات والعواطف الانسانية المتعارف عليها.

جاء صباح جديد، وبيوم جديد في سلسلة تأريخ لم نتوقعه بعد أن كنت امتلك كامل الثقة بأنّ هؤلاء الأوباش من (بعث) الخسّة لن يجرأوا على قتل زوجي، فهو شخصية جماهيريّة كبيرة، غير مقتصرة على النجف أو العالم الاسلامي فحسب، وإنما هو شخصية إنسانية معروفة لدى أمم العالم خصوصاً أرباب الفكر والتأليف والمعرفة، لما أتحف به الإنسانية من عطاء ثري[1] تجاوز حدود المذهب، أما هؤلاء البعثيون فهم أجبن من أن يقتلوا السيد جواد شبر، وهو الشخصية التي كانت تعيش في رحم شعب العراق كلهم، في رحم كبيرهم وصغيرهم بسطائهم ومثقفيهم، فهو ليس عيّنة أو نُخبة، بل هو من الشعب يعيش آلامه ويتفاعل مع أحزانه، ويواصل فقيره ويواسي جريحه. .

فما من مجلس فرح أو مجلس عزاء إلّا وتجد للسيد جواد شبر فيها حضوراً. .؟ فالنجفيون فخورون بهكذا إنسان. . . . . فقد تحول إلى مأوى لأيتامهم وآلامهم وجراحاتهم ومناسباتهم، وهو الموقع الذي أراد الخطيب شبر أن يضع نفسه فيه، فكيف لحفنة من الأوباش الأوغاد أن تغتال شعباً بإنسان، فهل ذلك ممكن. . . .؟ نعم، فهمت الآن أن ذلك ممكنٌ على المدى القصير، ولكنه مستحيل في منطق السنن الإلهية في التأريخ **(وتستطيع أي بندقية يحملها جبان أن تقتل الإنسان)**، فمتى كان الموت وسيلة عدم

(1) عندما كنت مهاجرة في كندا أخبرني ابني الكبير بأن كتب السيد الشهيد زوجي محفوظة في مكتبات كندا الكبرى مثل مكتبة جامعة (تورنتو) ومكتبة جامعة (مكيل) في مونتريال فضلاً عن مكتبة الكونغرس الأمريكي.

للإنسان. . .؟ إن الموت أحياناً يكون إثراء للإنسان، أي جيل الإنسان، أو مسيرة المجتمع.

تكتّمنا على الخبر ولا ندري أين نذهب وكيف نتصرف، فكلّ أولادي الذكور ليسوا معي، وأقاربي من العائلة ليس من السهولة أن أشركهم بقضية ربما تجلب عليهم الكثير من الحسرات، فبقيت أنا وابنتي التي كانت معي معظم الوقت نجتر الأفكار اجتراراً، ونحسب لكلّ حركة من حركات الشارع حساباً، فنحن بين مُصدّق ومُكذّب. . . . فهل أن التراب قد وجد طريقة إلى جثمان الأسد الصهور. .؟ أم أنه لازال هنالك تحت قسوة سياط الجلادين. . .؟.

كانت كلّ حركة من حركات الشارع سيارة أو أقدام إنسان تنبئ لي بأنّها الصيحة. . . . . . صيحة وصول جثمان السيد الشهيد إلى باب الدار[1]، فكنت أراقب حركة الشارع وأتابع صرير محركات السيارات واقترابها من الدار، وخصوصا في أثناء الليل، وبعد أن يرخي الليل سدوله.

مرّ يومان، وفي اليوم الثالث في شهر نيسان من عام 1984 وبينما كنت أعدّ الطعام لابنتي في الصباح الباكر وأهيّئ نفسي للخروج لزيارة ضريح الإمام، وإذا بطارق على الباب. . . . . . تعجّبت من الأمر، وكنا نتشاءم من هذه الأوقات، وخاصة أوقات الليل لما مررنا فيها من موجات اعتقال للسيد ولأولادي منذ مجيء (البعث) إلى الحكم في العراق عام 1968. . . . . سارعت نداء إلى الباب، فوجدت أمامها نفس الشخص الذي جاء قبل يومين، وهو يقف على الباب مشمّراً عن ساعديه. . .سألها قائلاً:

(1) كان النظام عندما يقتل السجين يأخذونه في تابوت ثم يرمونه على باب الدار بعد أن يطرقون الباب ويطلبون منهم عدم الضجة أو البكاء.

- أين أمك . . ؟

- ماذا تريد منها . . ؟

- دقيقتين ونعيدها . . . مدير أمن النجف يريدها . . .

- مدير أمن النجف . . . !! ماذا تعني . . . إنّها أمراة مُسنّة، فإن أردتم أن تستفسروا عن أي شيء فها هي هنا . . . . أما الدقيقتان التي تتحدثون عنها فهذا أمر غريب . . . كيف تذهب أمراة معكم إلى المجهول .

- قولي لها أبو سعد بالباب . . أجابها بحدة . . . .

تلكأت ابنتي قليلاً ، ولكنها استجابت له أخيراً ، فجاءت مسرعة وأنا في المطبخ أعدّ الطعام وهي تقول لي بأنهم جاءوا . . وقد انتابها خوف شديد ، اصفر من جرّائه وجهها وارتعدت فرائصها . . . . .

- قولي لهم بأنني سوف لن أرافقهم وليفعلوا ما يريدون . . . قلت لها .

- لا يا أمي . . . هؤلاء بلا رحمة ، أنهم أوغاد لا يعرفون الإنسانية ولا الرحمة وهم على استعداد للمجازفة في كلّ ما يمكن أن تتخيّليه .

- دعينا نساوم على بعض الوقت يا ابنتي لنرى . . ؟

- لا يا أمي فبالأمس خسرنا والدنا ، وكيف تزهدين بنفسك أن نخسرك . . ارحمينا بك . .

- لعنهم الله . . والله ما كنت خائفة منهم ، ولكن لا أريد أن أسجّل لهم انتصاراً على طبق من ذهب . . .

- أمي . . . أي انتصار . . إنّه جبن . . . هذا ليس انتصار . . يأتون إلى أمرأة مُسنّة مريضة لا تستطيع الحراك إلا بصعوبة يعتقلونها هل ذلك انتصار . . . . ؟ إنّه الجبن بعينه يا أمي . .

- أبداً أمي سنقاومهم على الأقل بالكلام، فهؤلاء جبناء.. اذهبي وانظري كم عددهم...؟

خرجت نداء من المطبخ لمعاينة الوضع، وما كادت تخرج من باب المطبخ حتى عادت سريعاً تخبرني بأنهم صاروا بسلاحهم داخل الدار، وهم يقتربون من باب المطبخ، وقد كنت آنذاك بثياب البيت أعدّ الطعام، فرجعت نداء تخبرني بأنهم في باب المطبخ، عندئذ قلت لها قولي لهم أن يرجعوا قليلاً كي أخرج إلى غرفتي لأرتدي عباءتي.... طلبت منهم ذلك، ولكنهم رفضوا قائلين أنت اجلبي لها عباءتها، عندئذ جاءت ابنتي بعباءتي، فلبستها وخرجت لهم في بهو البيت وصحت في وجوههم:

- أليس لديكم دين.... ولا شهامة.. ولا حياء..!!

- ماذا تقصدين..؟

- أقصد ألم تأتِ أنت قبل يومين وسألت عن كل شيء وأخبرتك بما أعرفه فماذا تريدون منا بعد ذلك...؟

- لا أعلم... مدير الأمن يريدك.

- أنتم لا تعرفون للكرامة من معنى، بالأمس قلتم لي أنكم قتلتم زوجي السيد والآن تريدون أن تسجنوني، وليس هنالك من سبب أو مبرر لذلك...؟

- مبرر.. أنت تعتقدين هكذا...؟، هنالك ألف مبرر....

- هل نحن مجرمون... أم ماذا.. نحن عائلة شريفة معروفة تنشر الخير في المجتمع، وزوجي تربّى على يديه الآلاف من الشباب الخيّر، فهو وطني يحمل خير الأمة ومستقبلها.

- هذا كلام غير صحيح، وأنت يجب أن تأتي معنا الآن دقيقتين وتعودين.

- وإذا لم آتِ... فماذا أنتم صانعون..؟

- هنالك ألف طريقة وطريقة، والأفضل لك أن تستسلمي..

- استسلم لإرادة الشر..؟ فأنتم أشرار الأمة وشُذّاذ الآفاق، انتم قتلة....

- قلت لكِ البسي عباءتك وإلّا...

- أعرف أنكم لا تملكون ضمير، فكيف لي أن أوجه لكم التوبيخ.

أشار إلى الجلواز الآخر الذي يقف إلى جواره بحركة رأس أن يتقدم نحوي لإمساكي، ولكنني استدرت بسرعة وتوجهت إلى غرفتي فوضعت على رأسي العصابة (الربطة)، ثم أحكمت تغطية جيبي بقطعة أخرى، بينما بقيت في ثوبي الذي أرتديه في البيت، ثم لبست الجوراب السوداء وانتعلت حذاء أحكمت شده بقوة، ثم وضعت البوشيّة على وجهي، وخرجت إليهم في باحة الدار، وقلت لهم: **أهكذا هي رجولتكم....؟** ثم ودعت ابنتي، ربما كان الوداع الأخير بيننا..... لا أعلم.

حاولت نداء أن ترافقني، بعد أن سألتهم إذا كان لها الحق في مرافقتي، فقالوا لها أول الأمر نعم تستطيعين ذلك وعليك أن تتحملي نتائج عملك أنت.....

نسيت نداء بأن **عندها ولد في المهد،** فكيف لها أن تتركه في البيت وحده...

كانت ابنتي تعتملها عدة أفكار، كلها تقع ضمن خيارات الانتحار، فهؤلاء لن تقف في وجوههم مبادئ أو قيم أو احترام الآخرين..... فقد

يرتكبون مجزرة قتل وبكل سهولة وهم داخل الدار بدم بارد ويخرجون إلى سادتهم ليخبروهم بأنهم قتلوا عائلة قاومتهم أو تجرّأت عليهم. . . .

اقتربت ابنتي إلى حيث يقف الجلاوزة، في الوقت الذي لا نعرف كم من عناصر الإسناد يقفون في خارج الدار، كنت أتوقع منها أن تنهار أو أن تخرج عن مشاعرها، وتحاججهم بما جادت به قدراتها، أو أن تتلفّظ بكلمة نابية أو ما شابه، فكنت أحرص أن يمرّ الموقف بهدوء دون أن يلحق ابنتي أو وليدها أذىً، فقد كنت مستعجلة في الخروج معهم، بعدما تحسست بأن ابنتي تنوي أن ترتكب (حماقة) انتحارية في وجوه هؤلاء الجلادين.

تعلقت ابنتي بثيابي تريد أن تمنعني من الخروج، بينما كنت أصبّرها بأنّني سأعود سريعاً وليس هنالك من داعٍ للقلق. . . .

خرجت إلى الباحة الخارجية من الدار ثم الباب المطلّة على الشارع، ولم أشعر بأن هنالك من شيء يقف أمام استسلامي للاعتقال، إلّا دموع ابنتي التي بدأت تنهمر بغزارة بطريقة غير معهودة عما ألفتها في حياتي. . . . .

بالتأكيد كيف يمكن أن يواجه الانسان هذا الموقف الصعب. . فهل من المعقول في أن يسمح الابن أو البنت لأمه بأن تُسلّم إلى أوباش العصر ومجرمي التأريخ وبدون أن يقدم على عمل مواجهة أو عنف أو حتى على حماقة. . .؟ أبداً، فالموقف يتطلب الكثير من التصبّر والصبر وبُعد النظر. . .

ركبت السيارة المخصصة التي جاءت لاعتقالي ببرودة أعصاب، فشعرت آنذاك بأنّني في مأمن من أن تُصاب ابنتي بسوء جرّاء احتمالات

انفعالها. . . . . فودعّتها وأنا أشير لها بيدي، وأنا ابتسم لها، مع مطالبتي لها بأن تكون صابرة هادئة كما هو تأريخ العظيمات من مسيرة الإباء ومسيرة الصبر الزينبي. . . . .

شعرت بأن السيارة قد توجهت بعكس الوجهة التي يُفترض أن تذهب إليها، إلى مديرية أمن النجف التي تقع على الشارع الرئيسي ما بين الكوفة والنجف، فقلت في نفسي ربما هنالك أكثر من سجن للمعتقلين السياسيين أو (**معتقلي الرأي**)، أو ربما هنالك ضغط بسبب العدد الكبير للمعارضين الذين تم اعتقالهم عشوائياً.

فالسجون في النجف مزدحمة جداً بكلّ فروعها الأمنيّة والشرطة والجيش، وربما هنالك سجون لمخابرات الحزب التي تقع في الغالب خارج حدود النجف. فأحياناً يمكن أن يُسجن السياسي في سجون الشرطة المعروفة التي تعتقل المخالفين للقانون من المجرمين أو القتلة أو اللصوص أو الفاسقين أو غيرهم من النماذج الاجتماعية التي تكثر في محيط النجف بشكل مميز[1] وهو أمر كانت السلطة البعثيّة تهتم في تنميته أو نشره من أجل تغيير محتوى هذه المدينة الدينية التي تتميز في السابق بقدرات كبرى في مقاومة الديكتاتورية التي تحكم بالقوة وبالعشائرية ضمن قانون الحيازة والغزو والعصبية (هنالك أكثر من 200 سجن للسياسيين في العراق)[2].

لم أكن أعلم أين نحن ذاهبون، كان السائق يُمسك بيد ضابط الأمن أبو

(1) النجف ربما رابع أكبر مدينة في العراق، بيئتها عبارة عن تشابك حضارات، وقد تحولت خلال الستينيات من القرن الماضي إلى مركز لعرب الجنوب (الريفيون) الذين تركوا قراهم وعشائرهم ومناطق زراعاتهم لأسباب كثيرة أهمها هو الفقر أو الهروب من واقع اجتماعي ضاغط.
(2) http://www.alnoor.se/article.asp?id = 44752.

سعد الرجل المجرم الذي أذاق النجفيين الويلات لما يتميز به من شخصية ساديّة مُجرمة، وكان السائق بين الفترة والأخرى يُشغله عن الاستمرار بسبّي أو الطعن بي أو إسماعي كلمات نابية، فهو يبدأ بكلمات البذاءة ثم يستمر فيها إلى أن يتحول إلى شخص مشاكس يستعمل أسلوب القوة في ضرب المعتقل، وبذلك كان السائق يشاغله ربما عطفاً أو ربما استحياءً أو لأسباب أخرى، بينما كان أبو سعد يدفع يد السائق جانباً ويهددني بالقول:

- أهكذا تريدون..؟

- ....

- ألا تفهمون، لا تفهمون إلّا هذا الأسلوب...؟

- ....

- كم مرة قلنا لكم بأن الحديدة حارة..؟

- ....

- هذا ما جنته أيديكم.... أنت يا امرأة كم من المرات جئت إلى البيت، وطلبت منك أن تسلّمي أولادك إلينا..؟

- ....

- أتتذكرين قبل مدة جئت وقلت لكم بأنّ ابنكم (محمد)[1] مطلوب لدينا وانتم لم تعيروا لنا الاهتمام...؟

- ....

(1) يبدو أن الاسم هو إما الشهيد الكبير سيد حامد ابني الثالث أو ابني الصغير محمد أمين.

- هكذا يجب أن نعاملكم.......... أنتم أعداء الحزب والثورة، لا تفهمون إلّا هذا الأسلوب...

كان المجرم يُهدّد وهو يرفع يديه أحياناً ويؤشر لي بأنه سيذبح أولادي أو يذبحني، فكنت بين الحين والآخر أرفع رأسي لأرى ماذا يدور حولي في عالم غريب على مسامعي، بينما كانت رجلاي اللتان لا تكادان تحتملان رفع جسدي(1) وقد اصطكتا على أرضيّة السيارة الحديدية، في الوقت الذي كنت مهتمة جداً بأن تكون عباءتي قد لفتني بصورة محكمة لئلا يظهر أي شيء مما حرمه الله أن يبدو أمام الآخرين......... مع أنني طلبت منهم في أن يسمحوا لي في أن ألبس الجوارب السوداء التي نلبسها عندما نكون خارج البيت أو أمام الآخرين، وقد سمحوا لي ولكنهم بسبب التدافع الذي مارسوه معي لم أتمكن إلّا أن ألبس القطعة اليمنى في رجلي، بينما حملت الثانية معي كي ألبسها، ولكن حركة السيارة ودورانها وعدم قدرتي على السيطرة على جسمي منعني من ذلك.

كلمات ضابط الأمن كانت تنساب إلى داخلي وتشعل في كياني شعوراً مزدوجاً مُبهماً، لا أدري مغزاه، ولا أعلم ماذا يقصد من ذلك، فهل يقصد بأنهم فعلاً سيقتلوني..... أو أنهم قتلوا الشهيد زوجي جواد شبر..؟ فالكلمة التي كان هذا الجلواز يرددها بين الفينة والأخرى، هي أننا (**سنيتّم أولادك**) ماذا يُراد بهذه الكلمة..؟ هل سيقتلونني..؟ أم سيقتلون أولادي..؟ وهل هم الآن تحت سياط جلاديهم.. ؟ أم أنهم عند مالك الكون الرحيم...؟ ثم عن أي واحد من أولادي يتكلم هذا الجلواز، الابن

(1) وزني كان 110 كيلو غرام، ورجلاي كانتا تسببان لي اضطراباً في احتكاك عظمي الساق بالفخذ بسبب نفاذ السائل الزجاجي الذي يفصل ما بين العظمتين.

الصغير أم الكبير أم الأوسط أو عن من. . .؟ كانت الوساوس قد أخذت مني مأخذاً، وأنا أفكر في احتمالات النتيجة أو احتمالات ما ستؤول إليه الأمور.

فالأم، وكل أم حتى أمهات اللبائن من المخلوقات فإنهن يفضّلن أن يمتن ألف ميتة من أن يمس أبناءهن بسوء أو أذى. . . . . **فالحياة تقف ولا تتحرك، وليس لها من عمل أمام عاطفة الأمومة الكبرى التي تمتلك قلب ومشاعر وكيان الأم**، فهي تتحول إلى كيان غريب عندما تشعر بأن أبناءها في خطر، قد تتحول إلى شخصية متوحشة تماماً قاتلة منتقمة بمن يريد المس بأبنائها، وقد تتحول إلى شخصية مختلفة في تركيبتها وفي طبيعة نظرتها إلى الحياة، أو أن تصير أماً ولكن بقالب أقرب إلى المخلوق الذي يختلي من العقل في لحظات خطر الأبناء(1).

فهذا الجلواز غيّر أصل تفكيري وأصل أحاسيسي بنفسي عندما ذكر لي أسماء أبنائي وزوجي، فلم تعد أرضية السيارة الحديدية التي تؤلم ركبتيّ المتورمتيّن من تأثير على مركز الألم في مشاعري، ولم تعد الصدمات التي كانت تضرب بأضلاعي وانا أتقلب في أرضية السيارة وأضرب رأسي بهذا المقعد أو ذاك ذا أهمية لي، بل أن أحاسيسي قد انعدمت وتحوّلت إلى كيان اسمه (أم) لا غير. . . . . كيان أجوف لا يعرف من العالم إلا أنني (أم) وكفى. . . .

المسافة من بيتنا إلى مديرية الأمن كانت لا تتجاوز الكيلومترين،

---

(1) تماماً كما يصف القرآن هذه الميزة لدى الأم فيقول عزّ من قائل: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ **[الحج: ٢]**.

والطريق قد يستغرق ربما عشر دقائق، ولا أدري هل أنهم سلكوا طريقاً آخراً من أجل إطالة الحدث علّني أقدّم معلومات عن أولادي أو أي شيء يريدونه لكي نصل إلى المركز والمعلومات جاهزة أمام ضابط التحقيق..؟ لا أدري...... كل ما أعرفه أن الوضع الأمني في النجف متشنج جداً، بعد أن تحولت مجاميع من الناس إلى مقاومة ومواجهة مع عناصر المخابرات، كما أن الهجوم المتواصل على دوائر الحزب باتت عادية في معظم الليالي، وبالمقابل ازداد عدد المعتقلين وعمليات المداهمة التي غالباً ما كانت عشوائية لاعتقال من يُشتبه بهم بأنهم من المعارضة، ولذلك ازدحمت مديرية أمن النجف التي كانت تُدار من قبل عناصر تم انتقاؤها بصورة دقيقة لما لهذه المدينة من وضع خاص في مقاومة النظام.

فالكثير من المحققين الذين تم جلبهم إلى النجف كانوا ينتهون إما بالقتل أو بتشويه أجسامهم من قبل النجفيين، **كما لم يكن من المحققين المنتمين إلى سلطات الأمن أحداً من النجفيين أو عشائر النجف المعروفة، بل كان معظمهم من خارج النجف**، بل من الأسماء المُنكرة التي لا يعرفها الناس في انتماءاتهم العائليّة أو غيرها مما يدلّ على هويتهم..... فكان الكثير منهم من أبناء المدن التي تُحاذي المدن الشيعيّة مثل (الحويجة) أو (المحاويل) أو (المسيب) أو (ديالى)، وذلك بسبب الروح الطائفيّة التي يحملها أبناء تلك المناطق ضد التشيّع بعد أن تتم تعبئتهم وتوجيههم طائفياً وايديولوجياً[1].

(1) المناطق التي تتقارب فيها الطائفتان جغرافياً غالباً ما يحدث احتكاك بسبب الوضع العام للصراع الذي أساسه سياسي، وليس طائفي مما يكمن ذلك في النفس التي تتقبل هذا النوع من الحماس لكي تُفرّغه في خدمة سلطات الأمن والمخابرات.

شعرت أن السيارة كانت تتوقف لمرات في أثناء سيرنا نحو المجهول، وظننت بأنها كانت تتوجه إلى العاصمة بغداد أو إلى المركز المعروف في التعذيب بالديوانية[1] أو إلى منطقة أخرى، ولكن يبدو بأنهم كانوا ينتظرون الأمر بأن يأخذوني إلى التحقيق الأمني في مديرية أمن النجف ثم بعدها إلى المحتجز المُعدّ لذلك. . . . ولكن لم يحدث ذلك لأن الوضع الاجتماعي في النجف كان متوتراً بدرجة كبيرة، **وقد يزداد توتراً إذا فهم الناس بأن من بين المعتقلات حرم الخطيب الكبير السيد جواد شبر، وحرم العلماء الآخرين من الذين شاركوني في المعتقل،** فكما يبدو بأن الخطة كانت هو تخويفي وانتزاع معلومات كانوا يبحثون عنها، مع أنني لم أكن أعلم جيداً عن أية معلومة مما تخصّ زوجي أم أولادي أم نفسي.

صاح بي أبو سعد وأنا في السيارة إن لم تتكلمي خلال دقائق ليس أمامنا إلا اعتقال بناتك. . . . . . . قلت له يا ولدي أنا امرأة صاحبة كرامة وعزة ونحن آل شبر معروفون في الوسط العراقي، فليس لي في أن أقول ما يخالف الحقيقة. . . .

سكت هنيهة ثم أشار إلى السائق كي يتوجه إلى السراي الحكومي في النجف[2]. . . . . استدار السائق باتجاه المدينة بعد أن قال لأبي سعد (عفية عليك خلينا نخلص من المشكلة) ولا تورطنا في موضوع مثل هذا. . . . . . هذا في الوقت الذي كانت الأفكار قد أكلت رأسي وبدأت تنخر في مناطق

(1) تبعد 60 كيلومتر عن النجف وكان يدير ذلك المركز الرهيب علي الخاقاني وفاضل الزوركاني المجرمان الرهيبان المعروفان اللذين أذاقوا المؤمنين شتى أنواع العذاب.

(2) السراي الحكومي هو المبنى الذي يقع في قلب المدينة والذي يحوي معظم دوائر المحافظة من التجنيد إلى الشرطة إلى المحافظ وغيرها، كما كان في السابق يضم أيضاً دائرة الأمن التي انتقلت إلى منطقة أخرى.

الألم في داخلي خصوصاً بما يتعلق باعتقال ابنتي أو أبنائي، وربما قد تم الاعتقال ولا أدري وأنني سأتفاجأ في ذلك عند وصولنا.

أدخلوني إلى البناية بعد أن أوقفوا السيارة بجوار السراي وقادني السائق من يدي اليمنى، بينما كان الضابط قد سبقني إلى داخل غرفة التحقيق وتركني خارجاً ثم تبعنا بعدها خمسة من الجلاوزة الذين كانوا يقودون سيارة أخرى مرافقة لنا. قال لي السائق بنبرة فيها عتب.. يا علوية اهربي إن قدرت على ذلك فهم أغبياء.... علويّة....... لم أجبه بشيء بل لذت بالصمت علني أجد مخرجاً لهذه الأزمة.

في البداية لا أعرف أين أخذوني ولا أدري هل لازلت في النجف أو خارجه أو أنني في بغداد بعد أن تضاءل الزمن في تفكيري، فأدخلوني كما شعرت في بيت[1] ثم وضعوني في غرفة مفردة ووجهي إلى الحائط ومعي امرأة معصوبة العينين بالإضافة إلى شابة معها طفلتها (أم فاطمة) (سأتحدث عنها فيما بعد)..... أخذوا المرأة الأولى المعصوبة العينين وقادوها إلى مكان لا أعرف أين، بينما استجمعت قواي لأتفحص الغرفة جيداً، فوجدت في سقفها مروحة يتدلى منها حبل طويل يبدو أنه يُستعمل للتعذيب، وعلى جانبي الغرفة أزياء لرجال دين، جُبّة وعمامة بألوان متعددة، بالإضافة إلى دماء على الحائط مع أصوات معتقلين يتم تعذيبهم في الغرفة المجاورة..... لم تمض أكثر من ساعة حتى سمعت اقتراب أقدام من الخلف، فكنت اعتقد بأنهم سوف يطلقون عليّ النار أو أنهم سيعدمونني في

(1) ربما كان هو بناية الأمن في النجف، أو ربما بنايات أخرى كانت تدار من قبل المخابرات على شكل بيوت.

نفس اللحظة. . . بقيت لساعات أنتظر مصيري وقد اقترب مني الموت فصار حميماً قريباً أرجوه أن يدنو مني كما هو استئناس الإنسان بقريبه[1].

أخذوني إلى غرفة التحقيق فوجدت طاولة يجلس على رأسها رجل متوسط ذو شارب أسمر يحمل بيده إما عصا أو شيء ما من الأدوات الجارحة وهو يتوعدني في أن أتكلم أو أن يقتلني، لم أكن في تلك اللحظات خائفة بمعنى الخوف النفسي، ولكن كنت أخشى المفاجآت، ومن تلك المفاجآت الي كنت أخشاها هو أن يظهر أحد أبنائي أمامي بعد أن ألقوا القبض عليه، ففي كل حركة أتحسسها خلفي كنت أستعيد ذكريات خطوات أولادي، وطريقة مشيتهم وخصوصا الشهيد حامد[2] الذي كان يمثل النموذج الذي يُفتخر به في إيمانه وتقواه وأخلاقه وعمق ارتباطه بالله.

أخيراً استقر بنا المقام فوجدت مجموعة عن يميني ورجلاً لوحده عن يساري ولم أكن آنذاك لي القدرة على تمييز وجوههم بالشكل الصحيح،

(1) منع السجين من تحسس المكان هو اسلوب دقيق من أساليب التعذيب التي تفنن بها مجرمو التأريخ قبلاً في زمن الأمويين والعباسيين عندما اخترعوا ما يُسمى (سجن المطبق) الذي أشيد أسفل سور قصرين كبيرين من قصور الخليفة وذلك لمنع السجين من معرفة الحياة خارج المحيط، كذلك سجون صدام كلها من (النهاية) الى (الشعبة الخامسة) الى سجن (نكرة السلمان) الى غيرها، وكذلك الأمر مع سجون البلاد العربية مثل سجن تدمر الشهير في سوريا الذي بناه الفرنسيون قبلاً واستعمله النظام الحالي. مغزى فكرة تعصيب الأعين منطلقة من ربط موضوع العلم بقدرات السلطات الأمنيّة، وهو ما يدع السجين يعيش في انهيار نفسي فيما لو فكر في تجنب الاعتراف. أنظر عن سجن المطبق:
https://ar.wikipedia.org/wiki/ سجن _ المطبق

(2) حامد كان طالباً في معهد الهندسة التكنولوجيا في الزعفرانية جامعة بغداد، شخصية بعيدة الغور عميق الإيمان، تعلوه سحنة الأولياء بما أفاضه الله عليه من حسن المنظر وشعاع الإيمان. أنظر ترجمته في كتاب: (بوصلة الثورات أزقة النجف، حامد جواد شبر رمزاً، صلاح شبر، دار العارف، بيروت، 2013).

وفيمن كانوا هم، سواء أكانوا من المعارف أو من النجفيين أو غيرهم. . . . .

بادرني كبيرهم سائلاً:

- ألا تتكلمين يا. . . . .

- أتكلّم عن ماذا. . ؟

- ألا تعرفين عمن تتكلمين. . ؟

- لا أعرف. . أنا امرأة بنت سادة أشراف ومن سلالة الرّسول، كما أنني أم لتسعة أبناء، وعمري لا يسمح لي بأن أواجه هذا الموقف[1] وأنا كنت مرمية على ركبتيّ في أرضية السيارة. . . كيف تدّعون بانتماءكم للعروبة وأنتم تعاملونني بهذه الخشونة، وأنا بريئة ليس لي من ذنب إلا أنني (أمّ) لا غير. . . . ؟

- وتتجرئين بأن تردي عليّ. . ها. . . !!

- ابني. . أنت أيضاً لك أم. . أليس كذلك. . ؟

- لا ليس لي أم. . أهذا ما تريدين مني أن أقوله لك. . . . ؟

- لا أعتقد بما تقول يا ولدي. . لا بد أن في قلبك رحمة أو حب لمن ولدتك. . . . .

- لا تحاولي إزعاجي بهذا الكلام الفارغ، فأنا أنفذ واجبي لحماية الوطن من المجرمين والمتآمرين وممّن يريد السوء بحكومة الحزب والثورة ليس إلّا. . .

---

(1) تولدت عام 1927 أي أن عمري كان 57 سنة.

- بارك الله فيك، فكلّنا نحب الوطن وكلنا أبناؤه، وليس هنالك من فضل لوطنية أحدنا على الآخر.

- اسكتي وإلّا . . . .

ثم رفع يده محاولاً تهديدي بالضرب أو باستعمال السلاح، بينما بادر الآخر إلى تهدئته وهو يقول له: بسيطة بسيطة، إنها امرأة طيبة فستتكلم بما تعرف. . . . انتظر ولا تُثير أعصابك، وكان هذا الآخر يبدو لي بأنه بقي ممسكاً بيد المُحقّق لمنعه من ضربي أو تعذيبي (وكأنها علامة الصداقة بينهما) أو استعمال السلاح الذي بيده. . . .

سكتتُ، ولذت بالصمت بينما كان العرق يتصبب مني بغزارة، فمددت يدي إلى جانب الحائط وتحسست شيئاً يمكن لي أن استند عليه في الوقوف قليلاً بعد أن بدأت ركبتاي تضجّان علي من الألم. . . . . سحبت نفسي بصعوبة لكي أتجنب المزيد من الضغط النفسي، بينما أمسكت باليد الأخرى العباءة التي تلف جسمي ووجهي خشية من أن تسقط من على رأسي، مع أنني كنت في ذلك الوقت ألفُّ شعري بعصابة سوداء خشية من أن تتساقط خصلات الشعر من جوانب العباءة.

- منو أولادك. . ؟

- تعرفونهم انتم. . . . جيداً. . . ابني صلاح أرسلته الجامعة لدراسة الدكتوراه في أمريكا، كاظم ليس ولدي وهو من أم أخرى[1] أستاذ جامعة في لندن. وحامد ليس لي علم به أين هو. . . .

(1) الزوجة الأولى للسيد جواد شبر، هي كريمة العلامة الكبير الشهيد السيد قاسم شبر (ت 1979) عمه، أي أنها بنت عمه، وقد انفصلا ولهما ولد واحد فقط، وهو الدكتور كاظم شبر تولد عام 1943 الشخصية الاقتصادية المعروفة، أستاذ في جامعة (ويست منستر) بريطانيا له مؤلفات كثيرة.

- أبداً لا أريد أن أسمع كلمة لا علم لي به. . . **إنه تربيتك. . وأنت مسؤولة عنه. . . .**

- احلف بالله لا أعلم عنه شيء. . . .

- ألا تعلمين أن حامد كان يوزع منشورات ضدنا على بيوت النجف. . ؟

- ليس لي علم به. . . صدقوني ولم أره لأكثر من ثلاث سنوات. . . . أما إبني الصغير فهو أمين وهو عسكري جندي مُكلّف تعلمون عنه أكثر مما أعلم أنا. . . . . .

- زين، والسيد الكبير زوجك أين هو. . . ؟

- زوجي أنتم اعتقلتموه وقتلتموه، كما أخبرتمونا أنتم قبل سنة من هذا التأريخ.

- لا زوجك ليس عندنا، إننا لم نقتله، وهذه تهمة تُريدين إلصاقها بنا لتشويه سمعة الحزب والثورة. . . . . . . فلا تكرري هذا أبداً. . .

كنت في أثناء التحقيق أسمع صراخات البعض من النسوة أعني بكاءهن وارتفاع أصواتهن في مكان ما في البناية، لا أدري إن كُنّ في نفس البناية أو في بناية أخرى قريبة، ويبدو أن التحقيق كان مستمراً على مجموعات من نساء أشراف النجف بعد أن اعتقلوهم في هذه الأيام. . . . . . .

شعرت بارتياح كبير عندما علمت بأنهم يبحثون عن أولادي وبأنهم ليسوا تحت سيطرتهم أو في معتقلاتهم، وهو شعور مُقارن كما يقولون، فقد تبادر إلى أسماعي بأن الكثير من الأمهات كُنّ قد جيء ببناتهن أو أبناءهن أمامهن من أجل كسر روح الصمود لكليهما، وهذا تماماً ما كنت أخشاه، أنه لمن الصعب إدراك مواجهة ذلك الموقف الصعب لو تم أمامي، ولكن

الحمد لله ظهر أن أولادي كلهم بين قتيل وشهيد ومشرد، وأنه لم يكن أحداً منهم بين براثن هؤلاء الأوباش......

صاح المحقق على أحدهم في أن يخرجني إلى السجن حتى تجتمع المعلومات لديهم ويستدعوني مجدداً... أخرجني واحد منهم يقودني وأنا لا أكاد أطيق السير بسبب ألم ركبتيّ.... وكنت أعتقد بأننا متوجهون إلى مديرية الأمن في النجف، المكان الرهيب السيء الصيت....

❀ ❀ ❀

قالوا حُبستِ، فقلت ليس بظائري حبسي، وأيُّ مهندٍ لا يُغمدِ
أوما رأيت الليث يألف غيلةٍ كِبراً، وأوباش السباع تُردّدُّ
والحبس إن لم تُغشه لدنيئةٍ في الدهر، نعم المنزل المتوددِ
بيتٌ يُجدّد للكريم كرامة ويُزارُ فيه ولا يزور ويُحمَدِ



الفصل الثاني

خطيب العقل والقلب.. بطل الصمود

كانت الأجواء تُنذر بكارثة كبرى سوف تحلّ بالعراق بعد أن دخل هذا البلد في مساحة من الصراع بين أطراف ما يُسمى بالحرب الباردة، حيث بدأت أوزارها تنفثُ حميمها بعد الحرب العالمية الثانية، فتقسّم العالم إلى قسمين كل منهما كان أداة لصراع كبير أو ذراع غير محسوبة من أجل إضافة نقاط وغلبة كلّ على الآخر..... هذا مع استمرار ماكنة الموت التي تُطال الشعوب بأسماء متعددة، ولكنها برّاقة كالحُرية والاشتراكية والقومية والوطنية...... فقد دفع العراق ومنذ أن سقطت الملكيّة في عام 1958، ثمناً باهظاً من عدد القتلى الذين كان معظمهم من الجنوبيين الشيعة، الطائفة التي كانت كبش الفداء في كلّ مذبحة يُراد لها أن تتم.

فقد كان لهذا البلد إمّا أن تقوده قدرات فكرية علمية ديمقراطية وطنية، أو أنه يصبح بلداً مُستباحاً لقوى الصراع، وقوى التوجهات الجديدة التي انطلقت من عقال السقوط المريع للدولة العثمانية في عام 1915، وذلك بعد أن فشلت أول ثورة وطنية اندلعت في العراق ضدّ دخول الانكليز من جهة البصرة.... أقول الثورة الوطنية بلحاظ وطنيّتها العفوية وليس وطنيتها من ناحية هدف المنفذين..... فقد اعتقد التشيّع المتمثل بقادة أمميّين،

مادتهم وجماهيرهم عشائريون جنوبيون[1]. . . . مع أنّنا نقول بغياب القياديّة التي كانت في ذلك الوقت غائمة بالنسبة لشيعة العراق، فقد كانت القيادة السياسية والقيادة الدينية مندمجتين في تركيبة واحدة تُمثلها الحوزة العلمية، مع أن الحوزة هي مدرسة فكرية وليست مدرسة تخريج ثوار أو أولياء أمور أو ما شابه.

فالقوى الدينيّة المتصدّية للتشيع عموماً كانت أمميّة، أي أنها لا تنظر إلى التوجه الانتمائي العربي بشيء بل الانتماء هو للإسلام، ومع أننا لا نختلف مع هذا التوجه من حيث الإيديولوجيا، ولكن الانتماء للعروبة أمر له أكثر من أهميّة على واقع المجتمع، وربما السبب الرئيسي لتلك الأهمية هو ارتباط العروبة بالاسلام بشكل يكاد لا ينفصل أحدهما عن الآخر بشيء.

تصدى للعمل الفكري الشيعي ومنذ القدم أقوام غير عربيّة، مع أن أصل التشيّع عربي صميم[2] وهذا تابع إلى عاملين مهمين:

(1) تمثل العشائريّة الجزء الأكبر عدداً من حجم طائفة التشيّع في العراق، فقد كانت التقارير العالمية التي كتبت ونشرت فيما قبل عام 1931 تؤكد بأن السُنّة يُمثلون الثقل الأكبر لسكان العراق، وأن الشيعة يُمثلون ما نسبته 20%. . . . ولكن البريطانيين بقدراتهم أتموا أول إحصاء في العراق عام 1919 فكان عدد الشيعة في العراق هو مليون ونص من مجموع 2,8 مليون سكان العراق، أي 53%، في احصاء 1932 ارتفعت نسبتهم إلى 56%، فاعترف البريطانيون ولأول مرة في التأريخ بأن الشيعة هم أكثرية في العراق. . أنظر: (مجلة العرفان اللبنانية، عدد 31، ص 315، لسنة 1934، مقال اضطهاد الشيعة في العراق). كما يمكن النظر إلى أصل الوثيقة السرية البريطانية الموجودة في تقارير العراق الخاصة بتلك الحقبة في كتاب: (شيعة العراق، اسحق نقاش، ترجمة عبد الإله النعيمي، ص 244، منشورات دار المدى، بيروت، 1996).

(2) فلما وزن، أحزاب المعارضة السياسية في صدر الإسلام، الخوارج والشيعة، ص 25 – 26، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة، مصر، 1958.

- الاضطهاد والتصفية التي طالت التشيّع وقادتها في الجزيرة العربية.
- ميل شعوب ما وراء النهر (إيران وتبعاتها) إلى البحث العلمي أكثر مما هو لدى العرب.

ولنا هنا أن نتصور عُمق الصراع الذي دار لأكثر من قرنين من الزمن بين الإيرانيين الصفويين والأتراك العثمانيين في السيطرة على العراق كل يريد أن يُحولّه إلى القومية أو لمذهب أو كليهما إلى ما يريد له أن يكون، إما تركياً سُنيّاً أو إيرانيّاً شيعيّاً، فهو القطر الذي يُمثل الحاجز بين العرب وغير العرب من الشعوب، فمن يمتلكه فستكون بيده قوة منع الآخر من استمرار نشر الفكرة التي يحملها قومية كانت (تركية، فارسية) أم مذهبية (سنية، شيعية).

والعرب كما نعلم يُسيطرون تقريباً على البحار الكبرى في المنطقة من الخليج إلى الاطلسي، أي على أكبر بقعة متجانسة اجتماعياً في العالم[1].... فمن يمتلك العرب يمتلك قدرات كبرى من السيادة على المنطقة، **مع التأكيد على أن الشيعة (الجنوبيون) في العراق هم في الواقع السكان الأصليون للمنطقة أي العراق**[2].

(1) قصدي توحّد الانتماء الديني واللغة.

(2) شيعة العراق هم بقايا السومريون 4500 سنة قبل الميلاد كما يعتقد البعض من الآثاريين، مع أن العروبة كانت قد نزحت إلى العراق من اليمن بعد أن تصدّع سد مأرب، فكانت قبائل كندة وهمدان ومذحج وبنو لخم، الملوك قد سكنوا المنطقة حتى بداية العصر العلوي 36 هجرية، عندما هاجر الخليفة إلى الكوفة لتكون عاصمة له، حيث بدأ التشيّع على يد القبائل اليمنيّة التي تشيّعت على يده في بداية الدعوة الاسلامية، وخصوصاً قبيلة كندة أكبر قبائل اليمن أو العرب قاطبة، فبقي التشيّع هنالك إلى حين العصور المتأخرة التي اختلطت الكوفة والبصرة بالموالي (الداخلين إلى الإسلام من غير العرب).... (سلسلة القبائل العربية في العراق، علي الكوراني، ساعد فيه: الشيخ عبد الهادي الربيعي، والشيخ كمال العنزي، إيران، 2010).

ولكن الغزوات والمواجهات والدول التي توالت على العراق غيّرت الكثير من طوبوغرافية المجتمع، مع أنّ أهم فترة كانت هي فترات سيطرة المماليك (Mercenaries) (المرتزقة) على العراق[1] وهي الفترة التي توالت الغزوات العربية من الجزيرة واقترابها من الأنهار من منفذين هما: منفذ الشمال (الجزيرة) ومنفذ الجنوب (الأهوار)، وبما أن الأهوار كانت متصلة بالحلة[2] والنجف، بينما الجزيرة كانت متصلة بالموصل والعثمانيين، فقد بدأ التشيّع يتأصّل في الجنوب بشكل لم يتصوره عقل الأتراك العثمانيين الطائفيين، وهذا ما سوف نتحدث عنه في الفصل القادم، ونتحدث عن دور (الخطابة) في عملية التشيّع الكبيرة التي مارستها تلك الطبقة من المبلّغين الدينيين.

قاد الشيعة تقريبا كل ثورات العراق، فأول ثورة في العراق تُسمى (ثورة المشاحيف) قادها في الحقيقة السيد محمد سعيد الحبوبي (ت 1333/ 1915 م) والحيدري (ت 1354/ 1927 م) وشيخ الشريعة الأصفهاني

(1) المماليك حكموا العراق 82 سنة من عام 1749 إلى عام 1847 وهم ذو طبيعة خاصة من ناحية افتقاد النسب للمملوك (لقيط) (Baster) بعد أن سلّطهم الأتراك لكي يُغيّروا من طبيعة العراقيين الذين مالوا بفطرتهم إلى التشيّع قبل أن ينتشر بين القبائل المهاجرة بشكله الشعبي المعروف. وقد نشر المماليك الرذائل واستباحوا المجتمع وشتتوا قيم الأديان. (انظر: علي الوردي، لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث، الجزء الأول، بغداد، 1969).

(2) الحلة كانت تمثل عمق الحضارة الشيعية، فقد بدأت حوزتها الكبرى على يد العلامة الكبير أبن إدريس الحلي (ت 1201م)، وبقيت متزعمة الفكر الشيعي إلى حين أوقات متأخرة من عصور العثمانيين، وكان أبرز أعلامها الكبار هو العلامة الحلي (ت 1325م) الذي تمكن بعلمه وحجته من أن يُغيّر موقف سلطان إيران المغولي محمد اولغيانو خدابندة (ت 1316م) باتجاه التشيع. (أنظر: المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية، دراسة في التطور السياسي والعلمي، جودت القزويني، دار الرافدين، بيروت، 2005).

(ت 1339/ 1920 م) استجابة لفتوى العثمانيين في محاربة الأجانب البريطانيين، مع أن الشيعة كانوا من أشد ما عانى من ظلم الأتراك[1] خلال فترة القرون الأربعة التي سيطروا فيها على العراق. . . . فقد انتحر القائد التركي سليمان العسكري على أرض (الشعيبة) بسبب اضطراب ميزان القوى مع بريطانيا، فلم يحتمل الشيعة هذه الإهانة من تركيا، فتوجهوا بعد يومين إلى النجف وطردوا الحامية التركية، **وهي أول مدينة تتحرر من العثمانيين في البلدان العربية.**

كما قادوا ثورتين أخريين هما ثورة النجف في عام 1918 وثورة العشرين في عام 1920[2]. ولكن يبدو بأن الأمر كان صراع معرفة قبل أن يكون صراع (فالة)[3] أو صراع عشائر، فانتكس التشيّع بعد أن تم مصادرة ثوراته وانجازاته، وتحول إلى كيان ضعيف على مستوى الدولة، هذا في الوقت الذي تمكّن (التسنن السياسي)[4] من أن يصل إلى مبتغاه في استلام الحكم.

(1) أهم ثورات العراقيين الشيعة ضد الأتراك هي: ثورة كربلاء الأولى عام 1826، وثورة الحلة في نفس العام، ثم ثورة كربلاء الثانية عام 1878، فقد قتل القائد التركي حسين رؤوف مجموعة من العلماء منهم الشيخ جعفر ابن الشيخ محمد تقي وسلب منه 700 ليرة ذهب، كما قاد عاكف بك قصف الحلة بالطائرات، كما أعدم من زعماء الحلة سبعة عشر وطنياً مهم صالح المهدي، علي الشيخ حسن، الملا إبراهيم، أمين علوش، موحي عبد الوهاب، محمد حاج حسين، كما ساق مجموعة من النساء وقادهم سبايا إلى اسطنبول. (علي الوردي: لمحات إجتماعية، الجزء الثالث، المصدر السابق).

(2) حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية، مطبوعات CEDI، فرنسا، 1989.

(3) الفالة هي آله تستعمل لصيد السمك من قبل العراقيين الجنوبيين، كما تستعمل أيضاً في المعارك.

(4) تعريف التسنن السياسي هو: تجيير الشرعية الدينية من أجل إقامة كيان سياسي (دولة، أو مجتمع).

بعد فشل ثورة العشرين كان الموقف العام للشيعة العراقيين هو التوجه إلى الهم (الشيعي)، بمعنى آخر التشبت بالأرض العراقية بعد أن بات واضحاً بأن البريطانيين كانوا قد أعدّوا خطة خطيرة للتخلص من الشيعة العرب العراقيين من خلال ترحيلهم إلى إيران بطريقة معينة، إما بحرب أو بتهجير قسري، كما فعل العثمانيين مع الأرمن فيما قبل وقتلوا منهم مليون ونصف أرمني[1] بين عامي 1894 إلى عام 1896 وهم نفس عدد الشيعة العراقيين في ذلك الوقت، وهو نفس المخطط الذي بيتته الدولة العثمانية منذ زمن ما قبل وصول عبد الحميد الثاني (ت 1336/ 1918 م) إلى الحكم.

فالعثمانيون مشهورون بقدراتهم على ارتكاب مذابح، وقد مارسوا أبشع أنواع المذابح في التأريخ منها مذبحة (الخيريّة)[2] ومنها مذابح سليم الأول (ت 926/ 1520 م) عندما أباد أربعين ألف شيعي في جنوب تركيا[3] بعد أن تبيّن لهم وبتحفيز من علماء السُنّة (**الطائفيين**) بأن التشيّع لا يمكن له أن يتم تركيعه من قبل السلطة العثمانية، خصوصاً بعدما تبيّن بأن القبائل العربيّة المُهاجرة التي استقرت في العراق الفرات الأوسط قد تم تشيّعها كلها، وهذا ما حدا بعلماء العثمانيين من المفتي وغيره إلى انتداب لجنة يرأسها العراقي محمود شكري الآلوسي (ت 1342/ 1924 م) ورشيد رضا (ت 1354/ 1935 م) وثلاثة آخرين من أجل إيقاف عملية تشيّع القبائل العراقية وإرجاعهم إلى التسنن. . . .[4] وقد كان المُخطط ذي فرعين يتوجب تنفيذهما ما بين عام 1800 إلى عام 1913 وهما:

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Armenian_Genocide.
(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Auspicious_Incident/
(3) لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث، علي الوردي، الجزء الأول، المصدر السابق.
(4) Stephen Longrigg, Iraq, 1900 to 1950 (Oxford, 1953), 25.

- تهجير العراقيين من الشيعة الجنوبيين إلى إيران من خلال شن حرب إبادة كبرى مما يضطرهم إلى الهجرة وترك مناطق سكناهم.
- خلق كيان مذهبي متعصب لكي يقف أمام زحف القدرات الفكرية الشيعيّة التي استولت على القبائل وشيّعتها، وكان ذلك من خلال فكرة (الوهابيّة) التي كان دورها هو الغزو والقتل ونشر الفكر المتزمت المعادي أصلاً لأفكار التشيّع.

ولكن الحرب العالمية الأولى كانت قد نشبت، هذا بالإضافة إلى عمليات التحديث التي كان السلطان عبد الحميد الثاني (ت 1366/ 1918م) يقوم بها في إعطاء حقوق لممارسة الشعائر الدينية للأقليّات الدينيّة كالعلويين والشيعة والاسماعيلية وبقيّة الطوائف مما حفّز علماء (السُنّة السياسيين) المسيطرين على الخلافة العثمانية في خلعه في عام 1909 واستبداله بعبد المجيد الثاني (آخر خليفة) (ت 1342/ 1944 م) وذلك من أجل منع خطوات التحديث للدولة العثمانية.

بعد أن فشلت عملية إبادة شيعة العراق، والتي لم يكن الشيعة العراقيون يعلمون بمخططها والتي كادت أن تُنفّذ لولا رعاية الباري عز وجل كان الرأي الحكومي العثماني هو زجّهم في حروب (التأجير) المرتزقة (Mercenaries) التي تمارسها الدولة العثمانية في أنحاء العالم، ولكن كما ذكرت استعرت الحرب العالمية الأولى فكان ذلك قضاء الله لحماية شيعة العراق من الانقراض والانهيار أمام قوة أكبر دولة في العالم.

جاء البريطانيون إلى العراق ونزلوا البصرة في عام 1914 وكانوا في الواقع يرمون من ذلك انتزاع العراق من سيطرة الدولة العثمانية التي دخلت تواً في الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا، هذا من جانب، ولكن الجانب الأهم الذي يُشير إليه الباحث الكبير الحسني (ت 1997) بأن

الألمان كانوا قد اتفقوا مع العثمانيين فيما قبل الحرب بإنشاء سكة الحديد المشهورة من اسطنبول إلى البصرة والتي كانت ترمي إلى أن يزحف الألمان إلى الهند دُرّة التاج البريطاني[1] من خلال هذه المحاولة الجريئة.

ولكن العثمانيين كانوا يعتقدون بأنّ العراق هو إرث تأريخي لهم، فبدونه يعني سقوط الحرمين شعار العالم الإسلامي بيد القوى الأخرى، لأن طريق الحرمين هو العراق فقط..... وهنا استعرت المواجهات الكبرى بين الصفويين (الشيعة) والعثمانيين (السُنّة) هذا بسبب وجود مراقد الأئمة الذين يتبعهم الإيرانيون وتلك بسبب الحرمين....... **في الوقت الذي لم يكن الإيرانيون يعيروا الكثير من الإهتمام للعرب الموجودين في العراق، أي القبائل التي تشيّعت بسبب بدويّتهم ورفض إعانتهم في الحرب على بقيّة الفصائل العربية التي كانت تُحارب إيران**[2] في السيطرة ليس على العراق فحسب، بل على المنطقة كالخليج مثلاً، ولذلك حاربت الدولة الإفشارية الدولة الشيعيّة العربية الوحيدة (بني تميم) التي تكونت في المنطقة (المشعشعين) (بقيت ثلاث قرون) وقضت عليها[3].

بعد سقوط الصفويين في إيران عام 1722 تقريباً على يد القبائل الأفغانية بتحريض طائفي من العثمانيين، كان أمام العثمانيين كما ذكرت أن

(1) عبد الرزاق الحسني، العراق قديما وحديثاً، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، 1958.

(2) في التأريخ منذ عام 1600 إلى حين الثمانينيات لم يقف العرب الشيعة إلى جنب إيران في حربها ضد الأقوام الأخرى في السيطرة على العراق، وهذا ما أزعج الحكومات الإيرانية كثيراً خصوصاً حكومة آل البهلوي التي حكمت من عام (1925-1979). كذلك بقية الحُكّام السابقين من القاجاريين والزنديين والإفشاريين والصفويين.

(3) عرب حكموا ما بين (1436-1724م) بعد أن سيطروا على إقليم خوزستان والبصرة إلى تقريباً نواحي الحلة. وقد تمكن منهم نادر شاه (ت 1747) الذي تعاون مع العثمانيين على إزالة دولتهم.

تنفرد بالشيعة لإبادتهم كلياً أو إلحاقهم بإيران لكي يصفو الجو للحاكمين الجدد القادمين بعد المماليك بزعامة الخليفة القوي محمود الثاني (ت 1255/ 1839 م) الذي وجد في نفسه وبتحريض من علماء السُنّة (ليس المذهبيين) وليس (الفكريين) وإنما (السُنّة الثقافيين)[1] مستفيدين من قدرات الوهابيين (كمذهب وثقافة) في العمل أولاً على تسنين القبائل العراقية التي سكنت الفرات الأوسط، أو بمعنى آخر إعادتهم إلى التسنن (ليس حباً أو تعبّداً بالفكر السني وإنما لمنع الفكر الشيعي ليس إلّا).

فما هي إذن معركة المبادئ (المذهبية)..؟

الثقافية...؟

السياسية..؟

المؤطرة بإطار السياسيّة[2]، وما هو دور السيد جواد شبر باعتباره رائد مميّز من رواد عملية التثقيف الفكري الديني في الوسط العراقي..؟ ولكن

(1) التسنن الثقافي: تغيير الأمة من خلال تُراث السُنّة (الشيخين والصحابة) والتي أهمها هو: استعمال كل الوسائل في سبيل إقامة الدولة الدينية أو السيطرة على ما خلقه الله على الأرض، الإيمان بالقوة في التغيير، الفقه السني والعقيدة الأشعرية فقط هي التي تمثل روح الإسلام، غلق الاجتهاد مقابل فكرة (الصحاح)، يستقي من تراث تجربة الدول السياسية الدينية منذ حياة الرسول والى عام 1923 م كمنهج في دستور الدولة.

(2) من المهم جداً أن يُدرك القارئ بأن التسنن أو التشيّع هو مدرسة (فكريّة) إذا استعمل باتجاه فكر الدين، وهو مدرسة (طائفيّة) إذا تم تجييره باتجاه تفضيل طائفة على أخرى، وهو مدرسة (سياسيّة) إذا استعمل باتجاه إقامة الدولة والسيطرة السياسيّة، وهو مدرسة (ثقافيّة) إذا استعمل من أجل إبادة الآخر، وعليه فمن الضروري أن نحذر كثيراً من خلط المفاهيم لكي نستخلص مادة نافعة من بحثنا هذا. يراجع في ذلك كتاب: (ثقافة التسنن وثقافة التشيّع وصراعهما التأريخي، صلاح شبر، دار العارف، بيروت، 2015).

قبل ذلك لنتعرف على بعض اللمحات من سيرة الخطيب الكبير ثم نُعرّج بعض الشيء على مسألة اعتقاله بشيء من الإيجاز بما نتمكن.

إنّ الخطيب السيد جواد شبر هو الرجل الذي بذل عمره وطاقته وعمله في طريق **تحقيق هدف رسالة (المنبر)**[1] وهي الرسالة التي من الصعوبة لها أن تتميّز عن مسيرة الإمامية في طريقة تبليغهم الديني وعكس سيرة آل بيت الرسول إلى الأمة.

يُعتبر الخطيب الكبير الشهيد من المُجددين في عالم الخطابة، فهو الشخصية التي جعلت للمنبر وللخطباء من قيمة اجتماعية، بعد أن كانت تلك القيمة مختلطة ببقيّة المُبلّغين الدينيين المرسلين من قبل الحوزة أو مدرسة النجف[2]. . . . فقد بدأ السيد في قدراته الخطابية وهو حدثٌ صغير، ربما في منتصف العقد الثاني من عمره بعد أن تلمّس والده الحجة الكبير السيد علي شبر (ت 1975) بأن ولده يمتلك قدرات مميّزة في التأثير على الناس، وفي طبيعة الطرح الموضوعي الذي كان يلتزم به في بداية انتمائه إلى الحوزة العلمية، إذ كانت التخصصات أجمعها تمر بدروس الحوزة العلمية وخصوصاً مرحلة (السطوح) أي المعلومات الأساسية لعلم الفقه الديني.

(1) كلمة المنبر تعني فن الخطابة، وهو علم ارتبط ارتباطاً وثيقاً بمفاهيم التراث الشيعي الشعبي (مدرسة (ماكس ويبر) كما هو المصطلح الغربي، ومدرسة أبو ذر أو قيس بن سعد كما هو المصطلح الشرقي) أكثر منه تراث السنة، لما يمتلك الأول من تأريخ مأساوي عميق.

(2) كانت الخطابة قد تم محاربتها وربطها بمصطلحات غريبة مثل (الروزخونية) أو (الموامنة) أو (الملّا) أو (السيّد) وذلك للإنتقاص من دورهم في تبليغ مفاهيم الطائفة الشعبية الشيعيّة التي تعتبر من المبادئ التي تختلط بتراث الجنوبيين الزراع. أنظر في ذلك دور الخطباء في تلك الفترة في: (لغة العرب، انستاس الكرملي، ص 236، جمعها: جميل الجبوري، وزارة الإعلام، بغداد، 1975). وكذلك: (موسوعة العتبات المقدسة، جعفر الخليلي، مجلد 8 كربلاء ص 372، عشرة أجزاء، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1987).

كانت فترات النهضة التي رافقت مسيرة الشهيد الكبير طويلة، وربما تم ذكرها في بعض ممن كتب عن الشهيد[1]، وهنا نحن لا نرغب بإعادة ما كُتب في تقديم سيرة كاملة لحياته العلمية والفكرية والجهادية، وإنما بما يخص الموضوع سوف أتناول فقط حادثة الاعتقال وأترك سيرة حياته وعمله وجهاده إلى كتاب آخر ربما يكتبه أحد أبنائي بأذن الله.

في زمن البعثيين تم اعتقال السيد الخطيب ثلاث مرات، والاعتقال الأخير كان هو الفاصل في تأريخ الصراع مع الحكم الديكتاتوري. الاعتقال الأول تم في بدايات عام 1978، وذلك في ذروة انطلاق الثورة الإسلامية في إيران خصوصاً أيام مذابح ما تُسمى يوم (**الجمعة الأسود**) الذي سحقت فيه الدبابات الإيرانية المتظاهرين بشكل لم يألفه العالم آنذاك........ الاعتقال الثاني في بداية عام 1979 قبل أحداث الثورة الإسلامية بقليل، أما الاعتقال الثالث فقد تم في شهر رمضان 1983.

كان السيد الكبير ذا همة عالية ونفس أبيّة يمتلك شجاعة اكتسبها من تأريخه الطويل في مواجهة الأنظمة التي أرادت السوء بمستقبل الطائفة الشيعيّة منذ فترة الملكيّة والى حين فترة سيطرة صدام على الحكم في عام 1979[2]. فقد تلقى تعليمه الديني بطريقة غير كلاسيكية كما هي البقيّة من الطلبة الذين يدرسون علوم الفقه، وذلك بسبب أنه كان يعدّ نفسه لمشروع رسالي يكون هو أحد أركانه، وهو مشروع التشيّع الكبير[3] الذي كان يعتقد

(1) خطيب الأمة السيد جواد شبر، محمد أمين شبر، مطبعة الكفيل، العراق، 2014.

(2) 1921–1958 فترة الملكية، 1958–1963 فترة حكم الجمهورية بقيادة عبد الكريم قاسم، 1963–1968 فترة العارفيان عبد السلام وأخيه عبد الرحمن، 1968–1979 فترة البكر-صدام، 1979–2003 فترة حكم صدام.

(3) كلمة الشيعة والتشيع لا أقصد منها الفهم (الطائفي) وإنما أشير له من خلال مفاهيم (المدرسة الفكرية) أحياناً والمفهوم (السكاني العددي) أحيانا أخرى.

هو في قدرته على نشر مبدأ التشيّع (اعتقد بأنه كان يقصد بها ثقافة التشيّع وليس مذهب التشيّع)[1].

الفرق بين (المذهب) و(الثقافة) هو أن الأول جزء من الثاني، في الوقت الذي تُمثّل (الثقافة) محصلة سلوك الأمة التي تشترك في صنعها كل ما يتعلق بشخصية الفرد أو المجموع، كالدين والفن والآداب والعلوم والمذهب والقبلية وما إلى ذلك[2]. . . . . . فالمجتمع الإسلامي آنذاك لم يكن يهتم كثيراً بواقع المؤثرات الأخرى التي تشترك في تغيير المجتمعات، وكان يعتقد وربما والى الآن بأن المجتمع يتغير بوسيلة واحدة فقط تلك هي الدين، وهو خطأ فادح وكبير في تفسير حركة المجتمعات، مع أننا لا ننكر ما للدين من قيمة في هيكل الثقافة أو تغيير المجتمعات، ولكن ليس هو الطريق الوحيد في انتقال المجتمعات من حالة إلى حالة.

ولنرى ظاهرة الإرهاب الديني التي انطلقت أو تجددت فيما بعد عام 1991 بسبب (وحدانيّة) **(العامل الواحد)** في تغيير المجتمع، وهو عامل الدين كما اعتقدوا وبذلك واستناداً على ذلك الفهم الخاطئ تبنّت الحركات الإسلامية المسيّسة وغير المسيّسة نظرية تغيير المجتمع دينياً بعوامل استندت على الموروث (السلفي) الذي وصلهم، وبعدمه فإن كيان المجتمع سوف ينهار كما انهار في عام 1924 بعد سقوط الدولة (العليّة) العثمانية كما يعتقدون.

(1) التشيّع الثقافي: منهج مادته تغيير المجتمع من خلال تراث التشيّع (الرسول وآل الرسول فقط) والتي أهمها هو: التغيير السلمي من خلال مفاهيم الحرية الفكرية والشخصية، هدف الإسلام ليس أقامة الدولة السياسية وإنما تغيير محتوى الإنسان الداخلي، الاجتهاد في (منطقة الفراغ)، امتداد للرسالات السماوية. . . . التسنن (الثقافي): تم تعريفه في الصفحات السابقة.
(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Culture.

كل أدبيّات المسلمين شيعة وسنة بُنيّت على هذا المفهوم، ولازال الأمر نفسه مُتحكّماً في عقول الكثير من العلماء والمغيّرين والقادة التأريخيين المسلمين في اعتقادهم بأن المجتمع لا يمكن أن يتغير إلى الأفضل إلّا من خلال الدين. مع إهمالهم لبقيّة عوامل التأثير الأخرى كعامل الفن وعامل العلوم المختلفة وعامل السايكولوجي وعامل الآداب وغيرها.

وعوامل تغيير المجتمعات، لا تبدأ (بفكر)، بل تبدأ بشعارات عامة تتقبّلها عقول عوام الناس (أبسطهم) مع توجه بوصلة تلك الأفكار نحو مناغاة تطلعات الشعوب، فالرسول (ص) كان شعاره وهو في بداية رسالته هو السيطرة على الإمبراطورتين الكبيرتين، فقد بعث بكتب يحملها رسله إلى كلتي الإمبراطورتين يسائلهم (الاستسلام) لمنطق القوة الصاعدة الجديدة وهو الإسلام، وهو مفهوم متناغم مع الحالة الاجتماعية التي يعيشها البدوي العربي الذي دخل للإسلام تواً.... فالبدوي لا يفهم من الأفكار إلّا السيطرة، أما ما عداها فهو هراء، بل هو غير واقعي، فالإسلام ارتبط في عقول المسلمين الأوائل بعالم القوة والسيطرة، وليس بعامل التغيير والأفكار.... وقد كان أمام الرسول وهو القائد المُدرك أن يعي هذه اللفتة النفسيّة التي تهم العرب عموماً في رفع شعارات السيطرة وشعارات القوة.

نجد الشيء ذاته قد تم استعماله في مفاهيم الثورات المغيّرة الكبرى في التأريخ كالثورة البلشفية عام 1917 التي نادت بالتساوي بين الغني والفقير، وأن الحزب البلشفي سيتمكن من إشباع وتمليك وتزويج كل سكان روسيا.... أما في الثورة الفرنسية فقد كانت القدرة التي اكتسبتها تلك الثورة وخصوصاً في زمن نابليون بأن فرنسا هي قوة الأرض، وهي التي ستسود أوروبا، كذلك الفكرة النازية الهتلريّة التي دعت إلى مفاهيم عامة تناغي فطرة الإنسان في التملّك والسيطرة والاستعلاء والقوة، وهي من

المفاهيم التي تتعامل مع الإنسان بصورة لا تحتاج إلى المزيد من التفكير أو البحث، وإنما يدركها العقل من خلال منطقة (الذاكرة) وليس منطقة (التفكير) في دماغ الإنسان[1].

الخطيب جواد شبر كان يعتقد بأن قضية الحسين بصورة عامة أي (يوم الطف) هي قضية لم يتم اعطاءها حجمها في مسيرة الأفكار التي تقع في حيّز منطقة الدماغ الأمامية بما فيه الكفاية، **بل أن تلك الحادثة أو فكر الحسين تم تسميمه من خلال تحويله إلى فكر معقد جداً أي (أدلجته) بحيث امتنع عنه الكثير من الناس وخصوصاً الشعوب غير الشيعيّة**[2]، التي رأت فيه بأنه عبارة عن أمر مشابه لمفردات كثيرة في التأريخ مثل مقتل الخليفتين (13 و23 هجرية) أو مقتل الكثير من ثوار التأريخ، فهو لا يستحق الاهتمام بتلك الدرجة الكبيرة. . . . وسبب ذلك هو أن الشيعة (أدلجوا) الفكر الحسيني بدرجة نقلوه - براءة منهم - إلى مصافي الأفكار الإسلامية التي يختلف بها المسلمون بعضهم عن البعض الآخر، فدخلت القضية الحسينيّة

(1) وهي المنطقة الأمامية من فصوص المخ التي تختزن المعلومات التي يستعملها الإنسان على الدوام مثل: حب النفس، الرغبة في الطعام، كره الألم، حب السيطرة. .الخ. أما مناطق الحجيرات الخلفية، فهي تحتاج إلى التفكير قبل أن يتم خزنها مثل: السعي في الحصول على المال، طريقة التخلص من الأعداء، تربية الأولاد، مصير ومستقبل الموت. .الخ. فالمنطقة الأمامية عبارة عن أفكار جاهزة يتقبلها العقل ويبادر إلى الفعل تجاهها بمجرد أن تأخذ حيّزها في هذه المنطقة، وعلماء الدعاية يعملون بصورة حاذقة على تنشيط هذه المنطقة من الدماغ، بينما يعمل علماء الفكر والفلسفة والمعرفة على المنطقة الخلفيّة التي من الصعب أن يرغب بها الإنسان بل يحاول تجنبها.

(2) كنموذج من عملية (أدلجة واقعة الطف)، كان رأي العلامة الكبير الشهيد سيد قاسم شبر (ت 1980) بأن الله أراد للحسين أن يُذبح بسبب إتمام أطروحة الدين الإسلامي، كما هو فكرة ذبح اسماعيل بالنسبة إلى إتمام البيت الحرام. (محاضرة للشهيد الكبير في عام 1970 في حسينية النواب، الكاظمية).

وتحولت إلى مفاهيم لم يكن الحسين ذاته قد خطط في أن تكون هكذا. . . . فصار النقاش هو هل أن الحسين هو خارج عن إمام زمانه، أم أنه معصوم يمثل غاية الفكر. . .؟

كل ذلك لم تكن مساعدة لنقل رسالة الحسين إلى الأمم العالميّة غير الإسلامية، وخصوصاً إخواننا السُنّة أو بقية المذاهب والتوجهات الإسلامية بحيث أن بعضهم ارتأى بأن الذي قُتل في كربلاء لم يكن الحسين ذاته وإنما شبيهه كما هي قصة عيسى عليه السلام. . . . **كما ذهب البعض في (مذهبة) القضيّة الحسينية**، وادعى بأن الذي يقوم بثورة هو الذي يملك الدولة، وبما أن الحسين لا يملك الدولة فليس له من حق في قيادة ثورة[1]، وما إلى ذلك من آراء لم تكن قد خدمت التشيّع (مدرسةً) أو (ثقافةً).

السيد جواد شبر كان له رأي في مأساة الطف، وهو الرأي الذي كان يعمل عليه، ذلك هو:

أن القضية الحسينيّة تمثل (معادلة) الإسلام وهي (عقيدة)[2]، والعقيدة

---

(1) أنظر ما كتبه الغزالي (ت 1111م) في كتبه وربما أسهل ما يمكن الرجوع إليه هو الموقع التالي: http://islamicbooks.info/H-27-Arabic-Authors/Al-Obaidi-37-Ashuraa-Principles.htm.

(2) العقيدة: تعني مجموعة الأفكار والمبادئ التي يؤمن الفرد بصحتها. أو ما عقد الإنسانُ عليه قلبه جازماً به لفترة زمنية معينة، وهي تتطلب الحكمة في التطبيق، لذا فلا يمكننا القول إنها غير قابلة للشك، بل تخضع للتدقيق والتطوير وبصورة مستمرة، حيث أنها إطار عام من المفاهيم، وليست خطاً قاطعاً كما يتصور الكثيرون، وإذا لم تخضع للتحديث، فإنها بذلك تصبح غير ذات فائده واهمية (أساطير)، وتكون غير قادرة على مجارات متغيرات الزمن منذ ولادتها. وتصبح ما قد نسميه (بالمذهب). وينتفى عنها لقب العقيدة سواءٌ كان حقاً أم باطلاً. . . . . يكون تبني العقيدة عن طريق الإدراك الحسي، الاستنتاج، الاتصال مع الأفراد. أما الإسلام فهو (دين)، وهو يختلف عن ما نقصده بالعقيدة. كذلك فالاعتقاد اصطلاحاً في شريعة =

في المفاهيم العامة هو ما يمكن اتباعها بدون العودة إلى التعليلات التي يدركها الانسان في تلك الفترة من الزمن، كما نقول أحياناً بأن الشمس طالعة فهي حقيقة يمكن التصديق بها بدون البحث عن مصاديقها في الخارج (Common senses). . . . وهذه الفكرة التي جاء بها الخطيب شبر هي مشابهة للفكرة المسيحيّة التي ترى بصلب المسيح أمر (عقيدي) وليس إيديولوجي، أي لا يمكن إخضاع أدوات العقل لإثباته، وليس لأي مسيحي في العالم أن يناقش فكرة الصلب، فهو ما يجب الاعتقاد بها قبل أن يتم إطلاق لقب الانتماء المسيحي عليه[1] وكل ما يتعلق بحيثيّات الصلب وما إلى ذلك مما نخالفه نحن المسلمون، وكما جاء في القرآن الكريم[2]. . . .

ولذلك كان السيد جواد شبر يرفض أي مجادلة في القضية الحسينيّة وإخضاعها إلى الإجتهاد الشخصي لعقل الانسان في الزمن المحدد بما

= الإسلام عند أهل السنة والجماعة هو: كل ما دنت به لله (نويته) فقد اعتقدته، ولا ينحصر الاعتقاد في الأمور المجزوم بها فقط، بل يكون في غلبة الظن، وحصر أمور الاعتقاد في اليقينيات فقط هو رأي أهل الكلام.

(1) حسب إحصاءات العام 2011 يقدر عدد المسيحيين بحوالي 2,189,341,000 مليار نسمة أي 33,2% من مجموع البشرية، لتكون بذلك أكبر أديان العالم المعتنقة، وتشكل ثلث سكان العالم منذ مائة عام وحتى الآن. كذلك فالمسيحية دين الأغلبية السكانية في 120 بلدًا من أصل 190 بلداً مستقلاً في العالم. وتتألف المسيحية من ستة (أديان) أبرزها الكاثوليكية والبروتستانتية والأرثوذكسية الشرقية والأرثوذكسية المشرقية، وتنقسم داخل هذه الأديان إلى مجموعة من الكنائس المستقلة إدارياً (المذاهب) يبلغ عددها 38,000 طائفة أو مذهب يعود أغلبها لكنائس بروتستانتية، وأما أكبر الطوائف المسيحية فهي الكاثوليكية ويشكل معتنقوها أكثر من نصف المسيحيين في العالم.

(2) ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

يمتلكه ذلك الانسان من أدوات استدلالية، ثم تقبّلها (الإعتقاد بها) فيما إذا وافقه أم لم يوافقه......... ولتوضيح المعنى أمامنا عدة عوامل في مصطلح (العقيدة) منها الزمن، العقل، الفكرة.... وكان يرى في الإسلام حسيني البقاء، ولولا حادثة الطف لكان الإسلام قد تحوّل إلى فكرة مشابهة لأفكار عديدة في العالم مثل (البهائية)[1] على سبيل الفرض... كما كان يرى الخطيب الكبير بأن المأساة الحسينيّة لولا ادعاء امتلاكها من قبل التشيّع لتحول العالم الإسلامي كله إلى أمة موالية لآل الرسول بدل غيره من الشخصيات التي يتبعها العالم الإسلامي اليوم.....

هذه المواقف العقيديّة التي كانت يؤمن بها الخطيب الكبير لا أعرف من أين جاء بها، مع أنه لم يقرأ ما يراه المسيحيون بشأن مقتل المسيح والجانب العقائدي في قضية الصلب وغيره. كما لم نتحسس في النجف في ذلك الوقت من يتكلم بهذا المنطق، نعم كان هنالك مغالون في حب الحسين وفي حب آل البيت ولكن لم يكن هنالك من توجيه للقضية الحسينيّة بالقالب الفلسفي الذي شرحته تواً، مع أن الخطيب الكبير كان رجلاً منفتحاً في أفكاره الدينية، ولم يكن منغلقاً أو متزمتاً، كما لم يكن سياسياً بالمعنى المعروف في أن يُسمى (إسلام سياسي).

كان للشهيد شبر حديث مع الكثير من الذين كتبوا عن الحسين أو ممن كان يعتقد بأنهم يشاركونه الرؤية مثل العلامة الكبير السيد عبد الرزاق المقرم

(1) إحدى الديانات التوحيدية، أسسها حسين علي النوري المعروف باسم بهاء الله في إيران (ت 1850) (قبره في حيفا). ومن مبادئ البهائية التأكيد على الوحدة الروحية بين البشر ووحدة رسالة الأنبياء. ويوجد اليوم حوالي خمسة إلى سبعة ملايين معتنق للديانة البهائية يتوزعون في معظم دول العالم بنسب متفاوتة. أنظر في ذلك:
http://en.wikipedia.org/wiki/Bah%C3%A1%27%C3%AD_Faith.

(ت 1971) وكذلك بعض الشباب مثل السيد وهاب الطالقاني (ت 1977) وتيار واسع من النجفيين الذين كانوا يرون تماماً مثلما يرى الخطيب الشهيد، مع صعوبة تقبّل الفكرة بالمعنى التفصيلي. . . . . ولذلك وبسبب هذه الأفكار **كان التيار الحسيني قد نشأ على يديه وتحول إلى ظاهرة بقيت في النجف وإلى الآن، ولكن قوتها كانت في انتفاضة عام 1977 الصفريّة وهم الذين فجّروا تلك الثورة التي ربما كانت الانتفاضة الوحيدة خلال حكم البعث التي مهدت لانتفاضة عام 1991 الشعبانية[1].**

لم ينتم الشهيد شبر إلى الأحزاب الإسلامية الشيعيّة[2] التي انطلقت في محيط النجف مع أنه كان الأقرب إلى تفكير (الدعوة) بشيء ما بسبب ارتباطاته الفكرية والعاطفيّة بالشهيد الصدر الأول المؤسس (ت 1980)، ولكنه لم يكن يرى في التحزّب الشيعي إلّا باباً سياسياً، وليس توجهاً فكرياً عقائدياً، ولذلك فقد رفض أن يتم تحجيمه من خلال الانتماء إلى فكرة الحزب.

في بداية الثورة الإسلامية في إيران أي عام 1979 كان الشهيد الخطيب قد تم اعتقاله لمرتين وفي الثانية حاولوا مساومته عن الامتناع في الحديث عن الثورة والثورات والشيعة التشيّع وآل البيت والأمويين، كما ساوموا البقيّة الباقية من الخطباء الذين كانوا في محيط النجف، وكان عددهم يزيد ربما عن خمسين خطيباً بالعموم[3] وكانت النتيجة التي توصل إليها النظام

---

(1) بوصلة الثورات، شبر، المصدر السابق.

(2) في خلال تلك الفترة انطلق على الأقل حزبان مهمان شيعيان هما (الشباب المسلم) و(الدعوة)، مع أن البعض كان يرى في (جمعية النهضة الإسلامية) السرية التي أسسها الشيخ محمد جواد الجزائري (ت 1957) بأنها حزباً سياسياً بمعنى الحزب المُتعارف عليه مع مخالفتي لذلك الرأي.

(3) معجم الخطباء. السيد داخل حسن، دار الهادي، بيروت، 2008.

مع البقيّة من ذلك العدد هو إما الاستيعاب أو التدجين أو الشراء أو الهرب.... فبقي في النجف في ذلك الوقت بين 1977 إلى 1982 من الذين التزموا بخط العقيدة الحسينيّة ربما عدد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة، هذا مع الاعتراف بالضغط الهائل الذي كانت الجماهير النجفيّة تسلطه على الخطيب كي يبقى ملتزماً بمنهج الحسين (الثوري)، وذلك بسبب كثرة التوجه إلى ذلك الخط من قبل المجتمع النجفي والبغدادي وبقية محافظات العراق من شباب، بعد أن وجدوا بأنه الطريق الصحيح لتحقيق مفاهيم التشيّع والإسلام، وإقامة كيان عادل في مجتمع تعددي، وهو نموذج (الثورة الإسلامية في إيران) التي كانت قد انطلقت لتوها، وخصوصاً بعد أن فشلت الأحزاب في تحقيق الكثير من وعودها إلى الجماهير العراقية والشيعية وبالتحديد بعد مقتل الشهيد الصدر عام 1980 على مرأىً ومسمع من التيار الإسلامي السياسي المتحزب بدون التصدي لانطلاق انتفاضة جماهيرية أو عصيان عام أو حركة شعبية كما حدث في إيران.

لم يتردد الشهيد جواد شبر بأن يرفض عرض السلطة وبشكل علني وبدون أن يضع ذلك ضمن كلمات سياسية أو تبريريّة، بل كان يرى في خنوع الأمة وعدم قدرتها على تحريك مظاهرة جماهيرية كبرى في النجف أمر يحتاج إلى أكثر من رأي لإيقاف ذلك الانهيار الذي استشرى في كيان المجتمع النجفي بكامل أطيافه وطبقاته ماعدا التوجه الحسيني الذي كان يرعاه هو منذ أن انطلقت انتفاضاته في أعوام 1970 وعام 1971 و1977[1]...

(1) أنظر كتاب: بوصلة الثورات، صلاح شبر، المصدر السابق.

في تلك الفترة خلت الساحة النجفيّة من خطيب يُمارس عمليّة التبليغ الحسيني بمقدرة عقائديّة وبشجاعة شخصيّة مع استمرار الضغط الجماهيري في بحثها عن قيادة تُماشي طموحاته في إستنهاض الأمة، وكسر حالة الجمود والضعف والخوف، خصوصا بعد إعدام الشهيد الكبير الصدر في عام 1980. . . . . وهنا كان للشهيد الكبير شبر أن يسير على طريق كما يقولون أحدّ من السكين، بعد أن سكت الجميع متذرعين بمفاهيم (التقيّة) وتبريرات (السلفيّة) الشيعيّة في الاتكاليّة على فكرة الظهور المهدوي[1].

كان الشهيد شبر يعتقد بالحل الجماهيري فقط، كما هو الشهيد الثاني (ت 1999) بعد أن تغيّرت طريقة تفكيره من الطريق الذي كان الشهيد الصدر يعتقده (الطريق الإيديولوجيّة) إلى طريق القيادات الميدانيّة التي تُلهب الجماهير وتحرك أحاسيسها وتفجرها ثورة كما هي حالة الثورة الإسلامية في إيران[2]، التي كان الإمام الخميني يقودها بالعاطفة والمشاعر، وليس بالفكر بالتحديد. . . . . . وهنا علينا أن نكون دقيقين في توضيح المعنيين لأن الخلط في فهمهما يولد في نفوسنا ابتعاداً عن الغاية التي نريد الوصول إليها.

لقد فرض عالم الجماهير (السلمي) نفسه خلال القرن العشرين نفسه كخيار بديل وحيد لتغيير الأمم، بعد أن اجتاز مرحلة النضوج منذ الثورة الفرنسية[3] عام 1789 التي قادتها أول كتلة جماهيرية في العالم نسيجها عموم الشعب باختلافاتهم عمال، فلاحين، كسبة، عاطلين، نساء، رجال،

(1) أنظر مجلة: رسالة الحسين، مارس 12، 2012، تجد أسماء من تم إعدامهم من خطباء المنبر الحسيني. تجد الأسماء أيضاً على الموقع التالي:
https://www.facebook.com/ResalatalhusainPage/posts/302090739855293.

(2) مرجعيّة الميدان، محمد محمد صادق الصدر، عادل رؤوف، المركز العراقي للإعلام والدراسات، سوريا، 1999.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/French_Revolution.

تلك الثورة التي كانت صدى الثورة الأمريكية[1] عام 1775 التي حررت القارة من النفوذ الانكليزي.

كذلك انطلقت بعد نصف قرن من الزمن أحداث الربيع الأوروبي[2] عام 1848 وربما هي امتداد للثورة الفرنسية فسقطت على أثرها كل الأنظمة الأوروبية التي كانت تحكم باسم الدين.... بعدها بفترة انفجرت الثورة البلشفية في عام 1917 التي نعرف نحن العرب عنها أكثر من معرفتنا ببقيّة ثورات العالم الغربي، مع أن الأخيرة كانت صدى (Echo) وليس أصل للثورات التي سبقتها في أوروبا........ فالأرثوذوكس الروس هم ربما من الشعوب التي تتأخر في صناعة الثورات كما هم (السُنّة) في الإسلام..... بعدها بقيت الجماهير هي الحاكمة في العالم الغربي وعلى ضوئها وضعت القوانين وأقيمت الدول، وشرّعت مسارات العلاقات بين الحاكم والمحكوم.

في عوالمنا العربية أو الإسلامية ليس للجماهير من دور في صناعة واقع الدول، وإنما الناس عبيد تحت مسمى آخر (إنما السواد بستان لقريش)، والذي يتحكم بمصير الشعوب هم فئة تمتلك القوة مع شرعنة دينية يجلببها بها علماء السلطان....... وهذه الحالة كانت سائدة منذ عام 11 هجرية أي لأربعة عشر قرناً... وفي الواقع هو أن الناس أو المسلمين لم يدركوا بأن الحكم أو الدولة هي ملك لهم، بل اعتقدوا بأنهم مجرد أجراء عند من يمتلك القوة والسلطة[3]، وأن الحاكم إذا تفضّل عليهم من فتات موائده عليهم فهي مكرمة كبيرة منه.

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/American_Revolutionary_War.
(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Revolutions_of_1848.
(3) الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، المصدر السابق.

بقيت هذه الحالة سائدة تعايشت معها شعوب العالم الإسلامي كلها بعد أن تمكّنت (ثقافة الإسلام السياسي المتسنن) في شرعنتها بطريقة إثبات رواياتها إلى الرسول والى السلف من صحابة الرسول بحث تحولت إلى أمر شرعي (نصّي) وضعت على أساسها الكثير من القوانين والعلاقات الاجتماعية[1] حتى انطلقت أول ثورة جماهيرية مسلمة جماهيرية وطنية (Nation) في العالم منذ صدر الإسلام (ماعدا الثورة على عثمان في عام 36 هجرية)، فكان ذلك جوابا شافيا للشهيد جواد شبر في أن يُقارب ما كان يُفكر به بما حدث، بعد أن أعياه التفكير في إمكانية الجماهير على قيادة الدولة والحكم. . . . . وهنا تحول التصور الذي كان يعيشه منذ نبوغه إلى تصديق في عام 1979 فقرر أن يتحرك ضمن مفاهيم (الجماهيريّة) رافعاً شعار (الحسينية) أو (طف العراق) عنواناً له في توجيه العراقيين أو النجفيين إلى طريقة صنع مستقبلهم في قيادة التغيير (السلمي الثوري) وليس (عنف الثورة).

كان الشهيد جواد شبر يعتقد بأن أهداف الثورة الحسينيّة (سلميّة) وليست ثورة حرب ودماء، وأن الحسين لم يخرج لكي يُقاتل أو لكي يُقتل، ولا من أجل حكم أو سلطة أو إسقاط عروش بني أمية، بل كان قد قصد في ثورته أمته (المجتمع) الخانعة، فهي ثورة على الجماهير أولاً، قبل أن تكون ثورة على الحُكّام، فقد كان الحسين يُدرك بأن قوة الحكام هي من قوة المحكومين، وقوة الحاكم تتأتّى من جهل الناس وعدم شعورهم بحقوقهم،

(1) مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، المكتبة العصرية، بيروت، 1990. وكذلك: الأحكام السلطانية، للماوردي والولايات الدينية. تحقيق احمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989. وربما كل الكتب التي كتبت منذ أربعة عشر قرناً وقد تعد بمئات الألوف.

أنظر إلى سياق خطبته فيما رويت[1] وهو البيان (السلمي) رقم واحد.

كما كان يعتقد بأن تلك الثورة هو أمر مُتجدّد ليس مقتصراً على زمن أو فترة أو طبيعة بشريّة أو قوميّة، بل هي لكل الناس، ولكل الأديان، ولكل الأزمنة، ولكل الأجناس على شرط أن يتم توجيهها (جماهيرياً) وليس (إيديولوجياً) أو (سياسياً)، فهي ليس ثورة سياسيّة. . . . . ومن يقول بتسييس الثورة فقد قتلها بمعرفته أو بدونها. . . . . فكان يعيش معها باختزال عامل الوقت، وكأنها حدثت الآن، مع اعتقاده بأن الجماهير كلما اقتربت من دائرة الفعل كلما كان الجذب الثوري الجماهيري أقوى كما هو المغناطيس أو في بعده وقربه. . . . . . ولذلك فكان يرى بأن الجماهير العراقية النجفيّة والكربلائية بالخصوص (يُعدّون بثلاثة ملايين) هم من سيقود

(1) تبّاً لكم أيّتها الجماعة وترحاً، أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدوّنا وعدوّكم، فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم. . . فهلّا - لكم الويلات. . . ! - تركتمونا والسّيف مشيم، والجأش طامن، والرأي لَما يُستحصف، ولكنْ أسرعتم إليها كطِيَرة الدبَّا وتداعيتم عليها كتهافت الفَراش، ثمّ نقضتموها، فسحقاً لكم يا عبيد الأمة وشُذّاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومُحرّفي الكلِم وعُصبة الإثم ونفثة الشيطان ومطفئيّ السّنَن. . . !، ويحكم أهؤلاء تعضدون وعنّا تتخاذلون. . . !، أجل والله غدرٌ فيكم قديم وشجت عليه أُصولكم وتأزّرت فروعكم فكنتم أخبث ثمرة، شجي للناظر وأكلة للغاصب. . . ! ألا وإنّ الدّعيّ بن الدعيّ قد ركز بين اثنتَين، بين السّلة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأُنوف حميّة ونفوس أبيّة، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإنّي زاحف بهذه الُاسرة على قلّة العدد وخُذلان النّاصر. . . . أما والله، لا تلبثون بعدها إلّا كريثما يُركب الفرس، حتّى تدور بكم دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور، عهدٌ عَهَده إليَّ أبي عن جدّي رسول الله، فاجمعوا أمركم وشُركاءكم، ثمّ لا يَكُن أمرُكُم عليكُم غُمّة، ثمّ اقضوا إليَّ ولا تُنظرون، إنّي توكّلت على الله ربّي وربّكم، ما من دابّة إلّا هو آخذ بناصيتها، أن ربّي على صراط المستقيم.

الثورة على (البعث) على حين غرّة، لأن الثورة الجماهيرية (السلميّة) لا تعرف الوقت، وإنما تنضج بعواملها، كما نضجت أحداث الربيع العربي في عام 2011 ولمناسبة قد تبدو بسيطة في حرق شخص تونسي بقّال لنفسه[1]، أو ثورة الدستورية في إيران عام 1906 من جرّاء ضرب متسول على قارعة الطريق هرب إلى جامع.. فالثورات في اعتقاد الخطيب الكبير شبر قد تنطلق من (عبث) بسبب أن عوامل الثورة متوفرة في زمن (البعث)، وهذا ما كان يراه في فلسفة الثورة الحسينيّة التي بذل عُمره في سبيل أن يفهمها على حقيقتها لا كما يُراد لها أن تُفسَّر.

وهكذا نرى الشهيد الكبير وقد توجّه أولاً إلى كتابة تُراث الثورة بالطريقة التي يُمكن لتلك المعلومات أن تنتشر في أوساط العراقيين المثقفين، الذي كان يرى فيهم بأنهم القوة المُهملة في الجسم العراقي أو الجسم الإسلامي، **فقد كتب أول إصداراته وهو أدب الطف (عشرة مجلدات) وهو تراث الحسين الأدبي على مدى أربعة عشر قرناً من الزمن (لم يكمله بسبب اعتقاله)**[2].

الخط الجماهيري في مفهوم خطيبنا الكبير هو (**حشد**) أو ربما نقول عنه (تحريض Incitement) يقوم به القائد لإشعار مريديه بوجود خطورة على مبادئهم أو على أنفسهم من عدو قريب مرتقب ضمن مفاهيم بسيطة جداً غير واضحة المعالم، بل أحياناً افتراضية أحياناً، كما هو القول بدولة المسيح العالمية، التي هي في الحقيقة وفي هذا الوقت (افتراضية) لأنها لم تحصل إلى الآن...... أو فكرة الدولة الإسلامية العالميّة (تمني) أو فكرة

(1) البطل التونسي الطيب محمد بوعزيزي (ت 2011).
(2) أدب الطف أو شعراء الحسين، عشرة أجزاء، جواد شبر، دار المرتضى، بيروت، 1969.

الحكومة الشيعيّة أو الجعفرية.. هذه المفاهيم هي الأقرب إلى الجماهير العراقية منها إلى مفاهيم الدولة الفكرية التي تُطبّق أحكام قطع اليد أو محو عروبة العراقيين باعتبار أن الإسلام دين أممي.

السيد جواد شبر كان يرى بأن مبادئ الثورة الحسينيّة كافية في شعاراتها في أن تقود الجماهير العراقية إلى تحقيق قيم الدول العادلة، أو التخلّص من النظام الديكتاتوري الذي يتسلط على المسلمين سواء أكان ذلك في العراق أو في غيره، وأن تلك المفاهيم يجب زرعها وتنميتها في نفوس العالم الإسلامي كما زرع المسيحيون فكرة صلب المسيح وتحولت إلى (عقيدة) بها يتمكن العالم المسيحي (لو أراد) من إسقاط اية حكومة أو قوة على الأرض أو تغيير مفهوم أو غيرها.

كان الشهيد مُغرماً في تحقيق وسط حسيني جماهيري ضخم تسوده مبادئ (الخوف) من الانقراض أو مبادئ (التحريض) كما نُسميها حديثاً، مع أن تلك المفاهيم التي أتكلم عنها قد تكون مرفوضة في الوسط الشيعي الآن، ولكنها لو تعمقنا في آلياتها لوجدناها تُمثل واقع تُمارسه كل حكومات العالم، وحتى إيران ذاتها قبل وبعد انتصار الثورة الإسلامية، ولازالت تمارسه في ظل الملف النووي الإسلامي وفي صراعها مع العالم الغربي أو مع إسرائيل، وهو ذاته الذي استعملته أمريكا في إسقاط الاتحاد السوفيتي من خلال (تخويف) العالم الغربي بقدرات الاتحاد السوفيتي في محو أمريكا من الوجود.

في تلك الفترة من الزمن كانت الحرب العراقية-الإيرانية على أوج اشتعالها بعد أن أصبح من المؤكد بأن القطرين لا يمكن لأي منهما أن يحسم الموقف لصالحه...... فقد تسربت الكثير من الأقاويل في نيّة الولايات المتحدة إلى تبديل القيادة العراقية بعد ظهور علائم فشلها في

تحقيق نصر سريع. . . . هنا توجهت القيادة العراقية في تخطيطها إلى استيعاب الطاقات العربية الدينيّة وتوجيهها في حرب إعلامية مبرمجة ضد إيران بعد أن رفض الإيرانيون فكرة وقف إطلاق النار. . . . . . . فكان السيد جواد شبر أحد المرشحين للقيام بجزء من هذه المهمة كما كانت أسماء أخرى[1] مُعدّة من قبل السلطة للقيام بها أيضاً.

ولكن هل تم استيعاب السيد جواد شبر أو غيره. . . . ؟. . . . فقد انقسم الناس والخطباء إلى أربعة طبقات هي:

- طبقة رفضت، ولكنها لم تقل علنيّاً إلى السلطة بقرارها الرافض وإنما انزوت في بيوتها. . . . . (أسلوب بن عمر (ت 73/ 693 م)).
- طبقة وافقت السلطة ولكنها استعملته كغطاء لنشر أفكارها (الأمام الرضا (ت 203/ 782 م).
- طبقة سايرت السلطة بكل ما طُلب منها خوفاً أو طمعاً (الشعبي (ت 103/ 721 م)).
- طبقة رفضت الأمر والتزمت جانب المبدئية (الحسين 61/ 640 م) أو زيد (ت 122/ 740 م)).

وجواد شبر كان من الطبقة الرابعة، بينما كانت أسماء ليست بخافية على النجفي أو العراقي في معرفتها في اتخاذ مواقفها انطلاقاً من فهمهم

(1) يبدو وكما تطرق إلى مسامعنا كان السيد عدنان البكاء والشيخ البهادلي قد تم التفكير باستيعابهما من قبل السلطة في أن يتصدرا المشهد الديني لخدمة هدف الحرب الإعلامية ضد إيران. . . وهو خبر قد لا يكون له مصداقيّة من الصحة باعتبار أن هذه المعلومات خاصة ليس لها من توثيق مستقل ولذلك فإننا نفترضها افتراضاً وعلى من يمتلك ما ينقضها فهو أمر مُسرٌ لنا.

لواجبهم الشرعي أو الأخلاقي، مع التأكيد على أننا لسنا هنا ممن يسمح لنفسه في تقييم من هو الصحيح ومن هو المخطئ، بل نتركه لطبيعة الفهم الديني والثوري للقارئ.

وأمام هذا الموقف كان على الخطيب الشهيد أن يدفع ثمن رفضه، فهو أعلم بما اتخذ لنفسه من خطوة، خصوصاً وإنه كان قد جرّب سجون النظام وتعذيب أزلامه، فهو المجرب الحكيم الذي كان عليه إما أن يبيع دنياه بآخرته أو آخرته بدنياه..... فقد كان شعوره في تلك الفترة بأن حبل الموت يقترب من عنقه بعد تهديدات كثيرة كان يُمارسها معه مدير أمن النجف أبو شيماء، وكذلك مساعد مدير الشعبة الخامسة المُسمى (فيصل) الذي كان يتصل به بين يوم وآخر... وكان الأخير في تلك الفترة يقضي معظم أوقاته في النجف ويتصل بالسيد مهدداً أحياناً ومتوعداً أحياناً أخرى، ولم يكن من بد للسيد الشهيد زوجي من أن يرفض عرض إلغاء تأريخه، أو أن يتخلى عن مبدئيته فيما لو رضخ إلى ما يريدون.

فالقائد عندما تتجسد القيادية بشخصيته فإنه لا يستشعر في حينها مدى علاقة الجسد البيولوجي بقيمة الفكرة، وأهميته لإستمراريتها ووجودها، بل ينسى ذلك ويتحول إلى كيان متعلق بعالم فلسفة الأطروحة التي يعيش من أجلها، ولا يعطي قيمة للجسم، وخصوصاً في ساعات المحنة وأوقات الأزمات[1]، ولعل أقرب مثال إلى تأريخنا القريب هو مبادرة الشهيد الصدر

(1) أنظر إلى قول الأمام علي في ساعات المحنة في حرب صفين وهو ينادي على بقيّة الإمامة في الأرض الحسن والحسين وهم يقاتلان في قلب المعركة غير عابئين بقيمة بقائهما أحياء ليقول: أيها الناس أملكوا عنيّ هذين الغلامين فإني أنفس بهما على القتل، أخاف أن ينقطع بهما نسل رسول الله ﷺ. (ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج الأول، ص 244). وقد تجد ذات الموقف ربما في حادثة كربلاء مع مبادرة السجاد في النزول إلى ساحة المعركة.

الأول في مواجهته لمخابرات النظام واندفاعه بشكل لا يمكن تصوره في طريق الانتهاء من سجن الجسد البيولوجي إلى فضاء الفكرة التي يقاتل من أجلها[1].

وبعد الكثير من المحاولات من قبل المخابرات بالتهديد والقتل وجد الشهيد نفسه بأن ساعته قد اقتربت منه، ولكي لا يُزعج العائلة عند اعتقاله أو ما شابه، فقد قرر أن ينام ليلاً في المدرسة الشبرية[2] التي كان يديرها، في الوقت الذي كان يجد السلوى له وهو في هذا العمر وفي تأريخ الجهاد الطويل أن يكون قريباً من ضريح أعظم شخصية إنسانية وهو الإمام علي (ت 40/ 661 م)....... وهكذا هم العظماء في عالم الإنسان يستشعر مستقبله، ويستشعر قربه من محبيه وساعات لقائهم واستقبالهم له...

كان الخطيب المجاهد يتذوق طعم الشهادة وطعم ملاقاة من جاهد من أجلهم وخصوصاً محبوبه العشيق المُلهم حسين الإباء وإباء الحسين.... كان لا يرى في ألم الموت إلا لذة لا تفارق شعور من ضرّجوا بدمائهم عرصات كربلاء.... بينما كان البعض ممن أغرتهم الدنيا يلومونه على سلوكه (الثوري السلمي التغييري) كأولئك الذين وجهوا اللوم إلى بطل الأنصار عابس (جد الحوثيين في اليمن من همدان)[3] ويقولون له يا سيد

---

(1) الشهيد الصدر، سنوات المحنة وأيام الحصار، محمد رضا النعماني، المكتبة العلمية، قم، 1996.

(2) هي مدرسة لطلبة العلوم الدينية بناها العلامة السيد علي شبر في عام 1967 تقع في محلة البراق في النجف ولا تبعد عن مرقد الإمام إلا مسافة ضئيلة. تولاها الشهيد، ثم حسب الوصية الشرعية تولاها ولدي الآن السيد محمد أمين شبر.

(3) هو عابس بن أبي شبيب حاشد (الزيدية الآن) الهمداني (أول قبيلة أسلمت على يد علي) الشاكري. كان عابس من رجال الشيعة رئيساً شجاعاً خطيباً ناسكاً متهجداً.. تقدّم عابس =

جواد شبر أنت ترمي بنفسك إلى التهلكة، هؤلاء البعثيون كفار مجرمين أرحم نفسك كما رحم الآخرون أنفسهم، وانج من سجونهم وتعذيبهم، أترك تحريض الجماهير، فأنت لست مسؤولاً عن دين الله، لأن الله لو أراد لدينه النصر لفعلها ولكن هنالك حكمة في ذلك.....

نعم هذا هو خطاب تيئيس الناس من صناعة ثورتهم وبناء مستقبلهم وهو في الحقيقة الخطاب الذي أوصل العراقيين إلى ما وصلوا إليه.. فكان الخطيب الكبير زوجي يجيبهم كما أجاب عابس لمن حوله: لقد أجنني الحسين كما أجنتني رسالته....

وفي يوم الخامس عشر من رمضان من عام 1983 وبينما هو خارج من المدرسة الشبرية اقتربت منه سيارة مخابرات، فالتفت حوله فشعر بأن المنطقة بكاملها محاطة بقوة مدججة بالسلاح مع استعدادهم لإطلاق

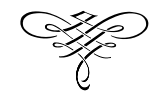
= إلى الحسين فسلّم عليه وقال: يا أبا عبد الله أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليّ ولا أحبّ إليّ منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلته، السلام عليك يا أبا عبد الله، أشهد أنّي على هداك وهدى أبيك، ثمّ مشى بالسيف مصلتاً نحو القوم، وبه ضربة على جبينه، فطلب البراز... وروى أبو مخنف عن الربيع بن تميم الهمداني أنّه قال: لمّا رأيت عابساً مقبلاً عرفته وكنت قد شاهدته في المغازي والحروب، وكان أشجع الناس، فصحت: أيّها الناس: هذا أسد الأسود، هذا ابن أبي شبيب، لا يخرجن إليه أحد منكم.... فأخذ عابس ينادي: ألا رجل، ألا رجل....!؟، فلم يتقدّم إليه أحد، فنادى عمر بن سعد: ويلكم ارضخوه بالحجارة. فرميّ بالحجارة من كلّ جانب، فلمّا رأى ذلك ألقى درعه ومغفره خلفه فقيل له أجننت يا هذا، قال نعم حب الحسين أجنني، ثمّ شدّ على الناس، فو الله لقد رأيته يكرد أكثر من مائتي من الناس، ثمّ إنّهم تعطّفوا عليه من حواليه، فقتلوه واحتزّوا رأسه، فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدّة، هذا يقول: أنا قتلته، وهذا يقول: أنا قتلته، فأتوا عمر بن سعد فقال: لا تختصموا، هذا لم يقتله إنسان واحد، كلّكم قتله، ففرّقهم بهذا القول.

الرصاص على من يقف في طريقهم، فاقتيد السيد الخطيب إلى السيارة ثم نقل إلى مديرية أمن النجف، ثم بعدها إلى الشعبة الخامسة في بغداد، ومنه إلى (الخاصة) في سجن أبو غريب وهنالك انقطعت أخباره عنا.

في نفس اللحظة التي اعتقل بها زوجي توجهت قوة كبيرة إلى البيت وطرقوا الباب وبمجرد أن فتحت ابنتي سلوى الباب الداخلية حتى وجدت بأن هنالك ما يقارب عشرة أشخاص قد عبروا السياج الخارجي وصاروا في الحديقة الخارجية، فركضت إلى الداخل تريد أن تخبرني بأن أضع حجابي، فقد أحاطوا بالبيت من كل جانب، ولم يخبروننا بأنهم اعتقلوا السيد...... دخلوا إلى غرف البيت وفتشوا كل ما لدينا وعبثوا بمكتبة السيد وبكتبه، كما دخلوا غرف النوم بعد أن حجزوني أنا وابنتي الوحيدة التي كانت معي سلوى في غرفة وبقوا حوالي ساعتين لا نعلم ما يصنعون، حتى إذا ما انتهوا خرجوا من البيت فرجعنا وعرفنا بأن السيد قد تم اعتقاله.

❁ ❁ ❁

أنا فرعٌ من دوحة المُكرماتِ أنا من أسرةٍ كرامٌ أباةِ
لا يرون الحياة في الذُلِّ أبقى
أنا لمّا أسرتُ لم أبدِ ضَعفاً لا، ولم أرجِ من عدويّ عطفا
ولقد قُلتُ: واردى بيّ حتفا شرعُ أن يكونَ موتيّ حتفا
أو أراني يكونُ موتيّ شنقا



الفصل الثالث

مدرسة الخطابة

هذه المدرسة كانت عبارة عن كيان لا يختلف عن الكيانات التي نشأت في تأريخ صراع الأديان مع الرافضين لفكر ذلك الدين، فالدين هو عبارة عن فكرة تحتاج إلى تسويق شأنها كشأن أي عقيدة أو مبدأ يؤمن به أتباعه في قدرته على بناء مجتمع مرتبط بالخالق، وذلك أملاً في أن يعيش الإنسان بسلام ضمن حدود تعليمات السماء. . . .[1].

فكما انفصل علم الإنتاج (العلم) عن علم التسويق (الخطابة) عن علم البيع (المبلغين) في المجال الاقتصادي، فإنه في الواقع الديني لم تنفصل أقسام نشر الدين في الوسط الإسلامي إلا في عقود متأخرة وربما في بداية القرن العشرين إلى ما يشبه ذلك في المحيط الإجتماعي. مع أن المسيحيين كانوا لحد ما قد سبقوا المسلمين في الفصل ما بين مهمة تسويق الفكر (الخطابة) وبين عملية إنتاج الفكر (العلماء)[2]. مع أن اليونانيين كانوا هم

---

(1) ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [**النحل**: ١٢٥].

(2) في زمن ما قبل مبعث الرسول كان هنالك خطباء مشهورون أهمهم ربما هو قس بن ساعدة، من المسيحيين، وكان جبر عبد لابن الحضرمي، وعداس النصراني من أهل نينوى، والأسقف طغاطر أحد أساقفة البادية. وكان النبي يصغي إلى خطبهم التي كانت تدين الوثنية (تأريخ =

سادة الخطابة قبل المسيحية[1].

لقد استعانت قريش في صدر الإسلام بشخصيات خطابية كبرى كان لها دور مهم في منع القرشيين من أتباع ديانة الإسلام[2]. كما نشأ في صدر الإسلام خطباء عمالقة[3]، ولكن الانعطاف الكبير الذي حدث في الإسلام هو (تسييس) الخطبة وذلك في زمن الخلفاء الراشدين واستمر إلى حين انهيار الدولة العثمانية في عام 1923[4] فتحولت الخطابة من فن علمي أدبي ديني إلى سياسة تسير مع الحكام وتتنقل أهواؤها مع الدولة أينما مالت.

في القرن العشرين اتخذت الخطابة منحاً جديداً في التركيبة وفي المفهوم، وقد كان دور زوجي الشهيد جواد شبراً كبيراً فيما يخص المفهوم والفلسفة التي بناها في طريقة التعامل مع هذا التخصص..... فقد كان

= اليعوبي، اليعقوبي، ج 1، ص 298، منشورات الشريف الرضي، قم، 1414). كذلك أنظر: http://www.alsiraj.org/blog/archives/225.

(1) ديموسئين (ت 322 ق. م.) كان له دور كبير في تجميع اليونانيين بعد أن ذابت الأمة وخصوصاً أمام الإسكندر المقدوني وأبيه فيليب الذي حاول احتلال أثينا، أخيراً حرّض الخطيب المشهور اليونانيين في الهجوم على مقدونيا لإنهاء مطامع السلطان، ولكن الهجوم فشل فأنتحر ديموسين. أشهر خطبه المسماة (حول التاج).

(2) وربما أشهرهم هو سهيل بن عمرو (ت 639) وسعيد بن عمرو بن سعيد، وزمعة بن الأسود الذي قتله علي في بدر، (أنظر كتاب: الجاحظ، أبي عثمان: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1998).

(3) علي (ت 661) كان سيد الخطباء باتفاق الكل، ثم بعده ابن عمه عبد الله بن العباس (ت 697)، كذلك عبد الله بن عروة بن الزبير، وزيد بن علي بن الحسين، وغيرهم كثير لا مجال هنا لتسطير أسماءهم.

(4) كان إبراهيم بن جبلة يُعلّم الصبيان فن الخطابة، ولكن بشر بن المعتمر (معتزلي) (ت 800) هو ربما أول من فلسف الخطابة. أنظر:
http://de.wikipedia.org/wiki/Bischr_ibn_al-Mu%CA%Bftamir.

التشيّع في بداية القرن العشرين أي في زمن العثمانيين يعاني من مشكلة غياب الهوية، واعني غياب الهوية هو التداخل مع القوميات التي كانت لها القدرة الكبرى على توجيه تشيّع العراق للوجهة التي يؤمنون بها. . . . . . وهذا المفهوم لا أعني به توجيه اللوم أو أصابع الإتهام أو ما شابه لفكرة الايرانيين أو العثمانيين في تفهم معاني التوجيه الديني، وإنما أعني به أن الاختلاف الاجتماعي ما بين العراق وبين الدولتين المذكورتين قد فرض على عملية التسويق الديني (الخطابة) أن تتخذ شكلاً مختلفاً، لأن الخطابة هو فن الموروث الشعبي، والشعوب يجب أن تتفاعل مع إحساسات الخطيب فضلاً عن بيانه.

فالتشيع العراقي بدأ في تلك الفترة من الزمن على المحك أي تبخيره ثم صهره في قالب غير عربي، لأن الشيعة العراقيين هم أكبر مجموعة عربية تلتزم بالتمذهب الشيعي. . . . . هذا في الوقت الذي كان العرب يرون في الشيعة العراقيين بأنهم دخلاء عليهم، باعتبار أن العرب كلهم سنة (بدو) وما الشيعة العراقيون إلّا بقايا الإيرانيين الذين احتلوا العراق في تناوبهم مع العثمانيين خلال القرن السادس عشر الميلادي وما بعده[1].

اجتهدت القوى (السنيّة الثقافية) في العمل على سرقة عروبة الشيعة العراقيين، وكان من روادهم في القرن العشرين ساطع الحصري (ت 1967) من المفكرين وياسين الهاشمي من السياسيين، وصدام حسين من السفاحين. . . . . . فقد تم الطعن في عروبة الشيعة العراقيين بشتى الطرق من أجل تخليص العراق من الشيعة لكي يتحول العرب إلى قوم كلهم سُنّة،

(1) الدخول الأول بين عام 1505-1514، ثم الثاني بين 1623- 1627.

وهذا ما يُسهل على (الثقافيين السُنّة) من أن يُحققوا مشروع السيطرة (البدوية-السياسية) التي سقطت أو بدأت تتهاوى في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي لأسباب لا مجال للخوض فيها . . . . . . ومن الأجدر على القارئ مراجعة كتاب الأستاذ حسن العلوي[1] . وكتب أخرى مهمة ناقشت الفكرة ليس من باب (التطييف) وإنما من باب العلمية التأريخية.

أعداد الشيعة العرب هو الرقم الصعب في معادلة الحرب...

كيف صار العدد هو المتحكم في المعادلة . . . ؟

صار الرقم العددي للشيعة هو الحَكَم في الصراع بسبب مفهوم (الخطابة) التي انبرى لها عمالقة كبار . . . . . وكان زوجي السيد جواد شبر هو ربما رائدها في الفترة التي مارسها في العراق أي منذ أن ارتقى الأعواد في أعوام 1926 والى حين استشهد في عام 1984 أو ما شابه، وسأوضح ذلك من خلال السطور التالية والتي أحب أن أنبه القارئ بأن كل ما جرى عليّ في السجون والمعتقلات والمطاردة هو إيماني بخط زوجي الشهيد، وفلسفته في تنمية المشروع الشيعي ليس على حساب المذاهب الأخرى، وإنما بانتمائه إلى آل بيت الرسول، وهم الذين أذهب الله عنهم الرجس في القرآن وطهرهم تطهيرا.

ويجدر بنا بعد أن تكلّمنا عن المشروع الخطابي الحضاري للتشيع أن نُشير إلى أن الحوزة العلمية في النجف كانت تعمل بشكل حثيث على استمرار وجودها في الوقت الذي كان قادتها وطلابها ليسوا عراقيين بالمعنى

(1) الشيعة والدولة القومية، حسن العلوي، المصدر السابق، وكذلك كتاب التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي. دار الزوراء، لندن، 1988.

(الاجتماعي) وليس (القومي). . . . . وهو حاجز كبير من حواجز عملية الاتصال بالجماهير وتوجيههم إلى هدف الدين أو الفكر أو المذهب. . . . . . ربما كل الوكلاء الذين تم إرسالهم إلى الفرات الأوسط كانوا غير عراقيين إلا عدد محدود جداً، كما نجد ذات الانطباق على المراجع وكبار مفكري المذهب الجعفري باعتبار أن الإيرانيين هم أقرب إلى العلم والبحث من العرب (بالعموم) وبالنتيجة أقرب إلى الدين ومفاهيمه وطرق تبليغه.

في تلك الفترة كانت طبقة المبلّغين (الوكلاء) مندمجة مع طبقة الخطباء بشكل لا يمكن فصلهما. . . . . فالوكيل هو خطيب بالمضمون، فليس هنالك من خطيب له كيانه الخاص به، وليس هنالك فئة تُسمى خطباء، بل أن المرجع تَعوّد أن يُرسل الوكيل أو المُبلّغ ليؤدي المهمتين، وحتى لو برز شخص (خطيب) فهو يبقى لا يندرج ضمن فئة الوكلاء، أي الذين يرتبطون بالمرجع، وإنما ذلك الشخص هو يتيم في عمله وقوله ليس بالضرورة أن يكون موافقاً لما يقوله المُبلّغ الوكيل(1).

وموقعه في التركيبة الدينية العراقية هو كموقع الصحفي أو المُحلّل السياسي أو الإجتماعي لا يرتبط بالمستفيد (المرجع) بل هو متحرر من ذلك

(1) الاختلاف النصي بين طبقة الحوزة والوكلاء وبين الخطباء تعود أسسه إلى التباين الثقافي لمساحة عمل كلتي الجهتين، فالنص الديني ينحصر في ما سميته في السابق (ماكس فايبري) الأخلاق والأسس وهو الذي يمكن استعارة مفاهيمه من قادة الإسلام الكبار كعلي والأئمة وفلاسفة الإسلام، بينما المورث الشعبي هو حالة متجسدة في الريف تنطلق مفاهيمها من واقع التشيّع على قدر الفهم الذي يتعامل مع مفردات حياة تلك الطبقة بشكل يبدو أحيانا بأنه لا يسير بخط متواز مع النص، مع أنه في الواقع مُكمّل له. أنظر في ذلك:
Fischer, Michael: Iran from Religious dispute to Revolution p: 123-133. Cambridge, Massachusset, Harvard University Press. 1980.

بسبب أهمية أن تكون له استقلالية في تشخيص الخلل في المسيرة الاجتماعية سواء أكانت دينية أم سياسية أم فكرية أم غيرها. . . . . . فقد اجتهد رواد الحوزة ومن يؤمن بخطها في سيادتها على الواقع الشيعي أن يُبقوا تخصص الخطابة تحت رحمتهم، ثم رفض شرعيّتهم فيما لو شخّصوا أخطاء التعامل مع المجتمع أو مع مفاهيم الدين. . . . بعبارة أخرى كان الخطيب هو كما يسمى في اللغة القانونية (Third Party) أي العنوان الثالث (غير المستفيد) (Free Lansing). . . . فلم يكن في تلك الفترة من تأريخ العراق أي بداية القرن العشرين من حياة صحفيّة حرة، أو مُحللين سياسيين يناقشون وضع المجتمع ويُشخّصون أخطاء القادة، سواء أكانوا في الدولة أو في الحوزة.

فمن ينتقد الحوزة معناه في العرف الاجتماعي هو انتقاد الدين، مع أن الحوزة ليست كياناً معصوماً، كما هو بقية الكيانات السياسية والشخصية، فلذلك تحول علم الصحافة (Journalism) في الدول المتقدمة إلى (سُلطة رابعة) أقوى أحياناً من الرئيس وإدارته أو من البرلمان، مع أن الغربيين كانوا قد حدّدوا كلتي المهنتين بعد أن انفصل الدين عن الدولة فيما بعد الثورة الفرنسية، فصار الصحفي (Reporter) أو يكون (Journalist)[1] هو السياسي، والخطيب (Preacher) الواعظ هو الديني[2] وكلاهما يقوم بنفس

(1) أشهرهم هو الصحفي الذي اكتشف فضائح البيت الأبيض ونشرها في كتبه هو (بوب وودوورد). وكذلك فريدمان الكاتب في صحيفة نيويورك تايمس: أنظر:
http://en.wikipedia.org/wiki/Category: American_journalists.

(2) من الخطباء المشهورين في الغرب الآن هم: بيكر، سويكارت، بيل كراهام وغيرهم كثيرون. أنظر أسماءهم وتأثيراتهم في المجتمع الغربي.
http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_Christian_preachers.

الدور في منع تعملق السلطة وطغيان القوة في المجتمع من خلال تشخيص التجاوزات والأخطاء التي تقوم بها شخصيات الحكومة وقواها.

فقد تمكن (بوب وودوورد)[1] بقلمه الصحفي الحر من إسقاط أقوى رئيس أمريكي في التأريخ وهو ريتشارد نيكسون (ت 1994) بعد أن فضح تجاوز سلطاته القانونية من خلال التنصّت على مكالمات خصمه الحزب الديمقراطي[2] وذلك من خلال نشرها في الصحافة وفي الكتب... هذا في الوقت الذي قدّم الخطيب والصحفي الكثير من الضحايا والشهداء من أجل شرف مهنتهم الكبرى التي تتبلور في منع تجاوز الحكومة على حقوق الشعب.... وقد تمكنت طبقة الخطباء الأمريكان من أن تتحول إلى مهنة شريفة يحترمها المجتمع ويُقدّر رسالتها الكبرى حتى فرضت تلك المهنة على الرئيس الأمريكي أن يحضر موعظة الخطيب في يوم الأحد من أجل تحقيق أهداف بعضها ذاتيّة وبعضها اجتماعية وبعضها سياسية.

كان المجتمع العراقي الجنوبي في فترات العشرينيات وما بعدها من القرن الماضي **يعيش مرارة الخسارة لثورتين أو لثلاث ثورات** يضاف لها ربما عشر انتفاضات محلية[3]. في الوقت الذي كان ذلك المجتمع يبحث عن قيادة مُلهمة عراقية لتوجيه قدراتهم إلى صناعة كيان لهم أسوة بإخوانهم السُنّة الذين سيطروا على البلد بأكمله وزارات وكيانات وأحزاب[4]، بينما

(1) https://en.wikipedia.org/wiki/Bob_Woodward.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Watergate_scandal.

(3) أنظر: شيعة العراق، نقاش، المصدر السابق.

(4) فبين أعوام 1921 إلى عام 1947 تعاقبت عشرون حكومة عراقية، خلت من أي رئيس وزراء شيعي، ولم يتسلم خلال العهد الملكي أو الجمهوري أي شيعي رئاسة أركان القوات المسلحة العراقية، وطيلة العهد الملكي منذ عام 1921-1958 تشكلت 59 وزارة، ترأس الشيعة منها 4 وزارات فقط، والسنة 55 وزارة. كما كان دائما هنالك وزير شيعي واحد كرمز لكل حكومة، =

كانت القيادة الدينية في النجف المُتمثلة بالمراجع الخمسة أو غيرهم[1] يتعاملون مع التشيّع العراقي بذات الفلسفة التي يرونها في التشيّع الإيراني[2] وهذا هو بالضبط ما خلق حاجز من عدم الفهم بين القيادة والقاعدة والتي أدت إلى الكثير من المآسي التي عاناها المجتمع العراقي، بعكسه نجده في المجتمع الإيراني المتجانس قيادة وقاعدة.

لم تكن في تلك الأوقات من المؤسسات أو الشخصيات ما يتبلور دورها في تشخيص التجاوزات التي تمارسها السلطة ضد التشيّع. . . . . . . ليس بالضرورة أن يكون ذلك (الضد) هو إيديولوجي أو طائفي، بل أنه أمر طبيعي في سيطرة قوي على ضعيف، وضعيف لا يطالب بحقه، وحتى لو طالب بحقه فهو لا يملك آليات تلك المطالبة. . . . وهكذا غمط حق الأكثرية الشيعيّة في العراق، وكان القرار الذي وضع على الطاولة لتنفيذه

= كذلك شيعي واحد في المتصرفين، وشيعي واحد في مدراء القضية، هذا في الوقت الذي كان الأكراد الذين يمثلون ما نسبته 17% من نفوس العراق يحتلون تقريباً 22% من المناصب. وبقيت هذه الحالة مستمرة إلى زمن قاسم (ت 1963) والذي لم يكن طائفياً، كذلك كما هم العائلة الملكيّة، أما في زمن العارفيين فقد سيطر على مقاليد الدولة شخصيات قرى الغرب كعانة وراوة وحديثة وهيت وتكريت والدليم وسامراء (تاريخ في ذكريات العراق 1930-1958، الجزء الأول، عبد الكريم الأزري، بيروت، 1982.). وكذلك (تأريخ الوزارات العراقية، عبد الرزاق الحسني، ثمانية أجزاء، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، 1965).

(1) اليزدي (ت 1919)، المرزا الحائري (ت 1920)، شيخ الشريعة الأصفهاني (ت 1920)، محمد حسين النايني (ت 1936)، أبو الحسن الأصفهاني (ت 1948).

(2) هنالك فرق واسع بين التشيّع الإيراني والتشيع العراقي، وعنه في التشيّع المصري أو الخليجي، فالفكر الشيعي ليس هيكل ثابت، بل هو عبارة عن فكرة متحركة تنبع من ملهمات كثيرة منها هو المجتمع والقومية والتراث والفن والآداب. أنظر بعض من تلك الأفكار في كتاب ولدي صلاح: (ثقافة التشيّع وثقافة التسنن وصراعهما التاريخي جزءان، دار العارف، بيروت، 2015).

من قبل العروبيين (الطائفيين) (السياسيين) (العشائريين) هو انتزاع عراقيتهم، والعمل على انسلاخهم من العروبة. . . . . وكان أهم ما دفع هذا الطرف في الاستمرار في المخطط أعلاه هو غياب (الخطيب) أو (الصحفي) أو (المحلل السياسي) أو في اللغة الاجتماعية السياسيّة (المُحرّض Incitement) من الساحة، فعلماء الدين مجالهم التخصصي هو التبليغ الديني ليس إلّا، وهي مهمتهم المناطة اليهم، وليس لنا في أن نُطالبهم بأكثر من طاقاتهم والتزاماتهم تجاه الإسلام.

هنا وفي هذه المحنة الكبرى التي تواجه الأكثرية العددية العراقية الشيعيّة هنالك أكثر من ضرورة في أن ينبري لهذه المهمة قادة كبار يُمارسون عملية التوعية الشعبية والسياسية والدينية من أجل تنبيه الأمة إلى حقوقهم، بعد أن كان دور الصحافة معدوماً، وفي ظل ديكتاتورية عمياء ليس بالضرورة أن تمارسها السلطة بذاتها، بل السلطة ومن لف لفها من المنتفعين والمتزلفين من الطائفيين والعشائريين وغيرهم من فئات تعيش على موائد القوي.

تماماً هذا كان هو محل الخطيب الكبير جواد شبر في التشخيص وفي استمرار عمله التبليغي التوعوي الشعبي (الخطابة) بطريقة بعيدة (اصطناعياً) عن إطار الحوزة الدينية التي لم تعد تحتمل تبعات من يتصدى للعمل الاجتماعي والسياسي، تلك التبعات غالباً ما يكون ثمنها باهظ. . . . وهكذا صارت طبقة الخطباء كياناً مستقلاً عن الحوزة، وأعني بالمستقل هو استقلال طريقة (التسويق) وليس استقلال (المعلومة الدينية). وهذه الطبقة نشأت في الحقيقة منذ أن وضع السيد صالح الحلي (ت 1359/ 1940 م) أول ركيزة في مواجهته لمرجع ذلك الزمان السيد الأصفهاني (ت 1365/ 1948 م) فتحولت وبالتدريج هذه الطبقة من (مسوقي الفكر) إلى كيان

مستقل عن طبقة المبلغين الدينيين الذي كانوا أي الوكلاء المسؤولين عن الجانب الديني فيما يتعلق بمسائل الحرام والحلال.

لقد قامت طبقة الخطباء بالمهمة الرئيسية والتي كانت تتضمن تسويق الفكر الاجتماعي من خلال تنمية مشاعر وعواطف الناس تجاه ارتباطهم بالمذهب الشيعي، فالعاطفة التي توفرها مبادئ التشيّع ربما كانت هي السبب الرئيس في تعلّق العشائر المهاجرة إلى هذه الأرض بالتشيع، والقدرة التي يبثها الأدب الشيعي بما يمتلكه من رصيد عاطفي ووجداني قد وجد له من أرضية مناسبة متكافئة مع الظرف الذي يعيشه الجنوبي العراقي........ **فجانب الأدب والشعر والفخر والشجاعة والكرم وسيرة العظماء من أئمة آل البيت قد تعاشقت مع بساطة وطيبة الجنوبي العراقي الذي أنهكه البحث عن عشب أو أرض أو مكان لكي يستقر فيها.**

فقد توالت على شيعة العراق الكثير من المآسي على مر العصور، فهم الطبقة المُشرّدة التي وجدت أخيراً ملاذها على ضفاف الأنهار وعلى أطراف المدن لكي تستمد حياة جديدة مع تعلّق غير عادي بمن قد عانى في السابق بما يشبه هذا النوع من الألم وهم آل البيت الذين يعتبرهم الجنوبيون الرصيد الوحيد الذي يستقون منه قوة الصبر والمقاومة، لأنهم شخصيات تعيش تماماً في وجدانياتهم بما يمتلكون من قدرات نفسية وتراثية.

فالحسين ملهم بكل ما في الكلمة من معنى إلى هؤلاء، ومن خلال فكرة الحسين وهي (الظلم) يعتقد الريفي بأنه يشاركه في مأساته التي واجهها ليس خلال أربعة عشر قرناً من الزمن فحسب، بل هي الآن تجري حيّة في عروقه ومخيّلته ويومه........ هذا التصور يحتاج إلى بارع أو رسام فنان في نقل تلك الصورة إلى تلك الطبقة من الناس..... فالوكيل الديني لا يمتلك تلك البراعة أو القابلية في تقديم هذه الصورة بما هي عليه، فدوره

محصور في مسائل الشريعة خصوصاً ما يتعلق بالزواج والطلاق والطهارة والنجاسة، مع أن دوره المُعدّ له هو أكبر من ذلك بكثير. ولكن هذه الطبقة من الناس حصرت دور المبلغ الديني بهكذا مهام، وأناطت في ذات الوقت مشروع حياتهم وطريقة ممارساتها بما يرسمه لهم الخطيب من صورة متعاشقة مع الشخصيات التاريخية التي آمن بها وتعلّق بها، وتصور بأنها تعيش معه في كل لحظة من حياته.

الخطيب دوره، هو دور الوقود في معركة الحياة، وهو الذي يصنع لهم صورة من صور العظمة التي يتوجب أن يتحلوا بها، باعتبارهم شعوب فخر واعتزاز وشجاعة، وهي جزء من صفات البداوة التي تفتخر بقدراتها التضحويّة التي يعتبرها العربي الريفي بأنها من مستلزمات الشخصية، كيف وإذا بتلك الصفات يجدها في الحسين والعباس وعلي وغيرهم من أبطال آل البيت الذين لم يعيشوا إلا من أجل الناس والمجتمع.

القبائل التي وصل إليها الخطيب الحسيني وأشغف أسماعهم بنشيد الحسين وعمق مأساته لم تجد منهم من بقي على التسنن مذهباً له، والحقيقة التي يجب الاعتراف بها هو أن البداوة لم تكن تعرف التمذهب، أي أنها حالة تعادليّة (Nutral) لا تعلم إن كانت تنتمي إلى التسنن أو التمذهب، فأول فرصة تواجهه في تفاعل وجدانيّاته مع الدين تراه يلتزم بها، وهو ما حصل خلال ربما معظم القرون التي انتشر فيها التشيع....... فالتشيع في الحقيقة لم ينتشر بسبب التعاليم النظرية للجانب الفكري أو القاعدة الفكرية أو التشريعية...... فمن من القبائل البدوية درست وبحثت في أفضلية دين على دين، أو مذهب على مذهب آخر...؟ وإنما الانتماءات تتم بسبب التفاعل الوجداني والنفسي للانسان مع شخصيات تلك الفكرة، لا مع الجانب النظري أو الجانب الفلسفي أو التراثي العلمي.

ولم يكتفِ المجتمع الريفي الجنوبي بظاهرة الخطيب الحسيني، بل

تفرع منه (الرادود) حيث يُناوب الخطيب في طريقة إيصال المعلومة إلى عقل الإنسان.

لقد كان السيد جواد شبر من الجيل الثالث إذا اعتبرنا جيل الحُلّي (ت 1940) هو الأول واليعقوبي (ت 1965) الثاني وجيل الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي هو الجيل الذي انتمى إليه السيد شبر والوائلي (ت 2003) بعد أن صبت الطائفة الشيعيّة مُجمل وقتها في تلك الفترة على نشر المذهب (للحماية) بين الطبقات الجنوبية، أي القبائل المهاجرة التي كانت خلال تلك الفترات هي آخر فترات الهجرة من الجزيرة العربية، وهي الفترة التي تشكّل بها الهيكل العام في الانتماء المذهبي سواء أكان ذلك لعشائر الفرات الأعلى أو الأوسط.

صارت طبقة الخطباء من الطبقات التي يقصدها النظام السياسي خصوصاً بعد عصر الجمهورية في عام 1958 سواء أكان ذلك القصد من أجل الاحتواء أم من أجل المحاربة وإسكات صوته..... فقد كانت مواقف السيد جواد شبر في زمن البعثيين هي السبب في الانتقام مني زوجته بعد أن يئسوا من أن يتمكنوا من استيعابه أو لوي لسانه بما يريدون منه أن يكون... أو بالمعنى الأعم هو محاولة تسييس المنبر وتسييس الحسين وتسييس المأساة وهو ما رفضه الخطيب الكبير رفضاً قاطعاً كما رفض من ذي قبل فكرة (أدلجة) الثورة الحسينية.

❀ ❀ ❀

صبراً نزيل السجن إنك ناهضٌ لتُعزّ شعبك والخطوبُ تَهونُ
ماذا يَضُرّكَ حين توقظُ أمةً من قاع سجنٍ أنت فيه رهينً
ولئن سرى في الكون صوتُك عالياً وحجبت، فالعلق الثمين مصُونُ

الفصل الرابع

التحقيق...

بعد شهرين من سجني في مركز الشرطة نودي علينا وكنت في ذلك الوقت أعاني من ارتفاع في الضغط بعد أن أصابتني حمى قويّة فمرضت ونمت في الفراش، وكانت النسوة جزاهم الله خيرا يهتميّن بي في فترة مرضي. . . . . . جمعت بعض من ملابسي ثم تحجبت جيداً خشية من أن يمارسوا معي التعذيب، ثم دخلت على مدير الأمن في النجف وهو الشخصية المُجرمة التي قامت باعتقال الشهيد الصدر (ت 1980).

وقد كنت في ذلك الوقت أجد صعوبة في المشي أو الاستمرار في الوقوف أكثر من دقائق، وقد قادني عناصر الأمن لكي أدخل عليه في الغرفة التي لم أتبين شكلها، حيث كانت الهموم التي تنتاب رأسي والتي كانت أكبر من أن أتعامل مع جماد، فقد اعتقدت بأنهم سيقتلون أولادي[1] أو أنهم قتلوهم فعلاً، وأنهم جاءوا بي لكي يساومونني على استلامهم أو أن ألوذ بالصمت أو الصبر.

---

(1) أكبر أولادي صلاح مواليد 1950، زيد مواليد 1952، حامد مواليد 1954، أديب 1955 (توفى)، أمين مواليد 1957. أما البنات فهن: الكبيرة هيفاء مواليد 1949، نداء مواليد 1958، سلوى مواليد 1960.

ابني الكبير صلاح أعرف أنه في مأمن من طغيانهم، فهو يدرس الدكتوراه في أمريكا، وزيد اختفى بصورة مفاجئة في عام 1982 لم نعرف أين ذهب، وهل هو حي أم ميت[1]، وحامد أيضا خرج من البيت بعد أن اخبرني بأنه لا يحتمل أن يلحقنا سوء بسبب نشاطه المعارض، ولم نره منذ عام 1982 أيضاً، أمين كان تواً قد رفض الانتماء إلى الجيش كجندي مكلف والتحق بالثوار على الحدود.

أما بناتي فالكبيرة أم حراء (هيفاء) معلمة في البصرة على حد آخر خبرها لازالت كما هي، أم سجى (نداء) هي مرافقتي في البيت، سلوى (أم محمد) تزوجت تواً وهي جارة لي. . . أما السيد الخطيب زوجي فقد اعتقلوه قبل سنتين ولا نعلم أخباره.

أوقفوني لساعتين في باب مدير الأمن لا أعلم كيف أتصرف وأنا في وضع نفسي مؤلم، وكلما أجد شخص يمر من أمامي اعتقده بأنه أحد أولادي جاءوا به أمامي. . . . . فالأم في ساعات المحنة تعيش هموم أولادها قبل أن تفكر بنفسها، وهو أمر فطري في نفسية البشر، فكيف في وضعي ونحن نعيش هموم قضية كبرى ونقاوم طاغوت أجرد قاس. . . . . فقد عاشت في مخيلتي طوال مدة الانتظار هذه صور أولادي وخصوصاً الغائبين منهم لأن الوحيد الذي أشعر تجاهه بالأمان هو الأول في أمريكا.

(1) الشهيد زيد مواليد 1952 كان جندي مكلف في جبهة الحرب مع إيران على الخطوط الأمامية، تناقش مرة مع ضباط البهو الذين كانوا هنالك في موضوع جدوى الحرب وأهميتها للعراقيين، وكان يرى في أن هذه الحرب هي حرب مُدبّرة لتحطيم البلدين الجارين. وقد تم رفع تقرير عنه إلى المخابرات عن ما تكلم به، بعدها بأيام لم ير في المعسكر. وقد أعلن النظام بأنه قُتل في المعارك ولم تُسلّم جثته إلينا وقد ترك زوجة ورضيعة.

فقد كانت شفاهي لا تفارق قراءة سور القرآن، وأدعية التوسل والاستغاثة بالصالحين وبآل البيت، ولكنني لم أبك ابدا، بل كنت متماسكة قويّة. . . هدف الاعتقال كان واضحاً في ذهني، أي أن الفكر الرسالي كان متجسداً في تفكيري بكامل صوره، كما لم يدخل اليأس إلى قلبي وأنا أواجه هذه الحالة لأول مرة في حياتي، بل لم أتصورها باعتبارنا عائلة معروفة ومحترمة، ولنا قدر كبير في أوساط المجتمع العراقي ككل. . . . . فعدد العلماء في عائلتنا أكبر من أن يُحصى، كما هو عدد الكُتّاب والأدباء والمؤلفين، هذا بالإضافة إلى سمعة زوجي الشهيد الذي يعرفه المجتمع العراقي خير معرفة لكثرة رحلاته التبليغيّة في المدن والقرى العراقية، يضاف إلى كل ذلك نشاطه خارج العراق في الخليج ولبنان وإيران وسوريا وتركيا وبقية دول المنطقة التي كان السيد يزورها من أجل تبليغ رسالة الحسين ورسالة الإسلام إلى الأمة.

بالتأكيد كان تصوري هذا غير صحيح بسبب عدم معرفتي بهكذا نظام وهكذا إجرام وجرأته على الإقدام على استباحة عائلتنا بهذه الصورة من الوحشية. . . فقد كنت في حياتي أحاول أن أسلّي نفسي في أن المخابرات سوف لن تُخطئ في المس بزوجي وبي وبالنساء عموماً. . . . . فالمجتمع النجفي مجتمع حساس جداً من موضوع اعتقال المرأة، ولم يحدث أن جرى ذلك على مدى قرون من الزمن، ربما آخر ما وصل إلينا من التأريخ هو إقدام معاوية (ت 61/ 680 م) على اعتقال زوجات المعارضين[1] والتنكيل بهن.

(1) زرقاء بنت عدي، أم الخير البارقية، سودة بنت عمارة، أم البراء بنت صفوان، بكارة الهلالية، أروى بنت الحارث، عكرش بنت الأطرش، الدارمية الحجونية.

المرأة في العُرف العربي لها تقدير خاص فضلاً عن التقاليد الإسلامية، وبالخصوص لدى الشيعة، المجتمع المحافظ الذي يرى الرجل قيمة في صون زوجته أو بناته. . . . . . . لقد ارتكب النظام جريمة بشعة وكبرى في ابتزاز المؤمنين من خلال نسائهم. . . . . كما أقدم على جريمة أكبر عندما أعدم العالمة الشهيدة صديقتي العلوية الطاهرة آمنة الصدر في عام 1980 تلك المرأة التي كانت تزورنا وتتفقدنا خصوصاً في أيام المحنة في منتصف وبداية السبعينيات، بعد أن اعتقلوا ابني زيد في عام 1969 ثم أثنين من أولادي حامد وأمين في عام 1974.

فقد فرّغ الله قلوب هؤلاء البعثيين من الرحمة على الناس ولم ينج من ظلمهم أحداً، حتى الأطفال والنساء والكبار، أنهم مجموعة من القتلة التي سيطرت على العراق في عام 1968 بعد أن ساعدتهم دول الجوار من خلال النَفَس الطائفي الذي كان يستعر في جنوبهم. . . . . . **فقد كان التشيّع الذي اعتنقه أبناء الفرات الأوسط من العشائريين هو السبب الرئيس الذي دفع شعوب المنطقة وخصوصاً السعودية في التآمر دوماً وعلى مدى التأريخ ومنذ القرن الثامن عشر للبحث عن فرصة للتخلص من هذا الشعب الذي يدفع ثمن انتمائه إلى آل البيت.**

اقترب مني جلواز جديد وقال: الآن يمكنك أن تدخلي على المدير. . قادني ذلك الشخص بهدوء وأنا أتوكأ على يده إلى أن دخلت غرفته فسلمت عليه فرد علي السلام. . . فسألني التالي كما أتذكر:

- أنت حرم السيد جواد شبر. . ؟
- نعم صحيح.
- لماذا جئت إلى هنا، أو لماذا جاءوا بك إلى هنا. . ؟

- لا أعلم أستاذ، فأنا امرأة مُسنّة أم لتسعة أولاد، مريضة مفجوعة بزوجي فهل من المعقول أن أتنقل من سجن إلى سجن. . ؟

- متى جئت إلى هنا. . ؟

- قبل ثلاثة أشهر.

- تريدين أن تعودي إلى البيت. . ؟ سألني. .

عرفت بأنه يريد أن يتلاعب بأعصابي، فلديه كامل المعلومات عن سبب اعتقالي وعن الخطوة التي سوف يتخذونها، فهي ليست عملية تلهية. . . . إنه تخطيط موضوع من أجل شل عقلي وتحطيم نفسيتي. . . . فأجبته:

- لا أدري أستاذ. . .

- لا أدري. . تقولين. . ؟

- بالتأكيد هكذا. . لا. . . لا أدري. . . .

- تعرفين لماذا جئنا بك إلى هنا. . ؟ بالتأكيد تعرفين. . .

- لا أعرف بكل تأكيد. . .

- تعرفين مشكلة زوجك جواد شبر. . أليس كذلك. . ؟

- زوجي يا أستاذ رجل موجّه وخطيب، يهدي الناس إلى طريق الخير، ويحثّهم على طاعة آبائهم وموجهيهم. ولم أسمع منه ما يُهدّد أو يُسيء إلى الوضع السياسي للبلد.

- إنه رجل طائفي أولاً. . . ثانياً علاقته (. . . .) بالصدر كانت عليها أكثر من علامة استفهام. . . . . . لقد تخلصنا من (. . .) وحكومة الثورة

قررت أن تفتح صفحة جديدة مع حوزة النجف ولكن كان زوجك (. . .) يقف موقفا سلبياً منا. . . .

- أستاذ إن زوجي شخصية تربوية، وإذا تلومونه فيمكنكم أن تلومونه على أنه غير سياسي، ولا يتعامل مع الحكومات، وهو ديدنه منذ اليوم الذي عرفته.

- الأكثر من ذلك هو ارتباط الشباب به، وتقليده في منطقه وأفكاره التي تثير الناس ضد الثورة. . . . . . لقد صبرنا كثيراً على زوجك ولكنه استمر في تحدّينا وفي محاربتنا. . . . . .

سكتت ولم أتمكن من أن أواصل التعاطي معه أو أن أناقشه بعد أن شعرت بأن ذلك قد يُثير الكثير من الشجون. . . . . فقد شعرت بتعب شديد من جرّاء الضغط النفسي المسلط عليّ في هذه الفترة.

- لقد أصدر الرئيس قراراً. . . . . قال مدير الأمن. . . .

- أي قرار. .؟

- بأن الحكومة تمتلك حق اعتقال ذوي المعارضين إلى أن يُسلّموا أنفسهم. . . . وأنت هنا جئنا بك إلى أن يُسلّم أولادك أنفسهم لنا، وإننا نعدك سوف لن نصيبهم بسوء إذا بادروا إلى تسليم أنفسهم[1].

- أولادي عندكم كلهم لم أرهم. . ثم عن أي ابن تتحدث. .؟ فزيد اختفى لا نعرف عنه أي شيء، وحامد كذلك، وأمين لا نعرف عنه أيضاً. أما الكبير صلاح فهو في الخارج يدرس على حساب الجامعة.

(1) أنظر الوثيقة رقم (2) في نهاية الكتاب.

- وأين محمد. .[1]. . . . . . ؟

- ليس لي ابن محمد، عندي فقط أربعة أبناء من الذكور.

- سنقبض عليه يوماً ما، وستبقين هنا إلى حين تسليم أنفسهم.

- انا لله وإنا إليه راجعون. . . . . .

- أتريدين أن تشاهدي عمن أتحدث أنا. . . . ؟ أرها أرها صورة المجرم محمد. . . أو حامد. . . صاح على أحد الجلاوزة. . . . . أعطوني صورة حامد بيدي وقلت لهم نعم هو هذا أبني وانتم أعلم به أين هو الآن. . . . .

- أره صورة المجرم الكبير صلاح. . . . هذا المطلوب رقم واحد. . صاح على جلواز آخر. . . . وقال لي: أهذا هو صلاح. . .؟ أم أنه غيره. . .

- لا أستاذ نعم أنه هو. . . .

- زين تعرفينه. . لنا موعد معه، وإذا لم يسلم نفسه نعرف كيف نستدرجه. . .

- لا حول ولا قوة إلا بالله. . . . .

- بالتأكيد أولادك سيعلمون بأمر اعتقالك. فإما أن يُسلّموا أنفسهم، وإما أن تبقين إلى أن (تخيسين) هنا في السجن.

- لا رادّ لأمر الله. . . . . .

(1) يبدو أنهم يخلطون بين الشهيد سيد حامد وبين السيد أمين الذي يحمل اسم مركب (محمد أمين).

- عندك أرقام أولادك. . . . ؟ لا بد أن رقم صلاح عندك. . . ؟
- لا. . أنه لم يتصل منذ أكثر من سنتين ولا أعلم عنه إن كان حيا أم ميتا. . . .
- هذا (. . . .) مجرم وحقود على الحزب والثورة وهو يقود المعارضة في أمريكا. . ألا تعلمين بذلك. . . . ؟
- صدقني لا أعلم. . . . . .
- أعرف دواؤهم. . . . . . هو أن تبقين في السجن لحين عودتهم. . . . .

طرق على الجرس جاء رجل مخابرات، وقال له خذها إلى المخفر ولنرى. . . . . أخذني الرجل إلى سيارة كانت تقف في الخارج وهنالك نقلوني إلى سجن مخفر شرطة النجف وأودعوني لديهم ثانية. . . . .

كانوا يستدعوني، ويستدعون البقية من السجينات كل عشرة أيام، وكل وجبة عشرة نساء لكل يوم، يأخذوننا صباحاً إلى غرف التحقيق التي أحياناً في البناية وأحيانا أخرى خارجها لا نعلم أين هي، ثم نعود عصراً، بعد أن يتأكدوا من أن أقوالنا متطابقة في المرات السابقة، وليس هنالك من تغيير في المواقف تجاه رأينا في السلطة أو في علاقاتنا بأبنائنا أو أزواجنا. . . . . . فعندما يجدون أية ثغرة في جزعنا من السجن فإنهم يساومون في الموافقة من طلاق أزواجنا أو التبرؤ من أبنائنا بشكل رسمي[1].

---

(1) قرار مجلس قيادة الثورة الذي يقترح التالي: ربما كمخرج للزوجة من الحجز هو طلبها الطلاق من زوجها الهارب حيث وفّر قرار مجلس قيادة الثورة المرقم 1529 في 31/ 12/ 1985 =

أما التحقيق في المرة الثالثة فقد كان بعد ثلاثة أشهر أو أكثر، بعد أن تم نقلي بسيارة (لاندكروز) وقالوا بأنهم ربما ينقلوني إلى بغداد، وقد كنت أعلم بأن نقلي إلى بغداد يعني نهاية رحلتي في الحياة[1]، ولم أكن في ذلك الوقت اتلمّس الخوف أو أعرف طعمه، بل زال بعون الله تماماً، خصوصاً بعد أن علمت بأن أولادي في مأمن من القدوم الى العراق، وكذلك أنهم ليسوا بأيديهم، بل أنهم يبحثون عنهم، ولو كانوا في سجونهم لساوموني أو لساوموهم في تقديم معلومات أو الانخراط في تأييد السلطة البعثية أو الانخراط في مؤسساتهم. . . . فقد كانت كلماتهم في التهديد لا طعم لها، ولا تجد في نفسي أي تأثير، بل أيقنت بأنهم كذّابون لا يعرفون غير لغة القتل والتعذيب، فهم بالتأكيد أقرب إلى صفة الحيوان ووحشيته منه إلى الإنسان. . . . . .

أخذوني إلى مكان لا أعرف أين هو، بعد أن طلبوا مني أن أطأطئ رأسي وأنا أجلس في السيارة، وهكذا فعلت. . فقد كان الشخص الذي رافقني في السيارة عارفاً بشخصيتي ومكانتي، فبادرني بشيء من الأخلاق بأنني سوف لا أتأخر كثيراً في التحقيق، فقلت له: لا أبداً أن جلدي (قد تدبّغ)[2] وليس هنالك من دواعي للخوف أو الرهبة، قال لي: يكرم جدكم. . . . . . .

= الصيغة القانونية للقيام بذلك حيث ينص: للزوجة حق طلب التفريق من زوجها إذا تخلّف أو هرب من أداء الخدمة العسكرية مدة تزيد على ستة أشهر، أو هرب إلى جانب العدو، وعلى المحكمة أن تحكم بالتفريق مع الاحتفاظ للزوجة بكامل حقوقها الزوجية. يُعتبر التفريق بموجب هذا القرار طلاقاً رجعياً. يجيز للزوج مراجعة زوجته إذا التحق بالخدمة العسكرية، أو عاد من الهروب خلال مدة العدة. أنظر ذلك على الموقع التالي:
http://saddamscruelty.blogspot.com/2009/02/blog-post_9746.html.

(1) عائلة آل الحكيم وعائلة آل بحر العلوم تم اعتقالهم وإيداعهم في سجون أبو غريب الرهيبة.

(2) مثل نجفي أو عراقي مفهومه هو أن الألم لا يؤثر فيّ بعد أن لاقيت أشد أنواعه.

وصلت إلى المكان نزلت بالاتكاء على هذا الرجل حتى دخلت في غرفة ليس فيها غير كرسي وطاولة، فجلست انتظر، وأنا أقرأ سور القرآن، وأدعية الأيام التي فاتتني اليوم، بالإضافة إلى تسبيحات الأيام، ثم السجدات التي كنت أؤديها وأنا جالسة على الكرسي، حتى سمعت صوت أقدام تقترب مني، رفعت رأسي إليه فوجدت شاب بعمر الثلاثينيات ذو شعر كث قد جلس في الكرسي الآخر وهو يقول:

- أهلاً حليمة، أهلاً بك. . . . . مرة ثانية نراك. . . كنت أعتقد بأنك غادرت السجن. . . هل غادرت وعدت ثانية. . ؟ هل جاءوا بك من البيت. . . ؟

- لا ابني أنني لازلت مسجونة في سجن النجف. . . .

- لم يقولوا لي ذلك. . . . .

- ربما نسوا أن يخبروك.

- كيف هو مكان إقامتك في السجن هنالك. . ؟

- إنه سجن يا بنيّ. . ماذا أقول لك. .

- سجن عن سجن يختلف. . . أليس كذلك. . ؟

- لا أدري ولا أعرف السجون.

- ايه. . أنا أقلك. . كل سجن له وضعه وشكله وما إلى ذلك. . .

- ربما. . . . . . . وقانا الله شر كل السجون. . . . .

- أنا كذلك أقول. . . . انتم عائلة محترمة وأناس جيدون. . لماذا عملتم بأنفسكم هكذا. . ؟

- أناس جيدون الكل يشهد على ذلك، وأنتم أول الناس تعرفون من أنا، وتعرفون زوجي الشخصية الخطيب الكبير جواد شبر الموجه الذي يعض الناس أن لا يرتكبوا المعاصي، ويُطيعوا ولاة أمورهم.

- والله . . يا حجيّة . . لو أنا بمكان أولادك . . . لما تركتك ليوم واحد في السجن . . . ولجئت وسلمت نفسي . . . وتعرفين بأن حكومة الحزب والثورة سوف تكون رحيمة معهم إذا سلّموا أنفسهم، وسوف يتم إطلاق سراحكم كلكم . . . . .

- انتم تسألون عن أولادي وهم عندكم . . . لا أدري ما أقول لكم . .

- لا . . لا . . . لا هذا مو صحيح (يا مرة) (هكذا تلفّظ للتقليل من شأن المرأة، بعد أن تغيّرت لهجته) . . . لقد قام ابنك الكبير (الكذا الكذا) بأعمال إجرامية كبرى في العراق وخارج العراق، وأنت تعلمين بذلك . . . ولكنك لا تريدين أن تخبرينا . .

- اقسم بالله ليس لي أي معرفة بما تقول، ولم أسمع عن أي من أولادي لأكثر من سنتين[1] .

- إنه قد شارك في تفجير وزارة التخطيط[2] . . ألا تعلمين بذلك . . ؟

---

(1) فعلاً صلاح لم يتصل بنا منذ عام 1982 بعد أن أرسلنا له خبر من خلال أحد المسافرين في عدم الاتصال بنا، لا من خلال التلفون، ولا من خلال الرسائل أو غيرها، بل امتنع تماماً في الاتصال بأي قريب من أقاربنا أو أصدقائك أو معارفك في العراق.

(2) عملية تفجير وزارة التخطيط العراقية هي عملية نوعيّة، قادها المجاهد الكبير أبو بلال في عام 1982، بعد أن دخل بشاحنته الوزارة، فهدّها عن بكرة أبيها بعد أن استشهد البطل، وكانت هذه العملية أول عمليّة يواجهها البعث في داخل العراق، بعد أن تم تفجير السفارة العراقية في بيروت على يد الاستشهادي أبو مريم في حزيران عام 1981.

- إنه في أمريكا وليس في العراق أو بيروت، ولا أدري هل هو هنا أو هنالك، فكيف يقوم بذلك وهو ليس هنا في العراق. . ؟

- إنه أحد المخططين وهو في أمريكا في هذا العمل الجبان[1]. .

- لا حول ولا قوة إلا بالله. . .

- لا تتنصلي من جرائم أولادك أنهم تربيتك، وأنت تتحملين نتائج عملهم.

- يا ابني هذا الكلام حرام. . . . . . أولاً، ابني صلاح أستاذ في الجامعة، وهو ليس من الأشخاص الذين يُساهمون في مثل هذه الأعمال. . كما انه لو قام بذلك كما تدّعي، وهو ما أستنكره طبعاً، فليس لي أنا المرأة العجوز أن أتحمّل ما يُفكر أو يعمل به الآخرون. . . . .

- يجب أن يُسلّم نفسه إلينا، ونحن نلاحقه في العالم وسنقبض عليه يوماً ما. . . . . .

- . . . .

- سوف أكون طيباً معك اليوم، ولو سمعت، أو تبادر إلى ذهنك عن ابنك هذا (. . . .) يجب أن تخبرينا. .

- كيف أخبركم أو أسمع منه وأنا في السجن. . . ؟

- أنت تسأليني. . أم أنا أسألك. . . . . ؟

(1) بعد أن اعتقلوني، ذهبوا إلى عائلة زوجة ابني صلاح، واعتقلوا والدها المربي الكبير الأستاذ عبد الله العبيدي (ت 2009) بعد تعذيب شديد لستة أشهر ثم أطلق سراحه. . . . والمربي العبيدي كان يشغل مدير المدارس الجعفرية، ثم مدير مدرسة العرفان في الكرادة الشرقية.

كان هذا الجلواز شخصية ضعيفة، لا يفهم من الحياة إلا ما تمّ تربيته عليه من إهدار كرامة الناس وترويعهم وقتلهم، من أجل أن يرضى عنه المجرمين الكبار الذين يقبعون خلف القصور. . . .

لقد ربى البعث منذ مجيئه إلى السلطة طبقة من هؤلاء القتلة، بعد أن تبناهم وهم صغار السن، فربط مصيرهم بمصير بقاء النظام، فعوائلهم وعلاقاتهم وطريقة معيشتهم مرتبطة بقوة النظام. . . . حدث ذلك بعد أن تم غسل أدمغتهم بطريقة تُمارسها المخابرات العالمية في سبيل إنتاج حفنة من الأوغاد القتلة ليمارسوا عمليّة إرهاب المجتمع والسيطرة عليه، خشيةً من الثورة أو الانتفاضة أو المطالبة بنسيم الحريات، حيث كان الأتراك هم سادة العالم في ابتداع هذا الأسلوب بعد أن استعاروه من القبائل الأوروبية، ولكنه حسّنوه بطريقة ما وأضافوا عليه طابع التشريع الإسلامي[1] والارتباط بالآخرة والجنة وما إلى ذلك من استقبال الرسول لهم كما هو الأمر مع فكرة الانكشارية[2].

---

(1) أنظر رأي علماء الجمهور في شروط الحاكم وشرعية سيطرته على الناس في كتاب الغزالي (ت 1111) المذكور في الهوامش أعلاه، وهي التي تنطلق في وجوب توفر ثلاث شروط للحاكم لكي يكتسب الشرعية في قيادة الدولة وهي: (القوة، النص، الوراثة).

(2) الانكشارية (Janissaries): هي القوة (المنظمة) التي حافظت على الخلافة العثمانية من الانهيار، فبقيت حاكمة لأكثر من ستة قرون، وهم عبارة عن أشخاص يؤخذون وهم صغار السن يُعزلون عن عوائلهم، ثم يتم تربيتهم في معسكرات خاصة على إتقان شغلة واحدة فقط، وهي القتل والقتال لا غير، مع أن البعض يتم تربيته على أمور متعلقة بذلك مثل التعذيب والمخابرات والاغتيالات وإدارة المؤسسات التابعة إلى الخليفة العثماني. كما يتم غسل أدمغتهم بأن السلطان هو أبوهم الحقيقي، وأن الله قد اختارهم لذلك، لأنهم مُفضلون على البقية من الشعب. . . . قام هؤلاء الانكشارية بدور هائل في قتل السلاطين العثمانيين وتبديل واحد مكان آخر، فتحولوا إلى قوة لا توازيها قوة في الدولة، إلى أن تم القضاء عليهم من قبل محمود الرابع (ت 1839) عام 1826 في واقعة مشهورة هي (المذبحة الخيرية). . . . وبعد =

إنه ليس بمستغرب في أن نجد العراق الآن، وبعد عام التغيير في 2003 قد صار مرتعاً واسعاً لمجرمي التأريخ، بعدما مارسوا القتل الذي لا يُمكن أن يتصور عقل الإنسان بشاعته وعظم قسوته. . . . **فقد كان كل أولئك الذين ربّاهم البعث خلال أكثر من ثلاثة عقود، هم الذين دخلوا ساحة الإرهاب باسم الدين، بدلاً من أسماء القومية والتقدميّة والبعثية وغيرها، فما دامت هنالك من نفسيّة جاهزة لزراعة أفكار القتل،** فقد تم استغلالهم من قبل قوى شريرة أخرى، فانطلقوا يُدمرون المجتمع بالعبوات الناسفة وبالأحزمة وغيرها من بشاعة القتل[1] . . . . . . فقد تحول الإرهاب من إرهاب (دولة)[2] إلى إرهاب (عصابات)[3] وجماعات تم تسميتها بأسماء براقة مرتبطة بالدين، الدين الذي استورثوه من سلطات الإسلام السياسي التي حكمت على مدى أربعة عشر قرناً[4] وأذاقوا المجتمعات العالمية شتى أنواع الإهانة والقتل والاستباحة.

= ذلك التأريخ بدأت الدولة العثمانية تسير إلى الانهيار، وهو ما يؤكد في أن النظام العثماني بكامله كان قائماً على فكرة إرهاب المجتمع. . أنظر في ذلك:
http://en.wikipedia.org/wiki/Janissaries.

(1) يُعتقد بأن عددهم عندما سقط النظام في عام 2003 كان يزيد عن مليون شخص، وهو رقم متحفظ جداً مع أن البعض يرى مضاعفة ذلك العدد بثلاث.

(2) مصطلح إرهاب الدولة يشير إلى أعمال الإرهاب التي تقوم بها الدولة ضد دولة أجنبية أو ضد شعبها. أنظر في ذلك الموقع المهم التالي:
http://en.wikipedia.org/wiki/State_terrorism.

(3) يُعرّف الإرهاب بأنه الأفعال العنيفة التي تهدف إلى خلق أجواء من الخوف، ويكون موجهاً ضد أتباع دين أو توجه سياسي أو هدف أيديولوجي، وفيه استهداف متعمّد أو تجاهل سلامة غير المدنيين. أنظر التعريف العالمي: http://en.wikipedia.org/wiki/Terrorism.

(4) البعض من الأسماء: مجلس شورى المجاهدين في العراق، تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين، دولة العراق الإسلامية، جيش المجاهدين، الجيش الإسلامي في العراق، كتائب ثورة العشرين، جماعة أنصار السنة، جيش الفاتحين، جيش الطائفة المنصورة، جيش رجال =

إن هذا الجلواز الماثل أمامي هو رقم من تلك الأرقام التاريخية التي سنّت سُنّة القتل والاستباحة لحُرم الإنسان وقيمه، وهو يعتقد بأنه ينفذ ما يتمكن فيه من أن يعيش على فُتات موائد المجرمين العتاة من زمر (البعث) ذو الثقافة البدوية. . . . . فهو أيضاً ضحية، وليس بالضرورة أن يكون جانياً . . . . . فالشعوب أحياناً تسير في طريق الجريمة بدون أن تعلم بذلك، وبما يتم به غسل أدمغتهم وتحويلها إلى نفسيّات يعشش فيها الإجرام.

قلت له أخيراً:

- يا ابني قل لي ما تريد لكي أجيبك بما أعلم، أما ما لا أعلمه فليس لي أن أتفوه به. . فقد كررت وقلت مراراً بأنني لم أسمع من أولادي لسنين، وفي كل تحقيق تعيدون نفس القصة. . أين فلان وأين فلان. . . . . .
- هذا واجبنا لنحمي الوطن من العملاء والدخلاء. . . .
- نحن عملاء. . !! نحن من بنى العراق ومن أشاد الخير. . أنظر إلى محافظات العراق كلها، فسوف لا تجد فيها إلا من آل شبر من هو في محل تربية الناس والأمة إلى طريق الخير وإرضاء الله. . . . . واسأل جماهير العراق كله عن زوجي الخطيب السيد جواد شبر الذي غيّبتموه في سجونكم لأكثر من سنة إلى الآن فسوف لن تجد عن ذكره وعن سمعته وعن وطنيته، إلّا ما يعكس حبه للعراق وللإسلام. . . . .

= الطريقة النقشبندية، سرايا الجهاد الإسلامي، جيش أبي بكر الصديق السلفي، كتائب صلاح الدين الأيوبي، سرايا الغرباء، جيش الراشدين، جيش العزة في العراق، جيش أهل السنة والجماعة، كتائب الحسن البصري، عصائب العراق الجهادية، كتائب القصاص العادل، منظمة الخضراء الإسلامية، حركة الكفاح الإسلامي، جبهة حماة العقيدة. أنظر في ذلك: http://en.wikipedia.org/wiki/Iraqi_insurgency_(2003%E2%80%9311).

- يا حجيّة. . . . . أنا لا يهمني الإسلام أو الوطن أو ما تقولينه. . . أنني أفهم بأنكم تتآمرون على (البعث) وعلى الحزب القائد، وعلى الرئيس الضرورة، وقد قمتم بأعمال شنيعة إجراميّة تمكنّا من قتل بعضكم، وبعضكم لازال مطلوباً من قبلنا. . .

- آه. . . . . ليس لي أن أقول غير ذلك. . . . .

- لقد قالوا لي عندما أردت التحقيق معك بأن هذه العائلة كلها تعيش بعقلية واحدة، أنكم آل شبر محكوم عليكم بالقتل لما تتآمرون به على الوطن. . .

- لكم ذلك. . وليس لي في أن أغيّر من موقفكم مادمتم تتعاملون مع مواطنين عراقيين بهذه العقليّة التي تُريدون الانتقام منّا بما لا يليق بمركز دولة.

- خلصينا. . خلصينا. . . . . يله طلعي من وجهي قبل أن أقتلك بمسدسي هذا. . . . .

- . . . .

- تعال أخذ هذي العجوزة (. . .). . صاح على جلواز آخر. . .

أخذوني مرة أخرى إلى غرفة مجاورة وأنا لا أعلم هل من الصحيح أن أواجههم بهذه الصورة، أو أنني ارتكبت خطأً كبيراً في التعجيل بقتل أولادي من قبلهم. . . .؟ لا أدري. . . . .؟ أن كل ما قلته هو فقط ما يكنّ به صدري، فليس لي أن أكون خانعة لهم وأنا في سجونهم، فليعملوا ما يحلو لهم من قتل أو تعذيب، فليس هنالك بعد تغييب زوجي الكبير

الخطيب جواد شبر وقتل أبنائي إلّا أن أرى الموت أو القتل هو الراحة التي أنشدها في حياتي[1].

❀ ❀ ❀

أسجناً يُريدون لي والسما. . .؟	مدى غايتي والفضا مرقدي. .؟
أسجناً يريدون لي، وهل يَمُت	هزارٌ على غُصُنٍ أملدِ. .؟
فلن يطمعُ القيدُ في معصمي	ولستُ مع القيدِ في موعد!!



(1) هنالك قرار من ديوان الرئاسة المرقم / ش.ع/ ب. / 4/ 29199 في 4/ 10/ 1987 في رفض تسليم الجثة أو شهادة الوفاة إذا كان هنالك من (سبب أمني). . . . . أنظر الموقع التالي:
http://www.gilgamish.org/printarticle.php?id = 23730.

الفصل الخامس

سجن النجف

لم تُخبر ابنتي نداء التي كانت معي لحين اللحظات الأخيرة من اعتقالي أي شخص عما حدث لي، بل كانت تتذرع عندما يتصل بها الأقارب أو الأصدقاء يريدون التحدث معي في القول بأنها مسافرة أو عند اختها بغداد. . . . . فقد كانت حائرة ماذا عليها أن تعمل أو تتصرف. . . . . فالنظام البعثي نظام شرس عديم الرحمة، جعل الكثير من الأقارب والمحبين ومن الأصدقاء أن يجدوا صعوبة في المشاركة، أو مد يد العون لنا في هذه الظروف، بل أن الكثير من الأصدقاء كانوا يتجنبون معرفة الأخبار أو التقرب منّا لكي لا يدفعوا ضريبة المساعدة التي غالباً ما تنتهي بضحايا منهم، سجناً أو قتلاً أو محاربة. . . . .

هكذا كان المجتمع النجفي الذي استسلم تماماً أمام وحشية البعث، وبدون أن يجد له من طريقة مشتركة لمواجهة خطته في قتل روح الإباء في المجتمع النجفي، فقد أعان ذلك المجتمع السلطة على نفسه، وأعطاهم أسرار السيطرة التي يتمكن بها من إحكام قدراته على مفاتيح الحركة والانتفاضة. . . . أو على الأقل رفض ممارساته القمعيّة ضد الأحرار وضد العوائل والأطفال معارضين كانوا أم غيره.

كانت ابنتي نداء حذرة في نشر خبر الاعتقال وكان حذرها منطلقاً من الخوف على البقيّة من المعارف والأصدقاء أو الأقارب، فقد أخبرت أختها الكبيرة العلوية هيفاء أم حراء[1]، فجاءت على جناح السرعة إلى النجف من أجل اتخاذ موقف موحد، كما أخبرت أختها الأصغر منها هي العلوية سلوى أم محمد[2] التي كانت قد تزوجت للتو ولم يمض على زواجها أكثر من ستة أشهر بعد أن انتقلت إلى بيت قريب من بيتنا. اجتمعت بناتي الثلاث وقررن أن يتداولن في الموضوع، وكانت تشاركهم الشخصية الملهمة ساجدة البغدادي[3] جارتنا التي كانت بالنسبة لنا قمة الصبر والتصبر. وكذلك السيدة الفاضلة أم هدى كوكب[4] وصار القرار أن يُطلب رأي واستخارة الشهيد الصدر الثاني[5] (ت 1999) فكانت الاستخارة مخيّرة أي

(1) هي البكر من عائلة السيد جواد شبر تولدت عام 1949 تزوجت من الحقوقي السيد حسن معز الدين، نجل العلامة الكبير السيد عباس شبر قاضي الشرع الشريف في البصرة، وعملت هنالك معلمة، ورزقت بابن واحد وثلاث بنات أكبرهم حرّاء.

(2) أصغر أنجال السيد جواد شبر تولدت عام 1960 وتزوجت من المفضال الحاج قاسم محي الدين ورزقت بثلاث أولاد وبنتين وكانت تعمل في التعليم في مدرسة الرباب الابتدائية في حي الحنانة.

(3) . هي ساجدة عبد الغني البغدادي (ت 2002) أستاذة في معهد الطب المهني في النجف، فقد كانت تمثل رفعة في الإيمان والأخلاق والثبات، اعتقلوها أكثر من مرة، بعدها أصيبت بمرض من جرّاء ذلك ثم توفيت. وكان الشهيد الثاني يحترمها غاية الاحترام ويقدّر علمها ودينها.

(4) سيدة فاضلة جليلة القدر عظيمة الشأن من أهالي البصرة اعتقلت لأكثر من مرة كما أعدم زوجها وبقيت هائمة على وجهها تتخفى من بيت إلى بيت هي وابنتها سمية، إلى أن تمكنت من أن تستقر في النجف بعيدة عن عيون الاستخبارات. . . . . بعد التغيير في عام 2003 كانت نائبة في أول برلمان تشكل في حكومة الجعفري الأولى.

(5) كانت العلاقة مع عائلة الشهيد الثاني حميمية ومنذ زمن بعيد. وقد واصل اهتمامه بالعائلة خير ما يمكن أن يصدر من شخصية علمية كبيرة. وقد استأجر الشهيد بيتنا في الحنانة بعد مغادرتي السجن، وهجرتي إلى بغداد، ثم زوّج كلي الشهيدين ولديه مؤمل ومصطفى في بيتنا هذا.

الترك أولى، قررنّ عندئذ أن ينتظرن لمعرفة تطور الأمور، مع أعتقادهن بأن الاعتقال للنساء ربما لا يزيد عن يوم أو ما شابه. . . . مع أن بناتي لم يعرفن أين أقبع، وفي أي سجن أنزل. . . . فقد اتصلت نداء بالجلواز الذي اعتقلني في نفس اليوم، فأخبرها بأن مدير الأمن لم يلتق بامك بعد. . . . استمرت نداء تتصل به ولكنّه لم يرد على المكالمة.

مضى أسبوع، ولا احد يعرف مكان وجودي وأين ذهبت، بعدها انتشر الخبر في النجف بأن هنالك عوائل وأطفالهنّ قد تم احتجازهن في سجن النجف. . . . وبمجرد أن سمعت بناتي الخبر، حتى هببن مسرعات إلى المكان المحدد، فوجدن آلاف من النساء والرجال يقفون خارج البناية يريدون معرفة الخبر عن زوجاتهم أو أمهاتهم أو أولادهم أو غيرهم ممن اعتقل. وكان المشهد مريعاً يكفي أن يكون نواة لتظاهرة كبرى تجتاح النجف، لتقول لهم لماذا سكوتكم، وأين هي شهامتكم ومفاخركم. . . . . ؟

كان الحشد الكبير يجتمع في باب المخفر، والشرطة تشتمهم وتهددهم كي يغادروا المكان، وعندما لم تنفع التهديدات تجرأ احدهم على الضرب بالعصي على الجمع من النساء، فجاءت ضربة أصابت ابنتي سلوى فسقطت على الأرض، وكانت حامل في ذلك الوقت، وعندما وصلت البيت أسقطت جنينها بسبب الخوف والتدافع والركض والضربة التي جاءت على ظهرها من الجلاوزة، فأخذتها الشهيدة الكبيرة ساجدة البغدادي إلى المستشفى وأتمت الخطوات التي يستلزم إتمامها بعد الإجهاض.

أخبر الأمن العوائل المحتشدة بأن المقابلة ستكون في الجمعة ولكن بعد أن ينتهي التحقيق معنا، وليس هنالك من تأريخ في موعد انتهاء التحقيق، فقد كانت أول مقابلة لي قد تمت بعد ستة شهر من اعتقالي، وهنالك جاء إلى السجن بناتي وبعض المعارف من الجيران وبعض الأقارب

مع بعض الطعام. . . . فقد كانت الفترة التي سبقت هذا التأريخ صعبة جداً عليّ وعلى بناتي، مع أنهم عرفن بأنني هنا في هذا السجن ولكنهنّ لم تستطعن رؤيتي ابدا الا بعد مضي ستة اشهر، فكنّ يأتين نهار كل جمعة تتوسلن رجال الشرطة وعناصر الأمن كي يسمح لهنّ فقط بإيصال طعام أو دواء لي ولكنهم كانوا يرفضون طبعا. .

وأخيراً بعد ستة أشهر تمكنت بناتي من رؤيتي من خلال فتحة الباب الصغيرة فقط، لأن الدخول إلى الداخل كان أمراً مستحيلاً بسبب عدد السجينات مع أطفالهن، فليس هنالك من وجود محل لقدم إنسان بأن يمر أو يسير. . . . وتمكنوا كذلك من إيصال بعض الطعام، وبعض الملابس واطمأنوا بأنني لازلت حية، ثم أعطوا إلى المخابرات والشرطة الكثير من المال والطعام ورجوهم السماح لهم بإيصال الطعام، فكانت بناتي تأتين لي بالطعام اسبوعيّاً، فلم تكن تسعفهم في كل الأوقات الحظوظ في قبوله من قبل السجّانين، وإنما في أحيان كثيرة كانوا يعودون إلى البيت بخفيّ حنين كما يقولون.

يقع السجن في قلب المدينة (باب الولاية) جهة الشمال، وهو تابع إلى شرطة النجف وليس إلى مخابرات الدولة، مكانه في بناية كبيرة تحوي دوائر المحافظة، والى جانبها هنالك غرف للتوقيف تقع في ظهر البناية المُطلّة على مقبرة وادي السلام التي تمتد باتجاه الشمال الشرقي المحاذية لطريق كربلاء[1]. . . وهذا السجن هو في الواقع ليس سجناً بالمعنى المعروف،

(1) بعد التغيير في عام 2003 هُدّمت البناية بكاملها وتحولت إلى حديقة عامة أو موقف للسيارات ولم يُترك منه أثراً، وهو أمر مؤلم لما تحويه هذه الأماكن من تأريخ وعلاقة مع مسيرة الصراع مع الشيطان.

بل هو نظارة أو توقيف خلال مُدد التحقيق، ولا ندري لماذا جيء بنا إلى هذا المكان الذي يُعتبر خارج حدود تحقيقات الأمن العام أو المخابرات...... فالسجناء السياسيون عموماً يتم اعتقالهم في معتقلات خاصة تابعة إلى مديرية الأمن العام[1] وهي المديرية المسؤولة عن التعاطي مع السياسيين أو المعارضين للنظام والتي تحولت إلى مديرية تابعة إلى صدام وليس إلى وزارة الداخلية.

سلمني عناصر المخابرات بيد الشرطة الذين أخذوني مباشرة إلى الزنزانة بعد أن سجلوا أسماءنا على ورقة وعلقوها على مدخل الزنزانة، بدون أي توقيع أوراق أو إجراء ما هو مُتّبع في السجون الأخرى في العالم كالتصوير أو السؤال عن صحة الإنسان أو ما إلى ذلك، بل قادوني وفتحوا الباب ورموني في الغرفة التي كانت تضم حوالي عشرين امرأة[2] فاختلطنا بهم نحن حتى وصل عددنا تقريباً إلى 35 امرأة مع 12 طفل..... فقد وضعونا في البداية بزنزانة طولها ثلاثة امتار وعرضها كذلك، لا يُمكن تصور قذارتها ورائحتها، لا تحوي أكثر من حفرة جانبيّة تُستعمل لقضاء

(1) هي الشرطة السرية أو جهاز الاستخبارات الداخلية العراقية... تم إنشاؤه عام 1921 أبرز رؤسائه هو بهجت العطية الذي أعدمه عبد الكريم قاسم في محكمة المهداوي الشهيرة بعد ثورة 14 تموز 1958. بقيت المديرية تحت إشراف وزارة الداخلية حتى العام 1990. وكان العاملون بهذه المؤسسة معنيين بالتحقيق أو استخدام وسائل الترهيب والتعذيب المختلفة.... من أهم من ترأس المؤسسة خلال عهد البعث هم: ناظم كزار، فاضل البراك، برزان التكريتي، علي حسن المجيد، عبد الرحمن الدوري، سبعاوي إبراهيم التكريتي، طه عباس الاحبابي، دحام مجول التكريتي، طاهر جليل الحبوش، رافع عبد اللطيف طلفاح التكريتي.

(2) هذا الصنف من النساء السجينات هن زوجات العسكريين ممن يُعتقد بأن أزواجهن قد فرّوا من الانضمام إلى الحرب، وقد مرّ على اعتقال هذه النسوة حوالي أربع سنوات.

الحاجة، وصنبور ماء ليس إلّا، وإحدى السجينات كانت شابة صغيرة لا يتجاوز عمرها 18 سنة، زوجة أحد الضابط من الجيش العراقي على جبهة إيران، اتهموه بأنه سلّم نفسه إلى إيران، فاعتقلوا زوجته الشابة الصغيرة، ومضى على سجنها أربع سنوات، فقد كانت تبكي بمرارة وجزع. . . . . كذلك رأينا في هذه الزنزانة امرأة عجوز، كبيرة لا تعلم ما يدور حولها، وهي فاقدة الذاكرة، ولعلها في أيامها الأخيرة من حياتها اعتقلوها للسبب السابق نفسه.

أول ما دخلنا ورأينا هذا الوضع المزري أصيب معظمنا بالإحباط، وقد أغمي على السيدة البلاغي (إحدى السجينات) في البداية، فطلبنا من الشرطة أن ينقذوها من الموت، ولكن (مُفوض) الشرطة قال لنا: أخرجوها لنا، فدواؤها هو تعذيبها وضربها عندئذ ستستيقظ. . . . . !!. بقينا في هذه الغرفة في أول ليلة، وهي لا تسع لأكثر من عشرة أشخاص، ولا نعرف كيف نمنا ونحن وقوف.

في اليوم الثاني بدأت الضجة تصل إلى عنان السماء من جرّاء الوضع المُزري الذي كنا نعيشه، وكان بُكاؤنا لا ينقطع، مع صراخ الأطفال المستمر، فقررت المخابرات نقلنا إلى زنزانة فارغة أكبر قليلاً من الأولى، بعد أن منّوا علينا كثيراً في رحمة الرئيس القائد بنا واهتمامه بصحتنا، وما إلى ذلك من كلام رخيص. نُقل معظمنا إلى الزنزانة الجديدة، وبقي العدد السابق من النساء اللاتي سبقونا في هذه الزنزانة.

كانت الزنزانة الجديدة عبارة عن غرفة لا تتجاوز مساحتها أربعة أمتار طولاً بأربع عرضاً، وثلاث أمتار ارتفاعا، فيها باب حديدية تضم فتحة صغيرة 20 سم طولاً بعشرين عرضاً. . . . في داخل الغرفة أو المعتقل شباك واحد في أعلى الحائط يطل على مقبرة وادي السلام، مساحة الشباك 30x30

سم. . . . . في سقف الغرفة مروحة نادراً ما تعمل، يضم السجن حماماً أي مرافق صحيّة شرقيّة، وفي أعلاها دوش للغسيل. . . . . . . أرضية السجن رطبة جداً منزوعة البلاط، تحوي الكثير من الحشرات، وربما ذلك بسبب أن المرافق الصحية غالباً ما تفيض بسبب رداءة التصميم والبناء. . . . . . مقابل هذه الغرفة هنالك غرفتان مخصصتان للنزلاء من السجناء بحجم أصغر من هذه. . . . . جدران السجن تتكون من الطابوق الأصفر المُغطّى بالجُص الآجر الأبيض مع امتلائه بالشقوق التي يحفرها النزلاء. . . . . . . من الجهة الأخرى تقع غرفتان إحداها لمدير الشرطة والأخرى للمراتب من منتسبي الجنود والشرطة، ثم ممر يُفضي إلى الخارج، وعندما يصل الإنسان إلى المكان يشعر وكأنه خارج البناية أي ممتد إلى جهة وادي السلام.

فكان أول ما التقيت هنالك بعائلة المجاهد الكبير الخطيب **السيد حسن القبانجي**[1] **أي (أم علاء) هي بنت العلامة الكبير المجتهد السيد جواد التبريزي** (لها أربعة شهداء من الأولاد أتذكر منهم عز الدين وعلي)، وبمجرد أن وقعت عيني على السيدة الفاضلة شعرت بارتياح كبير لما لهذه المرأة من صدق إيمان وعمق تفاني، فقد عرفتها قبل هذا التأريخ لقربهم من دارنا ولعلاقة السيد الشهيد زوجي مع والدهم. . . كان مع أم علاء بناتها، وكذلك أصغر أولادها محمد، وهو طفل رافق أمه عندما جاءوا لاعتقالها واعتقال السيد أبيه، وقد تم أطلاق سراح بناتها مع محمد بعد أن استفسر

(1) السيد حسن القبانجي شخصية لها وزنها في العلم والتقوى والتأليف، جمعت بين الخطابة والعلم والتأليف، وله كتب كثيرة أهما هو كتاب مسند الإمام علي. له تسعة من الأبناء الذكور.
أنظر ترجمته في الموقع التالي:
http://www.alkhaledoon.com/showthread.php?t = 58119.

الأب والأم من السجانين عن المكان الذي سيأخذون أولادهم إليه، قالوا لهم جاء أمر من الرئيس بإعدامهم، (وكانوا يكذبون عليهم) وبعد أسبوع تبيّن أنهم لا زالوا أحياء، فأبقوا المرأة المجاهدة، الأم معنا وزوجها العلامة الكبير في الزنزانة التي تلينا[1].

كان معنا كذلك المرأة المجاهدة الصابرة **الحاجة خيرية، أم سمير زاغي (زوجة الحاج عباس زاغي)** التي كانت مثال العزيمة والإيمان، وكانت بنهاية الستينيات، اعتقلوها بسبب عدم تمكنهم من إلقاء القبض على ولدها (علي) بعد أن قام النظام المجرم بإعدام ابن آخر لها. . . وبعد سنة من سجنها أخذها عناصر المخابرات من السجن مباشرة ورموها على الحدود مع إيران.

كذلك كان في السجن معنا السيدة الفاضلة **مليحة أم محمد** (من سلالة الرسول) من الكوفة حيث أعدم أخوها وهي داخل السجن، وقد اعتقلوها رهينة لحين عودة أبنها.

صورة أخرى من صور المأساة مع **السيدة (أم عمار) من عائلة (عبادين)**[2]. . . . . . كذلك كان معنا امرأة (أم منير) 35 سنة من عائلة (الياسري) السادة من الكوفة، ومعها ستة أطفال أكبرهم عشرة سنوات[3]. . . . . .

---

(1) المجاهدة الصابرة أم علاء زرتها في إيران قبل وفاتها في عام 1995 فوجدت أن إحدى يديها مصابة بالشلل.

(2) من أهالي الكوفة، امرأة في أواسط الثلاثينيات، جيء بها مع ستة أطفال (أثنان 13، 14 من أختها التي كانت زوجة متوفاة سابقة لزوجها) إحداهن بنت سمينة جداً (زينب) كانت تحتاج إلى مساحة لشخصين لنومها، أما أولادها المباشرين منها فهم أربعة بأعمار 3، 4، 5، 6 ذكوراً واناثاً. اعتقلوها بسبب عدم تمكنهم من إلقاء القبض على زوجها.

(3) اعتقلوها بسبب عدم تمكن السلطات من ألقاء القبض على زوجها (توفى في أثناء اعتقالها =

كذلك كانت الحاجة العلوية الفاضلة **أم رعد الخرسان** (48 سنة) التي كانت تمثل قمة الإيمان والعقل التبصر اعتقلوها بسبب هروب ابنها والتحاقه بالمعارضة، وقد أضربت أم رعد عن الطعام، واكتفت بالدخان، وأصابها بما يشبه الكآبة الحادة تركتها في وضع مزرٍ من الناحية النفسية، وكان زوجها معتقلاً معها في الزنزانة المجاورة (سيد هادي الخرسان)، وقد هددها المخابرات بأنهم سوف يُعرّضونها إلى ضرب الفلقة إذا لم تأكل الطعام[1].

معنا أيضاً المجاهدة الصابرة **(أم عدنان) مليحة مشكور مع زوجها**[2] من أهالي الكوفة (70 سنة) مريضة اعتقلوهما بسبب هروب أولادها[3]. . . . كان لهذه المرأة حفيد متعلقة به كثيراً، وكان يأتي لزيارتها

= بعد أن تزوج من امرأة أخرى في إيران)، وكانت فقيرة جداً، ومصابة بعجز في الكلى وتحتاج إلى غسيل للدم كل أسبوع، إحدى بناتها مريم 9 سنوات كانت بسبب وضع الازدحام في السجن تخرج إلى الباحة الخارجية فمنعوها أهلها في السماح لطفلتها بمفارقتها والخروج خوفاً من جلاوزة الأمن، ابنها الكبير منير 10 سنوات طلبت منه المخابرات تفتيشنا يومياً لعل إحدانا تمتلك سكيناً أو ما شابه. إحدى أولادها بعد إطلاق سراحهم درس الطب في إيران ويعمل الآن طبيباً في العراق.

(1) أصاب هذه المرأة المجاهدة حالة نفسية مؤلمة بعد أن صارت تستنجس كل ما حولها من أدوات وملابس وغيرها، وصارت تعيش حالة عدائية مع بقية السجناء لما تعانيه من ظرف ضاغط.

(2) توفي الزوج في السجن بعد أن منع عنه التطبيب ووسائل العلاج، ولم تُخبر الزوجة بذلك لمدة شهرين إلى أن عرفت بالخبر، مع أن زنازين الاعتقال كانت مجاورة، ومن الجدير بالذكر حدوث وفاة ثلاث معتقلين في زنزانة الرجال خلال فترات اعتقالنا . . . . . وكان سن المرأة أم عدنان المجاهدة لا تستطيع الاستحمام فكانت ابنتها الكبيرة تأتي كل عشرة أيام لتحميمها في داخل الزنزانة، وكان أحد أخوتها يعمل حاكماً في إحدى المؤسسات يأتي أحيانا لزيارتها.

(3) أولادها الثلاث ذو توجه يساري وطني وهو أمر يدل على اشتراك كامل مكونات الشعب العراقي في رفض الديكتاتورية البعثية.

في البداية، وقد قتل هذا الطفل بصاعق كهربائي فما كان من المرأة بعد أن علمت بالأمر إلّا أن جلست طوال وقتها تندبه وبحرقة كبرى تبكي الصخر.

من الأسماء الأخرى التي أتذكرها (**أم سلام**) (33 سنة) خيّاطة معروفة اعتقلت هي وزوجها بسبب هروب ابنها سلام... وقد تركت ثلاث بنات خلفها عند الجيران في يوم اعتقالها[1] وقد أصاب هذه المرأة الطاهرة خلال الشهرين الأوليين أزمة نفسيّة حادة توقفت عن الأكل تماماً (بقيت يومين غائبة عن الوعي بعد أن رفضت المخابرات نقلها إلى المستشفى) إلى أن وصلت الحالة بها إلى الموت، وبعد التوسل بالمخابرات نقلوها إلى المستشفى، وبقيت هنالك مُضربة عن الطعام لسنة كاملة فوضعوا في وريدها المغذي حتى خروجنا، ولا ندري ما حلّ بهذه المجاهدة فيما بعد.

كذلك **جيء بامرأتين** (70 و80 سنة) زوجتا أخوين من أهالي المشخاب من السادة العذاريين اعتقلوهما بسبب هروب زوجيهما وأولادهم إلى خارج العراق، وقد توفيت إحداهما في داخل السجن بعد أن أصيبت بمرض عضال غير معروف، فنقلت إلى المستشفى وهنالك توفيت فيما بعد.

وهنالك معنا السجينة **المجاهدة أم راضي 70 سنة** أميّة من أهالي الكوفة لها 3 أولاد وهي جدة لعشرة أحفاد، لوحقت المرأة وجيء بها إلى السجن وهنالك أصيبت في داخل الزنزانة بمرض فخشي الجميع من قسوة

(1) تقول بأن المخابرات هاجموا بيتها في الوقت الذي كانت تعد الطبخ لأولادها، فقالوا لها يجب أن ترافقينا إلى المعتقل، فما كان منها إلّا أن تركت بناتها الثلاث لدى الجيران، لأن أولاد المطلوب هم فقط المشمولين بقرار صدام في الاعتقال، ولذلك بقيت البنات الثلاث (الأخوات) عند الجيران خلال مدة الإعتقال بسبب التمكن من اعتقال الأب والأم.... وكان الأطفال بعد ستة أشهر يزورون أمهم في السجن.

ذلك المرض فأخرجوها إلى المستشفى ولم نعرف مصيرها إلى حين خروجنا.

أم ستار 40 سنة من أهالي الكوفة، كانت في البيت قد وضعت خضاب الحنة، فوصل في نفس اللحظة عناصر المخابرات فاعتقلوها وجيء بها وفي رأسها خضاب الحناء، فدخلت فغسلته في الحمام. تم اعتقالها بعد هروب أبنائها الاثنين واختفائهما عن عيون الأمن[1].

أم عباس 45 سنة من الشنافيّة أيضاً كانت معنا، كان لها ابن تركته في البيت عمره عشرة سنوات، وكان يؤتى به إليها في الأشهر الأولى إلى السجن، بعدها لم يعد يأتي، والظاهر بأن الابن قد قُتل أو مات بحادثة غامضة وهي لا تدري بذلك إلى أن جاء أحد أقاربها وبطريقة الصدفة عزّاها بموت ولدها بموته فبقيت تبكيه وتندبه يومياً وبدون توقف.

صبيحة الجزائري 22 سنة[2] خطيبة لأحد الشباب جيء بها مع أمها 60 سنة اعتقلت بسبب عدم تمكن السلطات من إلقاء القبض على اثنين من أولادها، وفي السجن تم إلقاء القبض على أحدهما فأعدم وسُلم جُثمانه إلى أقاربها، فأبقى النزلاء الخبر سراً إلى حين خروجنا، الأم لا زالت حية إلى هذا التأريخ.

---

(1) هي والدة الكاتب البحاثة فليح سوادي. . . . أنظر كتاب: كنت نزيل سجون صدام، فليح عبد الحسن سوادي، شركة الديوان للطباعة، بغداد، 2011.

(2) صبيحة بعد خروجها من السجن رفض خطيبها الذي كان يزورها في السجن أن تستمر علاقة الخطوبة معها، خشيةً من ملاحقة السلطات له فتم الانفصال، بعدها تقدم إليها ابن خالتها جواد الجزائري، وهي تعمل الآن مُدرّسة في إحدى ثانويات النجف، وزوجها موظف متميز في مؤسسة المهجرين.

أم عامر الحلو 50 سنة وزوجها السيد حسين الحلو 60 سنة[1] سيدة فاضلة وأم لستة أولاد اعتقلت بسبب هروب أبنها الخطيب العلامة المعروف السيد عامر الحلو مواليد 1952[2]، كانت المرأة ورعة دائمة السجود والصلاة، طيّبة حسنة المعشر ولكن ظروف السجن أثّر عليها فتركها عرضة للألم النفسي.

أم عزيز 48 سنة امرأة من أهالي الكوفة جيء بها مع زوجها إلى السجن على أثر هروب ولدها إلى خارج العراق[3]، وكان يزورها في السجن بناتها، إحداهن تعمل صيدلانية في النجف.

أم محمد 40 سنة نجفية جيء بها مع زوجها البلاغي[4] إلى السجن بعد أن تخفّى أبنها من الاعتقال، أصيبت بكآبة حادة في داخل السجن بحيث رفضت تبديل ملابسها فأقنعتها بأن تأخذ ثوبي وبطريقة هادئة لكي لا أثير شجونها فاقتنعت في آخر الأمر في اقتراحي بأن تُبدّل ملابسها وتتصبّر وتوكل أمرها إلى الله.

---

(1) وهو خطيب مشهور، وعالم معروف اعتقل سابقاً في سنة 1983 وأودع في سجون الأمن العام في بغداد.

(2) السيد عامر شخصية معروفة ومميزة خطيب ومؤلف، يعيش الآن في النمسا وهو يمارس عمله التبليغي والعلمي بكل كفاءة وقدرة.

(3) ويبدو أنه كان يساري التوجه . . . والخط اليساري كما هو معروف له قصب السبق في مواجهة الديكتاتورية في العراق، وقد قدم الكثير من الشهداء الكبار منهم سلام عادل (السيد حسين الرضوي) النجفي المولد الذي أعدم في عام 1963، أنظر في ذلك: (العراق: الكتاب الأول، الحزب الشيوعي، حنا بطاطو، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، وكذلك الكتاب الثالث، ترجمة عفيف الرزاز. مؤوسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1999).

(4) عائلة البلاغي عائلة معروفة مشهورة نجفية، أنجبت الكثير من أساطين العلم والثورة منهم محمد جواد البلاغي وغيرهم. أنظر (ماضي النجف وحاضرها - ج 2. جعفر آل محبوبة، صفحة 58. دار الأضواء، بيروت، 1986).

عزيزة 63 سنة امرأة مُسنّة، ذو شخصية رصينة من أهالي النجف زوجها من عائلة (عبرة) اعتقل كلاهما بسبب عدم تمكن المخابرات من اعتقال ابنها، أصيبت بوعكة نفسيّة منذ البدايات، فكانت تحتاج إلى الكثير من الرعاية، وكنت أهتم بها بعد أن نقلت فراشها إلى جواري لكي أعمل على تهدئتها.

أم هادي 40 سنة من أهالي الكوفة، جيء بها مع زوجها، وقد مات الزوج في السجن بعد سنة من اعتقالهما. لها ثلاثة أولاد، اعتقلت بسبب هروب ابنها الأكبر[1]، أما ولداها الآخران فقد انتميا إلى البعث وعملا في سلك المخابرات، وعند اعتقال أمهما أهملاها ولم يأتيا لزيارتها بسبب الخشية من غضب السلطة، فكنا نُعينها على تزويدها بالطعام وغيرها، وبعد فترة سبعة أشهر جاء ابناها إلى السجن، فوقفا في باب السجن وهما ينادون علينا في الويل والثبور وتجرئنا على مواجهة النظام، وكأنه أسلوب يرميان منه تخفيف غضب السلطة عليهما بسبب اعتقال أمهما.

أم فاطمة من أهالي النجف شابة 25 سنة اعتقلت مع طفلتها 4 سنوات، وتصادفنا في أول يوم من الاعتقال في غرفة المُحقّق مديرية أمن النجف، بعد أن وضعونا كلتانا على جانب الغرفة مشدودي الأعين ووجهنا إلى الحائط... وقد قادوني أنا وهذه الشابة قبل الغروب إلى غرف متعددة حتى أن حلّ بنا المقام إلى غرفة في سقفها مروحة يتدلى منها حبل، وعلى جانبها مجموعة من العمائم مختلفة الألوان، وبمجرد أن رأت هذه الشابة هذا المنظر حتى دخلت في حالة هستيرية من الألم والبكاء إلى أن وصل بها

(1) يبدو أن ولدها هادي كان يساري التوجه، وكما ذكرت في الهوامش السابقة الدور الكبير الذي لعبته كل الأفكار الحرة من أجل التخلص من الديكتاتورية العمياء التي أصابت العراق.

الحال إلى أن تقيأت وبقيت تنتحب وتضرب نفسها لأكثر من ساعة. . وبعد أن أفاقت اقتربت منها أسال عن مصيبتها، فرويت لي بأنها كانت معتقلة لدى المخابرات لأربعة سنوات، وأن هذه فاطمة ولدت في داخل الزنزانة بعد أن عجزت المخابرات من ألقاء القبض على زوجها، وقد تم الإفراج عنها قبل أسبوع من هذا التأريخ، والآن جيء بها ثانية إلى نفس المكان. . . . . . وقد بقيت هذه الشابة الطيبة مع ابنتها معنا في السجن الثاني إلى أن تم الإفراج عنا[1].

و لا أحب أن استمر في روايات كل سجينة مجاهدة كانت معي، فلكل منها قصة ومأساة يشيب لها الصغير ويجزع لها الكبير، ولذلك تجنبت أن أذكر قصصهن بسبب الخصوصية لوضعهن الآن.

قامت النساء باستقبالي بعد أن عرفنني، وأعطوني مكاناً في جانب الغرفة، في إحدى زواياها[2]، فالمكان هنا صعب جداً والتفضل في تقديمه إلى الآخرين يُعتبر عملاً بطولياً من المتبرع به. . . . . جلست وأنا في ذهول تام، بينما كان العرق يتصبب مني، وأنا أبحث عن منفذ إلى هواء يملأ رئتيّ، حيث وقفت بعض النسوة يحركن الهواء أمام وجهي بقطع تصنع من ورق النخيل (مهفاة).

---

(1) التقت هذه الشابة في عام 2014 مع ابنتي نداء التي تعمل في مؤسسة الشهداء بعد أن تيقنت من استشهاد زوجها منذ ذلك التأريخ، وبعد أن حصلت على أوراق تثبت استشهاده، فجاءت إلى المؤسسة للمطالبة ببعض حقوقها من الشهداء.

(2) كان في تلك الزاوية بناء على شكل مربع مرتفع تخرج منه رائحة كريهة جداً طوال الوقت، فكانت تلك الرائحة أقرب إلى رائحة الموتى بعد أن يتحلل جسد الإنسان، فكنت اشعر بغثيان على الدوام من شدة تلك الرائحة، أخيرا دفعت إلى الشرطة بعض المال كي يقوموا بإزالة هذه الرائحة فجاءوا بعد شهرين وأزالوا المكان المرتفع ويبدو أنه كان مخزناً للأسلحة في داخل الأرض وقد تكاثرت فيه الجرذان وبقية هوام الأرض لترسل تلك الروائح.

شعرت وأنا أدخل المعتقل الذي امتلأ بهذا العدد من النساء اللاتي كُنّ إما زوجات أو أخوات أو بنات أو أمهات المطلوبين من المجاهدين، بعد أن أصدر صدام (شخصياً) أمراً بملاحقة الهاربين (أم، زوجة، أب) وذلك كنوع من الإرهاب الذي سلّطه على الشعب، فقد شلّت خطوة اعتقال النساء العراقيات في الشعب وفي المعارضة القدرة على التفكير وعلى المقاومة أو العمل ضد النظام أو ما شابه......

فالمرأة في تفكير الشعب العراقي قد نقول عنها **خط أحمر** في التقرّب منها أو اعتقالها، وهي عادات التزم بها العراق منذ أزمنة بعيدة حتى فترات الحرب العراقية الإيرانية التي وفّرت إلى النظام العراقي الكثير من الذرائع في ملاحقة المعارضين السياسيين، من خلال ذويهم وأقاربهم ومتعلقيهم، هذا في الوقت الذي تمكّن البطش الصدامي من تفريغ العراق من قادة سياسيين أو معارضين، ولذلك بقيت المعارضة ليست مُنظمة أو ذات فعالية حقيقية في داخل العراق.... فلم يكن لها من قيادة واضحة تضع لها مفردات عملها سواء أكان ذلك على المستوى التنظيمي بما يخص الحركات الإسلامية أو على المستوى الشعبي.

الشعوب تخنع بل تضعف بشكل تام إذا تمكنت السلطة من تغييب القادة والعاملين والمنظّرين، وهو تماماً كان هدف البعث من اعتقال زوجي الشهيد السيد جواد شبر، فقد كان الشخصية الكبرى التي حملت الصوت المعارض للنظام بالشكل الذي تفهمه الجماهير النجفيّة والعراقيّة، وتتفهم عمقه... وأنا أتصفح في وجوه تلك النسوة معي، فأرى فيهن الألم والمأساة والظلم الذي لحق بهنّ لأنهن ينتمين إلى شخصيات وجدوا أن واجبهم الوطني يلزمهم في رفع شعار المعارضة أو المقاومة لنظام عشائري طائفي متسلط يلبس لبوس القومية والتقدمية، بينما هو في الواقع بدوي ذو توجهات عصبية طائفية عمياء.

لم يمر على العراق أبداً فترة مشابهة لهذه الفترة العصيبة، لا أدري إن كان هنالك من فترة مشابهة للوضع الحالي الذي كُنتُ أتحسس عُمق جراحاته التي بدأت تنتشر ما بين طبقات المجتمع العراقي المختلفة. . . . . . فالفترات منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة في عام 1921 ولحد مجيء حكم البعث كان فيه درجة من الحرية للشعب في أن يُمارس ما يعتقده وخصوصا في العهد الملكي[1].

فمن المعتقد كما يرى علماء الشعوب أن حالة الخوف هي حالة بيولوجية ونفسية معاً، ولكن هنالك شعوب تتقبل الخوف، وهنالك شعوب لا تتقبل الخوف، كما هو حالة تقبّل الجسم إلى مرض دون آخر، فالشعوب التي قاومت الطغاة هي شعوب رفضت فكرة الخوف قبل أن يستفحل في نفوسهم، بينما الشعب العراقي تقبّل فكرة الخوف وتعايش معها، كمن يتعايش مع مرض ما بدلاً من مقامته أو اكتشاف عقار للتخلص منه[2].

هذه الحالة، حالة التعايش مع الخوف في المنظور الاجتماعي العراقي

(1) أصدر صدام قوانين لم يتم تعاطيها في كل دول العالم الحديثة والقديمة مثل القانون المرقم 840 في 4/ 11/ 1986، بإعدام من يذكر الرئيس بإهانة. . . . وقانون رقم 31 آذار 1980 الذي لا سابقة له في كل الأمم بإعدام كل منتسبي حزب الدعوة، وقانون الإعدام الفوري لكل من يتخلف عن العسكرية ولو ليوم واحد. أنظر ذلك على الموقع الألكتروني: http://en.wikipedia.org/wiki/Human_rights_in_Saddam_Hussein%27s_Iraq.

(2) أنظر ثورات المصريين ودور عرابي وعمر مكرم، وانظر ثورات الجزائريين ودور عبد القادر وثورات اليمنيين، وثورات التونسيين، وثورات أوروبا وأمريكا وكل شعوب المنطقة وخصوصاً ثورات الربيع العربي وتبعاته. أنظر كتاب: (ثورات الربيع العربي، وعامل ثقافة التشيع، صلاح شبر، دار روافد، بيروت، 2015). وكذلك أنظر: (أشهر الثورات في التاريخ، صلاح الإمام، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، 2011). وكذلك كتاب: (ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، محمد مهدي شمس الدين، مؤسسة دار الكتاب الإسلامية، بيروت، 2006).

هي التي ولّدت الكثير من الأمراض التي شاركت أخيراً في خنوع عموم المجتمع إلى تقبّله بالواقع الذي سلّطه النظام، هذا في الوقت الذي كان هنالك شعوب ربما واجهت أنظمة لا تقل وحشيّة عن النظام العراقي[1]، ولكن الفرق هو أنها تمكنت من أن تعتبر عامل الخوف عاملاً غريباً غير طبيعي على مسيرة الشعوب، فرفضته وتصابرت في اقتلاعه من نفوس الشعب، بينما عجز قادة الجماهير العراقية من تفهم خطورة التعايش مع الخوف، فانساق المجتمع لقمة سائغة بيد حكام البعث، وبدأ يمارس ما لم يمارسه نظام من قبل مع شعب قرر أن لا يثور أو ينتفض.

المجتمع العراقي ومنذ عصر بعيد وربما لقرون من الزمن، يعيش حالة من الاحتقان النفسي حوّلته إلى مجتمع يميل إلى العنف كطريق في التعامل فيما بينه، ومع غيره من الشعوب، وهي صفة تراكميّة كما يُشخّصها علماء الجماهير، تنتقل من جيل إلى جيل يكون ضحيتها في الأعم هم قادة المجتمع المغيرين، الذين يُقتلون أخيراً على أيدي ذات الجماهير الذين فكروا في خلاصهم من قبضة الطاغوت.. إما بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة[2].

كان السجانون في النجف هم من طبقات المجتمع الشيعي أو الجنوبي ولم يكونوا من طبقات غير عراقية، فالوحشية التي تم التعامل بها معنا كانت

(1) أنظر تقارير المنظمات الدولية والتي توضح فيها سعة ووحشية انتهاك حقوق الإنسان والعوائل وطريقة التعذيب في السجون والتي ربما لا يختلف النظام العراقي عنها بشيء، وإنما ربما كانت تلك الدول أشد وحشية مما في العراق بعكس ما يحاول البعض تسويقه من أجل تبرير التقاعس والاستكانة، وتقبّل سياسة الأمر الواقع. أنظر التقرير التالي بالعربية:
http://files.amnesty.org/air12/air_2012_full_ar.pdf.

(2) ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

لا توصف، وليس لها من مُبرّر، لا في القانون الدولي ولا في عُرف عصبيّة القبيلة. . . . فلو كان هنالك من يستنكر هذا الأمر أو يرفض تنفيذ اعتقال العوائل أو تعذيبهم لم يكن هنالك من له القدرة على إبقائنا في السجن لسنة ونصف.

إنني لا أعتقد بأن الحالات الاجراميّة التي كانت تُجرى في العراق كان صدام شخصياً أو الدولة هي التي خططت لها بحذافيرها وتفاصيلها، أو بما يخص نوعيّة الاعتقال أو القتل أو التعذيب، وإنما المحيطون بالطغاة من مدراء الأمن ومن أعضاء الحكومة ومنتسبي الحزب كانوا هم من خططوا لذلك، لأنهم يحتاجون نفسياً إلى ممارسة هذا النوع من الاستهانة بكرامة الإنسان، وقد لا تجد ذلك مقتصراً على السلطات البعثية في زمن صدام، وإنما هي حالة تبقى ملازمة لأجيال الشعوب لفترة طويلة إلى أن تبادر الدولة أو المجتمع إلى معالجة الحالة النفسية الانتقامية التي يحملها الشعب بإرادته أو بدونها[1]، وقد سُجّلت حالات كثيرة في تعذيب السجناء في العقود التي تلت عام 2003[2].

هذه الدولة تحولت إلى (غول Monster) ضخم يتمدد على حسب حاجته الى العنف والقتل، ولكي تثبت دولة البعث (غوليّة) قانونها ومسيرتها فإنها جمعت الأضداد التي من المستحيل لها أن تجتمع إلا باستعمال عامل العنف أو عامل (الإلوهية) لأن الإله هو الوحيد القادر على جمع (الضديّة)

(1) العالم فكر وسجن، صلاح شبر، ص 51، دار العارف، بيروت، 2014.

(2) فقد وجدنا الحالة هذه لها أكثر من مصداقيّة حتى بعد التغيير في عام 2003، وبعد أن سيطر على الحكم الأحزاب التي كانت مُضطهدة في زمن صدام وهو الإسلام السياسي. . . . أنظر تقارير المنظمات الدولية ما بعد عام 2003. أنظر:
http://en.wikipedia.org/wiki/Human_rights_in_post-invasion_Iraq.

في الأشياء، فقد فرض على الشعب أن يعتقد بالمستحيل من مفاهيم الحب والبغض، الرحمة والعذاب، الحياة والموت، العائلة والتفرد، الدين والكفر. الدستور والديكتاتورية، كل تلك المفاهيم هي مفاهيم من الصعوبة للإنسان السويّ أن يعتقد باجتماعها، ما لم يكن هنالك إله قادر أن يُحقّق ذلك من خلال عالم البطش والإرهاب والقتل، فاعتقد الناس بأن البعث إله وأن قدراته خارقة لعقل البشر، وهو تماماً ما تحاول دولة البعث أن توحيه لشعوبنا التي انساقت مع الأسف خلف ما سُلّط عليها من قهر واضطهاد.

الوحشية التي مورست في كربلاء لم تكن صادرة (حصراً) من رئيس النظام بالتأكيد، سواء كان يزيد أو أبن زياد أو الحجاج أو صدام، وإنما كان رأس النظام قد مارس القيادة لكي يصل الشعب إلى الدرجة التي لا يتورع أن يذبح ابن بنت النبي. . . . فالشعوب تتّبع قادتها، خصوصاً قادتها المجرمين والطغاة، فهم يمارسون عملية القتل وكأنهم يمارسون وطنية وواجب عليهم تنفيذها وتنفيذ ما يزيد عنها. . . فقد شاهد العالم كيف قلّد صدام وسام الرافدين لأب قتل أبنه لأنه كان من المعارضين للنظام[1].

فقد تمّ التمثيل بالحسين وبعائلته من جرّاء التحريض الاجتماعي، ومارسه ذات الأشخاص بسبب العُقد النفسية (الشيزوفرينيا Schizophrenic) والروحية (Spiritual) التي تمتلئ بها نفوسهم ضد الآخرين من جرّاء واقع البطش والإرهاب الذي تُمارسه الدولة مع شعوبها. . . . . . فلم تكن تلك الجرائم منطلقة من تفهّم ايديولوجي ديني أو غيره، بل هي دوافع نفسية تتبناها الشعوب بصورة خارجة عن إرادتها وكأنها مُنومة مغناطيسيّاً باتجاه تحريض عنف وقتل.

(1) أنظر الوثيقة رقم 3 في نهاية الكتاب.

ففي أحداث الثورة الفرنسية تم قتل خمسة عشر ألف مواطن في عام 1792 بحجة تفريغ السجون(1) وهي ذات السياسة التي استعملها صدام في عام 1988 حيث قتل في تلك الحملة أكثر من ربع مليون سجين سياسي(2) (رقم غير موثق عالمياً). . . . ويُقال بأن الذي قام بالمجزرة فقط هم ثلاثماية فرنسي معظمهم من الاسكافيين والعمال والطباخين والقصابين، أي عوام المجتمع. . . . بمعنى آخر الطبقات المهملة من الشعب التي كانت ترى بأن واجبها يدعوها لارتكاب مجزرة. . . . وكذلك تجد الشيء ذاته في مجزرة كومونة باريس عام 1871(3).

هذا تماماً ما كان يتعامل به معنا الشرطة والضباط وبقيّة إداريي السجن، ومدير المركز ورجال المخابرات الذين كانوا يعتقدون بأن واجبهم الوطني يدعوهم لاعتقالنا بحجة أو بأخرى مهما كانت واهية. . . . . . . كما في نفس الوقت لم يتحرك الشعب ولم يهيّج الجماهير أحد لا من الأصدقاء ولا من الطيبين الآخرين، بل استسلم الجميع ورأى القسم الكبير منهم أن الذنب هو ذنب من يُقاوم النظام، مع أنه داخلياً كان يرى في ذلك التحرك المقاوم للنظام عملاً صادقاً ونبيلاً، ولكنه يرفضه لأن الهياج الجماهيري واستكانة الناس تُحتّم عليه أن ينساق خلف السلطة الظالمة.

من العجائب التي صادفتها وصادفها الكثير من المعتقلين معي من المجاهدات المؤمنات اللاتي سُجنّ من أجل كل الشعب وكل النجفيين، في

(1) غوستاف لوبون: سايكولوجية الجماهير، ص 161، ترجمة هاشم صالح. دار الساقي، لندن، (ISBN 1 85516 815 4) 1991.

(2) خطة إعدامات جديدة في العراق. تنظيف السجون على الطريقة الصدامية. جريدة الحياة اللندنية عدد: 1273، المنشور بتأريخ التاسع من كانون الثاني 1988.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/Paris_Commune.

أنهم لم يتلقوا أية مساندة وطنيّة أو لنقل نجفيّة[1]، ولم نسمع بأن أحداً منهم قرّر أن يقود تظاهرة، أو يقوم بإصدار منشور أو يتطوع إلى الحديث عن الموضوع مع الشخصيات الحكومية. . . . . فزوجي السيد جواد شبر كان له الآلاف من التلاميذ ومن الأصدقاء والمحبين، ولكن لم نجد منهم من انتفض ضميره بطريقة أو بأخرى في الضغط على الحكومة في إطلاق سراحنا أو تقديمنا إلى المحكمة لو كنا نحن جناة.

فلو تم إغلاق السوق الكبير في النجف لساعة واحدة فقط، وليوم واحد فقط، مطالبين السلطة في عدم الرجوع إلى دكاكينهم إلا بعد أن يُطلقوا سراح زوجة السيد حسن القبانجي وزوجة السيد جواد شبر وآل بحر العلوم وآل الحكيم وآل الحلو، بالإضافة إلى أربعين امرأة أخرى، لوجدنا صدقاً ونحن نُقيّم الحادثة الآن بعد مرور ثلاث عقود على أحداثها، لوجدنا بأن السلطة البعثية قد فهمت منطق النجف ومنطق الشعوب ولأطلقت سراحنا في نفس اللحظة[2].

فقد كان البازار الإيراني بوصلة مهمة في التغيرات السياسية الإيرانية وفي كل الثورات التي قادها المجتمع الإيراني، وكان آخرها هو ثورة 1979 التي تغيّر العالم على أعتابها. . . . . . كما كان البازار هو من أشعل ثورة

---

(1) النجفيون أصحاب نخوة وغيرة وشجاعة تميزوا بذلك منذ قدم الزمان، ومنذ أن بدأت النجف تصنع لموقعها في العالم الاسلامي دوراً مميّزاً، فالنجفي معروف في كل أنحاء العراق بأن الشجاعة والإباء هي من أهم صفاته ويُسمون أنفسهم (أولاد علي).

(2) في عام 1965 تم اعتقال السيد هادي الحكيم الخطيب في بغداد - الإسكان من قبل الأمن العراقي وذلك في زمن عبد السلام عارف (ت 1965)، فلم يكن من جماهير النجف إلا أن أغلقت السوق الكبير ليس إلّا، فكان ذلك إنذاراً بانطلاق ثورة كبرى في كل العراق، وعلى أثرها تم أطلاق سراحه بعد ساعتين من بداية الاعتقال. (هذا شاهد كاتب السطور، ولا أدري هل تم توثيق تلك الحادثة في مصادر أخرى أم لا).

الدستورية في عام 1906 بعد أن رفض دفع الضرائب إلى الحكومة القاجارية بسبب موقفها من عدم احترام الشعب ومواصلة سياسة الاعتقالات، نفس الموقف نجده في أول سقوط مريع إلى الشاه فيما قبل هروبه من إيران في يوم 16 كانون الثاني عام 1979، وهو اليوم الذي قرر البازار إغلاق أبوابه وإعلان الإضراب الكبير[1].

بل الأنكى من ذلك وجدت أن الكثير من الأصدقاء أو الأقارب (أنظر قانون معاقبة أقارب المعدوم)[2] وقد نأى بنفسه أو انزوى رهبة وخوفاً من أن يُصاب بأذى أو ما شابه. . . . . وللأمانة يجب أن أشيد باعتزازي بمواقف البعض من أقاربنا ممن وقف موقف الشجاع الذي لا تهزه الهزاهز ولا تُحرّكه الرعود[3]. . . . . . فالأمة عبارة عن كيان لا يختلف في قوانين

(1) أنظر كتاب ولي نصر: الشيعة والثورة، مترجم إلى اللغة العربية.
Vally, Nasr: The Shia Revival: How Conflicts Within Islam will Shape the Future. Publisher: W. W. Norton & Company, 2007.

(2) كتاب رئاسة الجمهورية المرقم ق/ 16/ 7415 في 7/ 6/ 1983 «تقرر ما يلي: 1. تسقط الجنسية العراقية من غير التبعة العثمانية استنادا إلى أحكام قرار مجلس قيادة الثورة المرقم 666 في 7/ 5/ 1980. . . . . 2. أما بالنسبة لعوائل المجرمين الذين يحملون الجنسية العراقية تبعيّة عثمانية فيرجى تزويدنا بقائمة باسمائهم بغية مفاتحة الجهات المختصة لاستصدار قرار من مجلس قيادة الثورة الموقر لاسقاط الجنسية العراقية عنهم. . . 3. الأخذ بمدلول العائلة على أنها تشمل الزوج والزوجة والأولاد». . . . . كان مصير العوائل حسب الكتاب المرقم ع/ 78/ 77001 في 14/ 8/ 1981 الإجراءات القانونية أو الحزبية والإدارية التي» تشمل: أخوة المعاقبين، أخوات المعاقبين، أبناء المعاقب، أبناء الأخ، زوجة المعاقب، نساء المحكومين بالإعدام وأبناء الأخت أو الأعمام أو الخوال. أنظر الموقع التالي:
http://saddamscruelty.blogspot.com/2009/02/blog-post_9746.html.

(3) لقد زارني الشهيد الكبير المهندس ملازم أول نزار محسن شبر عند سماعه باعتقال السيد الخطيب، وادعى بأنه استقرض مالاً منه قبل سنة وهو يحب إرجاع ذلك المال، ثم وضع المال وغادر من أجل أن يجد فرصة في التعاطف مع وضعنا العائلي. وبعد أقل من سنة على ذلك =

حركته وثورته عن قوانين الجسم الإنساني في طريقة رفض أو اتقاء الأمراض، أو كل ما هو دخيل على فسيولوجيته. . . . . فقد أحال الخوف والضعف كيان المجتمع إلى مُستسلم لكل ما يمكن أن يُمارسه النظام ضدهم وبشكل رخيص. . . . . فلو تمّت عمليّة الاعتقال هذه لعشرة نساء فقط مع أطفالهم في أي دولة أخرى من دول العالم التي تقودها حكومات ديكتاتورية لوجدت أن هذه المناسبة ستكون الشرارة التي تنطلق لتغيير عموم المجتمع.

فحادثة الطيب بوعزيزي[1] في عام 2011 وحرقه لنفسه في تونس كان يمكن لها أن تمر مرور الكرام لو أنها حدثت في العراق، بل والأنكى من ذلك وهو أن الناس سوف توجه اللوم له ولعائلته في عدم المبادرة إلى منعه من حرق نفسه. . . . **ولكن تلك الشعوب هي شعوب تمتلك خاصيّة الحياة، وليس خاصيّة التعايش مع المرض**. . . . فانتفض الشعب التونسي في أقل من أربعة وعشرين ساعة واسقط أحد أكبر ديكتاتوريات المنطقة. . بينما كان الناس من أصدقائنا يأتون لزيارتي عندما خرجت من السجن وهم يلومونني ويلومون السيد الشهيد الخطيب في قولهم بأنه كان مخطئاً في مقاومته لتحرير الشعب العراقي من الظلم الديكتاتوري البعثي الطائفي، ويضربون لذلك مثلاً عن فلان وفلان الذين داهنوا بل تعايشوا مع الخوف ومع مسيرة السلطة فبقوا وحققوا وضعاً مالياً أو اجتماعياً أو غيرها[2].

= تم إعدام الشهيد الكبير نزار، ثم اعتقال ثلاثة من أخوته المجاهدين عدنان وزوجته وابنه وأخويه الصغيرين مضر وقصي، هذا مع الإشارة أن والدهم المجاهد سيد محسن كان قد سُقي سم الثاليوم وهو الوحيد الذي بقي على قيد الحياة بعد تناوله السم وشفائه منه، تنقل أخته السيدة شذى شبر بأن عناصر الأمن اتصلوا بها وقالوا لها تعالي استلمي جثمانه وإلّا نرمية في الصحراء وذلك في 25/ 1/ 1985.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Mohamed_Bouazizi.

(2) كان الثائر محمد بن إبراهيم طباطبا العلوي خارجاً من بيته فوجد امرأة تستجدي الطعام في =

أدّت تلك الحالة النفسية للشعب النجفي أن يرى الأمور بالصورة المعكوسة التي أرادها النظام لهم أن يروها . . . . . بأن يرى مقاومة الظلم عملا أحمقا غير عقلاني، والاستكانة والتعايش مع الخوف والذل هو عينه عمل العقلاء. . . . وعمل أولئك الذين يفهمون الدين ضمن مفاهيم مطاطة منبثقة من مصطلح (التقيّة) التي تحوّلت إلى مفهوم تخديري يُعلّم الجماهير على إتقان فن الخوف والاستكانة لواقع الظلم. . . . . فقد انفجرت كما ذكرت ثورة المشروطة في عام 1906 في إيران التي غيّرت المنطقة بكاملها بسبب ملاحقة الشرطة لشخص خالف القانون ولكنه التجأ إلى أحد أئمة الجوامع (سيد محمد الطباطبائي) فقاومهم إمام الجامع وانبثقت الثورة الوطنية الكبرى إلى أن تغيّر النظام القاجاري في النهاية[1].

من الخطأ أن يعتقد البعض بأنني أريد أن ألوم مجتمعا دون آخر، أو قوما دون قوم، لا، وإنما كلنا مسؤول عن مساهماتنا في تمريض العراق والمجتمع النجفي في أن يصل إلى ما وصل إليه من إصابته بمرض التعايش مع الخوف، ذلك المرض الاجتماعي المزمن الخطير الذي يُحطّم روح المجتمعات. . . . . . فهل من المعقول في أن نرى بأن اثنين من أقرب مقربينا من الدرجة النسبية الثالثة أن يرفعا تقارير إلى الأمن في أنهما تبرءا من (. . .)

= أزقة المدينة، فتوجه لها وقال لها: (أنتِ والله وأشباهك تخرجوني غداً حتى يسفك دمي في سبيل المبادئ) وفعلا قاد ثورة كبرى أيام المنصور العباسي معروفة في التأريخ وقتل في أرض (باخمرى) وذلك على ستة عشر فرسخاً من الكوفة، من أرض الطف، وكان أبو حنيفة قد بايعه وأفتى بالخروج معه، أنظر:
http://imamsadeq.com/ar/index/book?bookID=127&page=15.

(1) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الثالث، ص 108. المصدر السابق.

السيد جواد شبر لأنه أعدم من قبل النظام بسبب معارضته. . .[1]؟.

دفعني رجل الأمن إلى داخل الزنزانة وهو يقول لي: خلي يفيدوك اللي ورطوك من أولادك. . . . دخلت الغرفة وأنا منهارة القوى، ولكن لست مُنهارة العزيمة، لقد كانت أحداث اليوم والاستجواب (الثالث) قد زادني إصراراً واطلاعاً على واقع البلد وعلى طبيعة المرض الذي انتابه في رفض مبدأ صناعة الثورة والرفض. . . .

لقد كنت قبل هذا التأريخ امرأة أعيش الطبخ وخياطة الملابس وأهتم في تنظيف البيت واستقبال الضيوف وغيرها مما اعتادت عله العوائل النجفيّة، وذلك بسبب تقارب بيوتات النجف، وضيق المجالات الأخرى أمام الترفيه. . . . . . فكانت جلساتنا النسائية هي بمثابة النوادي التي نتكلم بها عن ظروف المجتمع ولكن بشكل أقرب إلى التحلّل من المسؤولية منه إلى تفهم واجباتنا، وهو أمر كان المجتمع النجفي يعيشه بسبب الوضع العام الشيعي الذي توجه بعد فشل ثورة 1920 إلى الاهتمام بالذات أكثر منه التوجه إلى بناء المجتمع وبناء قواعده الثقافية. . . . . .

البعثيون في ثورتهم عام 1968 كانت بمثابة الناقوس الذي نبهنا إلى مستقبلنا والى الاهتمام بمستقبل أمتنا، لقد أدركنا عُمق الهجمة الكبرى التي شنتها قبائليّة الفرات الأعلى من بدو الجزيرة الذي تم تحضّرهم من خلال الانخراط في الجيش، والاهتمام بهم من قبل القوى التي تريد إبقاء سيطرتها

(1) حذفت وثيقتين في نهاية الكتاب كنت أنوي تقديمهما الى القارئ، لكنني وجدت أن الحكمة والتعقل يدفعانني إلى حجبهما وحجب أسماء الشخصين اللذين رباهما الشهيد الكبير زوجي في بيته وذلك بسبب إيماني بأن الدافع وراء إعلان براءتهما من زوجي هو الخوف والجبن وحب الدنيا وبيع الآخرة بما في هذه الفانيّة.

على العراق، فتحول الجيش القوة الوحيدة في العراق إلى كتلة مُغلقة لعرب الفرات الأعلى من التكارتة والدوريين والسوامرة والعانيين وغيرها من تلك المنطقة.

لم نكن نحن المجتمع النسائي على الأقل نُدرك عمق المأساة التي كانت تنتظرنا أو تنتظر أجيالنا من الأبناء أو الأحفاد، بل كان معظمنا قد انساق وراء مجهول لا نعلم ما هو، حتى الوقت الذي تغيّر من خلال مجيء البعثيين إلى الحكم. . . فقد كان همنا الوحيد هو الطبخ والتنظيف وكيفية استقبال الآخرين والتفاخر في الملابس وفي طريقة امتلاك الأموال.

وقد كانت الشهيدة الكبيرة بنت الهدي[1]، آمنة الصدر (ت 1980) أخت الشهيد الصدر (ت 1980) تأتينا منذ أواسط الستينيات محاولة تغيير عقلياتنا وإشعارنا بما يدور حولنا من هموم ومسؤولية، ولم نكن آنذاك ندرك ما تقول، بل نتصورها امرأة ناسكة مثقفة ترمي إلى خير الآخرة فقط. . . . . فقد كانت في منتهى الأخلاق في معالجة الظواهر الاجتماعية التي تسود النجف والتي تم استيراثها من خلال تأريخ عميق وطويل من توالي القوميات التي وصلت إلى النجف فاختلطت الأعراف بعضها بالبعض الآخر وصارت سمة التفاخر وإظهار القدرة المالية هي السائدة، وهو أمر لا نستبعده بسبب حالة الفقر التي كانت تسود المجتمع النجفي والشحّة في الموارد، وهذا ربما كان بسبب الهيكل الاجتماعي الذي كان يمنع طالب العلم الديني من التكسب أو الخروج إلى العمل في الحصول على رزقه، وإنما كان طالب العلم وطبقة دارسي العلوم الدينية في الحصول على معيشتهم من عطاءات

(1) أمها لأبيها هي أخت العلامة الكبير المجتهد الشيخ مرتضى آل ياسين (ت 1977) الطاهرة (بتول) كريمة العلامة المجتهد الشيخ عبد الحسين آل ياسين (ت 1932) ابنة خالته، وأبوها حيدر الصدر (ت 1937) العلامة الكبير.

العلماء التي هي في الحقيقة حقوق شرعيّة يدفعها الناس كجزء من الأخماس أو الزكاة والتي بدورها يوزعها العالم إلى طالب العلم الديني لكي يواصل دراسته في الإنفاق على عائلته أثناء الدراسة.

المجتمع النجفي تغيّر بصورة كبيرة بعد فشل ثورة العشرين، وبعد أن تم السيطرة بصورة محكمة على العراق من قبل البريطانيين الذين فرضوا سياسة مركزيّة الدولة، بعكس الأتراك الذين سبقوهم خلال أربعة قرون من الزمن، إذ كانت مناطق العراق أو مُدنه عبارة عن (كانتونات) تحكم نفسها ذاتياً إما من خلال سلطة الإقطاعي أو الشيخ أو من قبل الجماعات المسلحة التي تسيطر على المدينة (المليشيات) كما هو ظاهرة الشمرت والزكرت[1].

النجف في الواقع لم تكن في يوم من الأيام مدينة ذو سلطة مركزية أو ذاتية الموارد، بل هي مدينة كانت تسودها الأمميّة (العالمية) (Globalization) بما هو في المفهوم الحديث، كما حال مدن كثيرة في العالم تعيش بنفس أطر النجف مع الاختلاف في شكل تلك العالميّة التي نتحدث عنها كمدينة (بوسطن) في الولايات المتحدة الأمريكية التي تضم على صغرها ثمانين جامعة (هذا بدون تفرعات التخصصات والكليات المنتمية إليها)[2] التي تأتيها قوميات كثيرة من أجل انتهال من العلوم في جامعاتها، ولعل أشهرها جامعة (هارفارد) التي تُخرّج صانعي الرأي في العالم.

النجف كمدينة، كانت السبّاقة في الكثير مما يظهر خارج الحدود من قبيل الموضة النسائية أو شكل الطبخ أو التجارة أو التصنيع أو غيرها مما

(1) ماضي النجف وحاضرها، جعفر آل محبوبة، دار الأضواء، بيروت، 1986.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_colleges_and_universities_in_metropolitan_Boston.

يتم استيراده بسبب كثرة الأجانب الدارسين فيها[1]. . . ولم تقتصر مبادرات النجف على الجانب التجاري والإجتماعي، بل كانت بالتأكيد هي المبادرة إلى الانتفاضات التي حدثت في العراق والتي هي ثورة 1915، ثورة 1918، ثورة العشرين المشتركة. كما كانت المدينة التي وضعت أسس المشاركة النسائية في القتال (الدفاعي) كما هي الحادثة المشهورة في نزول **النجفيات إلى ساحة المعركة في أحداث الغزو الوهابي في عام 1807**[2].

فلم تكن المشاركة النسائية في الحياة الاجتماعية للنجف إلّا بسبب الانفتاح على الشعوب الأخرى التي تضع قيمة للمرأة أكثر مما يضعها (العرب) لها، فالإيرانيون شعب لا يتخلى عن مشاركة المرأة له في كل انتفاضاته وفي تقرير مستقبله. . . . فالمرأة الإيرانية أكثر تحرراً من المرأة العربية[3] أو النجفية، فالعرب يتعاملون مع المرأة على أنها مُلّك عزيز

(1) ولذلك فقد صارت المدينة هذه من المدن التي تُعتبر ربما الأولى في العراق في أعوام الخمسينيات والستينيات في التصنيع وخصوصاً صناعة السيارات وأدواتها، كذلك تحولت إلى سوق كبير للكثير من البضائع الأجنبية بسبب قربها من الصحراء التي تتصل بالسعودية والكويت والأردن وذلك بعد النهضة العمرانية التي سادت مناطق الخليج.

(2) بعد انتصار الوهابيين في كربلاء عام 1806 م توجّهوا إلى النجف وبمجرد أن وصلوا هنالك كانوا يقولون بأننا لو لم نكن على الحق لما انتصرنا، فواجههم النجفيون مواجهة الندّ بالندّ فهزموهم شر هزيمة وقتل من أهالي مدينة النجف خمسة أشخاص وكان يقود النجف آنذاك الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت 1812) (صاحب كتاب كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرّاء، وصار لقباً لعائلته وذريته من بعده، ولا تزال ذريَّته تسمى بآل كاشف الغطاء) فخطب في النجفيين خطبة مشهورة ثم نزلت النجفيات إلى ساحة المعركة وهن يشجّعن المقاتلين من كلّ فرقة وهنّ يقلن: أما تستحون على نسائكم أن تُهتك وأموالكم أن تُنهب وتذهب غيرتكم، وعلى أثرها نقل النجفيون خزانة الإمام علي إلى الكاظمية خوفاً من هجوم آخر، وهو فعلاً ما تمّ بعد مضي خمسة سنوات، أنظر: (ماضي النجف وحاضرها، جعفر آل محبوبة، المصدر السابق).

(3) منذ الزمن القديم للدولة الساسانية كانت المرأة لها دور كبير في قيادة دفة الحكم، فقد حكمت =

وثمين، وعليهم أن يحافظوا عليه من أن يمسه السوء، ولذلك كانوا يفرضون عليها البقاء خلف الحُجُب والتستر بما يمنعها من الاحتكاك بالمجتمع الذي في عمومه هو مجتمع (ذكوري) تسود فيه أعراف السيطرة الرجالية، وهي حالة مستورثة منذ القدم متعلقة بحالة البداوة التي سارت عليها أمم العرب في الجاهلية، وبقيت إلى الزمن الحالي في منع المرأة في أن تسود الرجال في قدراتها وفي طريقة سيطرتها على الحكم أو القضاء، ولا أدري الحديث المروي عن البخاري(1) في إكراه تأمير المرأة على الناس وهو أمر لا يمكنني أن أناقشه لأنه لا يقع في ضمن اختصاصي البحثي.

ويتذكر المجتمع العراقي والنجفي جيداً دور السيدة العالمة فاطمة (ت 385/ 995 م) بنت الحسين بالأطروش(2) الملقب بالناصر الكبير (قبره في آمل قرب بحر قزوين محافظة مازندران) الذي تمكن بعمله وقيادته على تحويل أمم الديلم (جمهوريات آسيا الوسطى) الى الإسلام أو التشيع. بعد أن قضى على دولة السامانيين المتعصبة. . . . . . هذه السيدة هي أم الشريفين الرضي (ت 406/ 905 م) والمرتضى (ت 436/ 1015 م)(3) التي

= أربعة نساء الدولة الساسانية ولكن أهمهم هي (بوران دخت) أو (پور اندخت). . . وفى فارسنامة أنّها كانت عاقلة جداً وعادلة ذات سيرة حسنة، وحين أصبحت ملكة أعفت الناس من دفع الخراج وبسطت العدل فيهم، ومدة حكمها سنة وأربعة أشهر 629–630 م. . . . وقد تشبهت بخُمانى بنت بهمن، وحكمت الناس من وراء حجاب، وأمرت بقتل خسرو فيروز قاتل أردشير. ثم حكمت (أعظمي دخت) وهي بنت كسرى أبرويز، دام حكمها ستة أشهر.

(1) من السنة ما روى أبو بكرة أنه قال لما بلغ نبي الإسلام محمد أن أهل فارس ملّكوا عليهم بوراندخت بنت كسرى قال: (لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة). . . رواه البخاري في الصحيح 2: 333، والمسعودى ص 111، في التنبيه والأشراف، ص 96، والثعالبى، تاريخ غرر السير، ص 409.

(2) https://en.wikipedia.org/wiki/Hasan_al-Utrush.

(3) قبري هذان العلمان الكبيران يقعان في الكاظمية باب الدروازة.

جاءت بولديها الى العلامة النحرير المفيد (ت 413/ 1022 م) لتنشأتهما نشأة علمية متينة، فتحول كليهما الى شخصيات تناطح السحاب في العطاء والعلم والتقوى والجهاد[1] للطائفة الشيعة فكان الرضي هو من جمع تراث (نهج البلاغة) وكان الثاني هو مؤسس (علم الكلام) الإمامي.

وربما أقرب شخصية نسائية (تأريخياً) تأثّر بها المجتمع العراقي هي (قُرّة العين) (ت 1269/ 1852 م) التي كانت تسكن كربلاء[2] (كربلاء كانت مركز الحوزة العلمية آنذاك) والتي وسّعت دعوتها في الانفتاح إلى بغداد والكاظمية وذلك في زمن أبي الثناء الآلوسي مفتي العراق (ت 1270/ 1854 م) ونجيب باشا الحاكم. . . . وهي المرأة التي كانت ترمي التجديد في الواقع النسائي بغض النظر عن ما تم كتابته عنها من الأعداء أو المحبّين، فقد أثّرت هذه المرأة في الوسط العراقي بالعموم، خصوصاً وأن أحداث الدستور العثماني والدستور الإيراني وتأثيرهما على الوسط العراقي الذي كان يردد ما يجري في اسطنبول وإيران، فقد استباح داوود باشا (ت 1267/ 1851 م) في عام 1826 كربلاء والحلة وقُتل فيها أكثر من خمسة عشر ألف شيعي، كما استباحها في عام 1842 نجيب باشا ورمى ضريح العباس بالرصاص وقتل 24 ألف مواطن[3].

لم يتم سجن قرة العين في سجون الشرطة أو المخابرات كما جرى

(1) المرحعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية، القزويني، المصدر السابق.

(2) (قرة العين) زريّن تاج القزوينية (ت 1852) هي أديبة وعالمة وشاعرة، بنت العلامة الكبير ملّا صالح القزويني، كانت تلقي الدروس في مدينة كربلاء عام 1843 (انظر الوردي، لمحات اجتماعية، الجزء الثاني، ص 152).

(3) تراث كربلاء، تأريخها، عشائرها، أسرها، أعلامها سلمان هادي آل طعمة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، كربلاء، العراق، 1964.

علينا (مع الفارق في شأن العقيدة) بل تم سجنها أو توقيفها في كربلاء في دار الحاج مهدي كمونة (الكليدار) (ت 1272/ 1856 م) ثم أخلي سبيلها خلال بضعة أيام لأنها امرأة أولاً وعالمة ثانياً، كما تم سجنها لشهرين أيضا في بغداد في دار المُفتي الآلوسي والذي لم يكن سجناً بل ضيافة بعد أن ترك لها بيتا كاملا تستقبل فيه زوارها ومريديها[1]، كما كان الآلوسي يناقشها ولم ير مما قيل عنها بأنها قد أحلّت ما حرم الله... بعدها أتى قرار العثمانيين من اسطنبول بترحيلها إلى إيران باعتبارها إيرانية الجنسية، فلم يكن من السلطات إلا أن خيّروها بمن يرافقها، فسافر معها حشد كبير من الناس إلى الحدود الإيرانية وهنالك أقيم لها احتفال كبير في أول مدينة وصلتها.

المجتمع النجفي العراقي هو في الواقع مجتمع معرفة، والمعرفة صنو النضال والتحرر من طغمة الظالمين، فبدون المعرفة لا يمكن صناعة انتفاضة أو ثورة بغض النظر عما تكون عليه تلك الثورة، إسلامية ربانية كانت أم وضعية من أفكار الإنسان كاليسار أو اليمين أو القومية[2]..... فقد بقيت زينب بنت علي (ت 62/ 683 م) هي الرمز المُشرق للنضال والصبر ليس فقط للمسلمين، بل إلى كل محبي الخير والحرية على مدى الصراع التاريخي الكبير مع الباطل.... كما تقف إلى جنب زينب أسماء

(1) علي الوردي، لمحات اجتماعية، الجزء السادس. المصدر السابق.

(2) فقد كتبت زوجة اليساري رحيم عجينة (ت 1966) بشرى برتو مذكراته في كتاب (الاختيار المتجدد)، كما كتبت ثمينة ناجي يوسف كتاب عن زوجها النجفي المولد العلوي النسب الشيوعي الانتماء كتاباً عن نضال زوجها سلام عادل حسين الرضوي (ت 1963) سمته: سيرة مناضل في جزأين، وكذلك سعاد خيري أرملة المناضل الشيوعي زكي خيري (ت 1995).
ويمكن مراجعة جهود المرأة العراقية في مدونة إبراهيم العلاف على العنوان التالي:
http://wwwallafblogspotcom.blogspot.com/2013/06/1921-2003.html.

لامعة كبرى لن يتمكن التأريخ من أن يتجاوز قدسيتها في مسيرة صراع العقل مع الشيطان. . . . . تلك الأسماء كانت لنا المعين في داخل هذا القبو في السجن البعثي الرهيب الذي لم نسمع به قبلاً ولا مارسه أي من أنظمة العالم الثالث أو غيره.

إنه لمن الواضح أن البعث بسبب ضعفه وقلة إدراكه كان قد جاء بنا إلى هذا المكان لكي يتبرأ من تهمة الاعتقال الأمني في وضعنا هنا في سجن وقتي، وهي خطوة غير موفقة من قبله في طريق امتصاص نقمة المجتمع النجفي الذي في الواقع لم يكن يمتلك القوة على النهوض، بعد أن تمّ شلّ قدراته بعامل الخوف وعامل ملاحقة الأبناء والأحفاد، وهو سلاح نعترف بشموليته وقدرته على شل قوة المعارضة ضد النظام.

لقد كان اعتقال ومن ثم إعدام الشهيدة الكبيرة آمنة الصدر بنت الهدى في عام 1980 على مرأى ومسمع من المجتمع النجفي أو العالمي أمراً لا يمكن تفسيره بلحاظ غياب معطيات مبررات التفسير ذلك. . . . فقد حاولت تلك المرأة أن تُحشّد المجتمع النجفي كما يذكرها الشيخ النعماني في كتابه[1] بعد أن تم اعتقال أخيها الشهيد الصدر في عام 1979 وفي عام 1980 ولكن المجتمع كما ذكرت كان لا يختلف عن شعب زمن الإمام الحسين قبل حادثة الطف في عام 680[2]، كان عاجزاً من أن يحمي نفسه أو يحمي أي فرد من أفراد عائلته، أمام حالة من الضغط النفسي والاجتماعي المعنون بعناوين مختلفة والتي دخلت في وجدان المجتمع بشكل جعلته غير قادر أن يقول ما يمكن قوله في المعارضة.

فلم يجد النظام في عام 1980 بأن هنالك من استجابة للاعتقال الأول

(1) الشهيد الصدر، سنوات المحنة وأيام الحصار، النعماني، المصدر السابق.
(2) ثورة الحسين، شمس الدين، المصدر السابق.

الذي تم فيه احتجاز الشهيد الصدر وأخته خصوصاً بعد أن احتجزهما ما بعد إطلاق سراحهما في المرة الأولى في بيتهما، ومنع عنهما الآخرين من زيارتهما أو الاتصال بهم. . . . . . بعد تلك الواقعة لم يتوان هذا النظام الفاشي من أن يبادر إلى قتلهما بتلك الطريقة الوحشية، وهي أول امرأة في تأريخ التشيّع خلال أكثر من أحد عشر قرناً يُمارس معها عملية الإعدام بهذا الشكل المكشوف من المواجهة مع الجانب النسائي. . . . لقد عالج هذه الحالة الرهيبة المُذلّة سيد البلغاء وهو يصف غارات الأعداء على بلده والذي تمثّل بالنساء في شحذ همم العراقيين في مواجهة ما ينتظرهم من مصير صعب محسوم[1].

بالتأكيد كانت الشهيدة الكبيرة سلوى البحراني (ت 1980)[2] ممن

---

(1) وَلَقَدْ بَلَغَنِي أن الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلُبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرُعُثَهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ.

(2) هي ابنة رؤوف البحراني الوزير السابق في عهد النظام الملكي (استوزر 8 مرات) وأخت الطبيبان المشهوران إحسان وزهير البحراني، وزوجة الطبيب المشهور سلمان تاج الدين، وأم الطبيب الكبير سعد تاج الدين. تم اعتقالها في سنة 1979 ثم سقيت سم الثاليوم بعدها تم الإفراج عنها، وعندما تسرب السم إلى مناطق الجهاز العصبي بدأت آثار الموت تسري في جسدها، فأدخلت في نفس الردهة في مدينة الطب التي كان أخوها إحسان البحراني يمارس تدريس طلبة كلية الطب فيها، حيث لم تبق أكثر من أسابيع بعد أن تساقط شعر رأسها وأكل السم كل أعضاءها فأسلمت روحها لبارئها. وأثناء اعتقالها في بيتها تمكن ابنها الطبيب سعد من الهرب فلم يجدوا غير حفيدها الرضيع (سلمان) فأخذوه إلى سجونهم كمحاولة ابتزاز من النظام في فرض تسليم والده إليهم، ولكن سعد كان قد غادر إلى خارج العراق، فتدخلت عائلة آل البحراني في الموضوع فأطلق سراح الرضيع وترك عند خالته كرهينة على أمل أن تخبر السلطات في حال معرفة مكان أبيه. . . . . . للشهيدة الكبيرة مؤلفات في الخياطة وفي فن الطبخ. . . أنظر في ترجمتها كتاب أخيها د. إحسان البحراني: (نبضات الذاكرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2011). وكذلك على الموقع التالي:
http://www.alshuhadaa.com/readtxt2129.htm.

حاول تجاوز فكر المجتمع الخامل الذي لم يألف في تأريخ أعمار أبنائه أن يدرك معنى الفعل الثوري تجاه اعتقال أمرآة أو الخدش في خدر حرائر الكرام من شخصيات الأمة. . . . . لقد كانت هذه المرأة الشهيدة العظيمة من أعز صديقاتي وأقربهن لقلبي لما تميزت به من طاقة وعلم وموهبة، فقد التقيتها في أول مناسبة في زواج ولدي الكبير صلاح في عام 1978[1]. في ذلك الوقت ازدادت حدة الاعتقالات في الوسط النجفي وفي أنحاء العراق للكثير من طالبات الجامعة بعضهن كنّ في بداية خطوبتهن مما فرض على الزوج أن ينتظر حسب المدة الشرعية، وهي كما اعتقد سنتان ثم إجراء مراسيم الطلاق باعتبار أن زوجته مفقودة. . . مع الاعتقاد بموتهن على يد جلاوزة البعث، بينما الواقع هو أن العقيلات المجاهدات كن يأوين في سجون خاصة لا يعرف بهن حتى من أقاربهن، بل اعتقد الجميع بأنهن مقتولات، وفعلاً فإن الكثير منهن تم قتلهن، أما الباقيات فإنهم هربن من السجن عندما خرج العراق من سيطرة البعث بعد حرب الخليج الثانية عام 1991 بفعل الانتفاضة الشعبانية المباركة. . . فقد شجع النظام قتل الأبناء أو الآباء على يد ذويهم مع إعفائهم من الملاحقة القانونية إذا ثبت بأن القتيل معارضاً للنظام[2].

---

(1) تزوج ولدي الكبير في عام 1978 بعد أن سعت الشهيدة سلوى البحراني في تقريب العلاقة مع زوجته طبيبة الأسنان أثمار العبيدي، بينما كانت الشهيدة البحراني تدير مجلة كلية الطب في نفس المكان.

(2) قام الرئيس بتشجيع العائلة على قتل أفراد من عائلتهم إذا كانوا مخالفين أو معارضين أو حتى هاربين من الخدمة العسكرية. بدأ ذلك عندما قلد الرئيس في لقاء تم بثه في التلفزيون في عام 1986 شيخا مقعدا (هاشم. . .) وسام الرافدين من النوع المدني لإقدامه على قتل ولده لهروبه من الخدمة العسكرية. كذلك أمر الرئيس في ذلك اللقاء إرسال الشيخ إلى تشيكوسلوفاكيا على حساب الدولة للعلاج الصحي. . . . وبعد تلك المقابلة ابتدات الصحف بنشر عدة حوادث =

فمع الأسف لم يصدر إلى الآن كتاب توثيقي عن أسماء المعتقلات أو اللاتي قتلن داخل السجون من المجاهدات، أما اللاتي هربن أو تم إطلاق سراحهن بعد الانتفاضة فلعلي أعرف ثلاث أو أربع منهن يعملن الآن في العراق ضمن مؤسسات خدمة المجتمع.



أنا لست من مستسلمين لواقع ألفوا فساده
أنا لست ممن يطلبون النصر يأتي بالعبادة
عندي الفروض بلا جهاد كالجنود بلا قيادة
واليتُ آلَ محمدٍ وأخذت عنهم كل عادة
أنا لم أجد منهم إماماً مات وهو على الوسادة
حتى العقائل منهمُ قارعن من غصبوا السيادة
أنا لا أرى في الموت دون عقيدتي إلّا سعادة

= أقدم فيها أفراد على قتل أفراد آخرين من عوائلهم لعدة أسباب أكثرها كانت متعلقة حسب ما نُشر حينها، بهروبهم من الخدمة العسكرية. . . . بالطبع تم إعفاء القتلة من التبعات القانونية لفعلهم بقرار من مجلس قيادة الثورة، كالقرار 707 في 27/ 8/ 1986 الذي ينص على: (يغلق التحقيق ضد (رجل) منتسب في الجيش الشعبي لقتله ابنه خالد وشقيقه فهد في 16/ 4/ 1986 وتقفل كافة الإجراءات القانونية ضده) والقرار 714 في 31/ 8/ 1986 الذي ينص على: (يغلق التحقيق ضد (رجل) المتهم بقتل شقيقه سعد وتوقف كافة الإجراءات القانونية ضده) (انظر الوثيقة رقم 3 مع صورة الأب القاتل).

الفصل السادس

داخل السجن

جلست في إحدى الزوايا الأربع بعد أن تفضلت علي أحداهن، وكانت قريبة من الحمام وهو أمر جيد ومزعج في نفس الوقت، فالحمام مشغول[1] دوماً لكثرة الاحتياج إليه من قبل الناس، فقد وصل عددنا إلى حوالي أربعين امرأة خلال شهر، بعد أن تم اعتقال المزيد من العوائل وجلبهن إلى المعتقل مع أطفالهن، والبعض منهن كن مع أطفالهن الرضع[2] وهو جو غريب بسبب حاجة الأم إلى المزيد من حليب الأطفال أو الحفاضات التي يستخدمها الطفل أو ما إلى ذلك مما تستخدمه الأم في رعاية الطفل.

كانت معظم النساء من العوائل الشريفة الرفيعة ذو الأرومة المتأصلة، كما كان البعض منهن تسكن خارج النجف أي من الريفيين الذين هم بالأصل من النازحين الذين استقروا على ضفاف الأنهار واعتنقوا التشيّع

---

(1) أحياناً يدخل شخصان في وقت واحد لقضاء الحاجة.

(2) صفية 25 سنة، زوجة الشيخ عباس (من حي الحسين) النجف جاءوا بهما مكبلين وهي في اليوم الثاني من ولادتها (النفاس) بمولودها البكر بسبب هروب أبن زوجها إلى خارج العراق، وجيء معها بكل ما تحتاجه المرأة حديثة الولادة من حفاضات (قماش) وحليب وما إلى ذلك، وبقيت المولودة الصغيرة في السجن سنة ونصف تنمو مع آلامنا ومآسينا تبتسم أحيانا فنبتسم لبراءتها وكأن الباري أراد لنا ما يشعرنا بمفهوم فناء الحياة وتجديدها.

مذهباً بسبب ملائمته إلى واقع معيشتهم، وبما يشعرون به من صعوبة الحياة. . .

كان وقتنا في الغالب الأعم هو كيفية الذهاب إلى الحمام وكيفية قضاء الحاجة، ثم إن كان هنالك متسع من الوقت أن نغسل ربما مرة واحدة كل عشرة أيام. . . . . فالصيف داخل المعتقل حار جداً، خصوصاً في شهري حزيران وتموز مع أن الصيف في العراق ربما يصل طوله إلى ستة أشهر صعبة جداً على من هو خارج السجن، فكيف بنا نحن مع هذا العدد من النساء والأطفال والرضّع وبقيّة الشابات اللاتي جئن مع امهاتهن. . . . . . كان الوضع في الداخل سيء بشكل لا يوصف، فالحالة النفسية للسجين كانت متأزمة ننفعل لأتفه الأسباب لما سُلّط علينا من واقع مؤلم ومن ظرف لا يمكن مقارنته ببقية سجون العالم كإسرائيل(1) وسجون مصر(2) في السابق(3).

فقوانين الأمم المتحدة ومنظمات معاهدة جنيف تُقر بأن يكون السجن ذو شروط تُلزم السجّان في توفيره، منها أن تكون هنالك من مساحة كافية

(1) عدد السجينات في كل فلسطين هم 20 سجينة تم الإفراج عنهن:
http://www.iba.org.il/arabil//arabic.aspx?classto=InnerKlali&type=1&entity=574411&topic=0.

(2) كسجن ابو زعبل وسجن طرة والسجن الحربي وسجن العقرب وغيرها من السجون المشهورة. أنظر في ذلك كتاب: (الحرب النفسية، معركة الكلمة والمعتقد، صلاح نصر، الجزء الأوّل، دار القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة، 1967).

(3) وللحقيقة أقول بأن تلك السجون كانت ربيعاً مقارنة بما وجدت عليه السجون البعثية التي تغيب فيها أبسط قواعد احترام الإنسان، ولا أدري كيف سلب الله الرحمة من قلوب هؤلاء فجعلهم يبدون حيوانات شرسة مجرمة ليس لها في التأريخ مثيلاً. أنظر: (أيام من حياتي، زينب الغزالي، دار الشروق، مصر، 1984).

لحركة السجين فيما يخص ذهابه ومجيئه وطريقة انجاز عمله وغيرها، كما تمنع القوانين الدوليّة سجن الإنسان بدون توفر تُهمة يُقرّها قاض بعد أن يتم المرافعة في محكمة محايدة، وإلّا فلا يمكن اعتقال شخص بدون محاكمة لأكثر من 24 ساعة بعدها يتوجب أن يحضر كل 72 ساعة أمام قاضي يدرس ظروف إطلاق سراحه.

أما السجين السياسي أو سجين الرأي، فهو أمر مُنافٍ للأعراف الدولية، **فالسجن فقط هو للمجرمين**، والمجرمون هم القتلة فقط أو الذين يعبثون بأمن المجتمع من إرهاب أو قتل أو ترويع أو ما إلى ذلك. . . . . فالعراق كما نعلم هو من الدول التي وقّعت على معاهدة جنيف التي تخص السجناء السياسيين، ولكن الذي حدث هو منع الحكومة أي مراقب من المنظمات الدولية[1] في الوصول إلى العراق لمعاينة السجون أو المعتقلات. . . . . كما تلزم المعاهدة في تعيين مكان السجون وموقعها وهي عرضة للتفتيش في أي مك ان وبدون سابق إنذار[2]. هذا بالإضافة إلى أسماء المعتقلين وعناوينهم وأعمارهم وطبيعة صحتهم في القدرة على تحمّل السجن، كما يجب أن يتم رفع الأسماء إلى المنظمات الدولية بصورة دوريّة مع ذكر عدد المرات التي تم إحضارهم أمام القضاء وغيرها من شروط لم يُطبّق العراق ولا واحدة منها، نعم ولا واحدة، بل تركنا هنا في جو مشحون مملوء بالأمراض مع الصراخ المستمر للأطفال ومعاركهم وطريقة

(1) أثناء اعتقالنا في السجن قام النظام المجرم بتمويه، بعد أن ادعى بوجود بعثة من الأمم المتحدة لزيارتنا وهم في الحقيقة عناصر من الأمن لاكتشاف من يجرأ على الكلام، فدخلوا علينا وهم يسألوننا هل أننا مرتاحين فأجبناهم نعم تمام الارتياح. . . !

(2) أنظر مقررات الأمم المتحدة الخاصة بالسجن السياسي على الموقع التالي باللغة العربية: http://www.cihlhr.org/home/2010-05-12-22-51-25/2010-04-03-23-11-35/122-2010-04-03-23-06-45.html.

معاملة أمهاتهم لهم وحاجتهم المستمرة إلى الحمام وتفشي أمراض البول الليلي بسبب الواقع النفسي للطفل وللأم[1].

كنت اشعر بالسعادة عندما استحم كل عشرة أيام وذلك لصعوبة الاستحمام في ذلك المكان المكتظ، فكنت أطلب من السجينات ربع ساعة على أكثر الاحتمالات لكي أتمكن من أن أغتسل، فقد انتشر القمل بشكل كبير فيما بيننا، قمل الجسم وقمل الرأس وخصوصاً بين الأطفال الذين كانوا في وضع مزرٍ من كثرة حك أجسامهم ورؤوسهم التي غالبا ما تنتهي بخروج الدماء من الجروح والتي غالباً ما تتحول إلى جروح صعبة الاندمال بسبب كثرة الجراثيم وانتشارها[2].

كانت الأرض التي أجلس عليها في السجن رطبة جداً بسبب فيضان الحمام والنجاسة التي تملأ الغرفة مع الروائح الكريهة المنبعثة منها، فعندما يحدث ذلك يكون هنالك ما يشبه الإنذار حيث نبتدأ بجمع ما نجلس عليه وتجتمع النساء في زاوية لكي نقوم بعملية إعادة القاذورات إلى الحمام، مع التوسل بعناصر الشرطة في أن يجدوا لنا حلاً إما بتوسيع أنابيب المجاري أو السماح لنا باستعمال حمام آخر، فهذا المكان مُصمم ربما لخمسة أشخاص بينما يستخدمه الآن أكثر من مائة وخمسون شخص في حاجتي الغسل

(1) أنظر تقرير حالة السجون العربية: تقرير المنظمة العربية للإصلاح الجنائي حول أوضاع السجون والسجناء فى بعض الدول العربية (الأردن- البحرين - تونس- سوريا - العراق - ليبيا مصر - المغرب - اليمن) (www.aproarab.org).

(2) لقد نقلوا كل المعتقلين من الأزواج الرجال (25 رجلاً) إلى مركز الحجر الصحي في منطقة بعيدة عن النجف (خان النص) بعد انتشار حشرة الجرب (Mites) فيما بينهم وبقوا هنالك إلى أن تم السيطرة لحد ما على انتشار تكاثر هذه الحشرة. .

والطهارة وهو أمر صعب جداً على الإنسان أن يتعايش مع ظرف من القسوة ومن غياب أبسط لوازم الحياة(1). .

فأي استهانة بكرامة الإنسان بهذه الصورة من تسلّط هؤلاء المجرمين ونحن نساء كل واحدة منا أم قد أنجبت على الأقل خمسة أولاد، فليس هنالك من احترام للإنسان أو للأمّ أو للمرأة أو للعائلة. . . . . . فقد قرر البعث أن يستهين بنا بما يتمكن وأن يكسر في داخل نفوسنا روح الرفض لواقع ديكتاتوريته العمياء التي أراد بها إذلالنا، بل ربما إذلال النجف كلها، وإذلال الطائفة برمتها، وهو ممارسة بدويّة تنبع من صلب فلسفة تلك الفئة التي سيطرت على العراق في عام 1968.

عندما حلَ فصل الشتاء في بداية تشرين الثاني والى حين نهاية آذار كان من الصعب استعمال ماء الحنفيّة العادي في الغسل بسبب برودة الجو، فطلبنا من الشرطة أن يجدوا حلاً للموضوع، خصوصاً وأن هنالك أطفال معنا، فقالوا لنا بأنكم في سجن وليس في بيوتكن، فهل تتوقعون منا أن نخدمكم أو أن نُوفر لكم ما تريدونه. .؟، فإذا كان ذلك فما معنى أن تكنّ سجينات. . . . . . منطق أهوج، بل هو قمة غياب الإنسانية في أبسط قواعد العقل(2). . . .

(1) في ليل حار في شهر تموز وفي ساعة متأخرة من الليل فتحت الباب وأدخلوا علينا حوالي عشرة نساء، يبدو عليهن أنهن رعاة من البادية بسبب نوعية الملابس واللهجة، وكنّ في حالة من الوساخة ذو ثياب رثة ممزقة، فسألناهم عن قضيتهم قالوا بأننا رعاة بدو بين العراق والسعودية، وقد دخلت إبلنا بدون علمنا الأرض العراقية فاعتقلونا مع رجالنا وجاءوا بنا إلى هنا. . . . ورجالنا في زنزانة الرجال، وكن هؤلاء النسوة في حالة لا توصف من الجوع والملابس الممزقة والوساخة فقمنا بالاهتمام بهن بعد أن غسلنا لهن، ثم وزعن عليهن ملابسنا وأطعمناهم، وقد بقين هؤلاء النسوة بضعة أيام ثم غادرن السجن.

(2) أحيانا كانت المخابرات تأتي بنساء مجنونات ويرمونهن معنا، ونبقى نعاني من تصرفاتهن =

فبعد أن تأزّمت الأمور إلى الدرجة الكبرى طلبت من ابنتي التي كانت تزورنا في أن تُعطي إلى الجلاوزة رشوة كبيرة من أجل أن يسمحوا لنا بشراء سخان للماء، ففعلت ذلك، فكانت تُعطي ذلك السجّان (الشيعي) كل شهر ما يعادل أضعاف راتبه من أجل السماح لنا في الحصول على وقود لتسخين الماء وتزويدنا بالماء الحار مرة كل أسبوع يأتي ضعيفاً جداً مع الحاجة الكبرى له.

فالإنسان مهما كان انتماؤه فهو ابن بيئته، وابن مبادئه التي انتمى إليها أو اعتقد بها. . . . . أنني أعتقد بأن السجانين الذين كانوا يُديرون السجن كان يمكن أن يكون لهم أكبر من تأثير على إلغاء فكرة اعتقالنا لو قرروا ذلك، ولكنهم أولاً لا يريدون إلّا أن يثبتوا الذاتيّة الأنانيّة من خلال التقمص بالوطنيّة وخدمة البعث الحاكم في المزيد من السجون والإذلال للشعب، هذا من جانب، من الجانب الآخر كان هؤلاء الجلادون يشعرون بالفخر وهم يتسلّطون علينا من خلال الضرب أو الاهانة الموجهة لنا، أو منع وصول المواد الغذائية أو ما إلى ذلك مما يُشعره بأنه شخصية له نفوذ أو أنها قادرة على عمل شيء ما لكي يُرضي روح الحقد في نفسه. كما هو شعور الفخر في استلام الرشاوي من عوائلنا لما يحقق لهم موقع مشابه لعمل السلطة، فالتشبه بالظالم والقوي هو مطمح الخانعين من الشعوب. . . فبقدر ظلم الدولة البعثيّة لشعبها، نجد بالمقابل أن أفراد ذلك الشعب يكرر ذلك مع كل من هو أضعف منه وفي حالة قدرته عليه.

= خوفاً أحياناً ورهبة أحياناً أخرى، وكان الأطفال هم أكثر من يرتاب من هذه النساء. أما المجانين من الرجال فكانوا يأتون بهم ويتناوبون على ضربهم من قبل الشرطة في الممر مع عدم وجود مُبرر لهذا التصرف، فالمجنون لا يستحق التعذيب وإنما الرحمة وهي الطريقة الانسانية التي أوصت بها القوانين والشرائع.

كان اليوم يمر بثقله، وكأنه سنة في عداد أنفاس الإنسان التي خلقها الله لكي تكون في الوضع الطبيعي التي أرادها له، وهي حالة الحرية التي هي جزء من فطرة البشر. . . . فكنا نمارس كلنا قراءة القرآن والأدعية اليومية المُقررة لكل يوم من أيام الأسبوع[1]، ثم بعدها نبدأ بقراءة القرآن وكنا نختم القرآن ربما مرة كل بضعة أيام ونهديها إلى المجاهدين، وكانت بعض السجينات لا تحسنَ القراءة بسبب جذورهم الريفية والعُرفيّة المحافظة، وانعدام المدارس[2] هذا بالإضافة إلى الحواجز والتقاليد المتعلقة بالدين (كما هو الإدعاء) في حرمة ذهاب البنت إلى المدارس الحكومية، متحججين بأن تلك الأماكن مرتع للفساد والانحراف. . . . . فقد كنت أقضي وقتاً طويلاً في تعليم البعض من الأمهات قراءة القرآن ومن الأدعية، كما تبرع البعض في تعليم الأطفال بعد أن اشترينا لهم سبورة صغيرة ودفاتر وأقلام، وكنت أوصي بناتي ومن يأتي إلى زيارتي في تزويدنا بما يحتاج إليه المساجين، لأن معظم المساجين كانوا من عوائل فقيرة من الصعوبة لهم توفير لقمة العيش.

كان أكثر ما يقُضّ مضجعي هو الأطفال وعراكهم وصراخاتهم وما ينتج عن ذلك من جروح أو إصابات ثم تستمر الحالة إلى أن يتحول العراك بين

(1) كتاب مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي الذي يحوي على مجموعة مما ورد عن أئمة آل البيت بما يخص الأذكار وأدعية الأيام.

(2) نسبة الأمية في العراق قد تصل إلى أكثر من 50% (الأعلى في المنطقة) مع أن التقارير التي قدمتها حكومة البعث كانت تقول بعكس ذلك، ظهر الرقم الحقيقي بعد التغيير 2003، وما ينطبق على الأمية ينطبق كذلك على الصحة وعلى الفقر وغيرها من الإحصائيات التي تم نشرها من قبل المنظمات الدولة المحايدة. أنظر:
http://iq.one.un.org/documents/230/UNESCO%20Literacy%20Leaflet%20%28ENG%29pdf.

الأمهات وهكذا دواليك....... فالمكان يفرض على الإنسان أن يعيش بأزمة نفسية كبيرة، فهو لا يليق حتى لحيوانات لما فيه من الروائح النتنة ومن افتقاد مقومات المعيشة العادية....... كما في نفس الوقت كانت أمراض التنفس والربو قد تحولت إلى أزمة كبرى داخل الزنزانة، وكنا عندما نطلب من السجانين إعانتنا في الذهاب إلى الطبيب كانوا يجيبون بأجوبة خشنة جداً وغير مناسبة إلى شخصياتنا، فكنت أطلب من بناتي عند الزيارة الأسبوعية أن يذهبوا إلى الطبيب في جلب أنواع من الأدوية المناسبة للأمراض التي كانت تنتشر الزنزانة.

أصبت أكثر من مرة بأكثر من أزمة مرضية(1) وبعد جهد جهيد تم إقناع السجانين من قبل بناتي في السماح لي بعيادة الطبيب، وفعلاً خرجت إلى الطبيب يرافقني اثنان من الشرطة، وأتذكر في تلك الزيارة كان الطبيب هو أحد معارفنا(2) فاستغرب من الوضع وقال لي هل حقاً أنت زوجة الخطيب المربي الكبير السيد جواد شبر..؟ قلت نعم ولدي، فلم يكن له أن يقول شيء أمام سوط إرهاب السلطة التي طالت الكل وحوّلتهم إلى أرقام مهملة في مسيرة الشعوب، بل أن هذه المظاهر بدأت تؤثر سلبياً على كيان الآخرين من الخوف أن يلحقهم ما لحق بي، فكان عامل الخوف يزداد كلما عرف الناس بسجني وسجن بقية النسوة بدلاً من أن يتحول إلى ثورة وانتفاضة.

لم تتحرك الحوزة العلمية، ولم تمارس دورها، ولم تبادر إلى إنقاذ حرائر منتميها، وهي المؤسسة التي تعمل من أجل إبقاء جذوة التشيّع

---

(1) معظم السجينات كن يدخنّ بشكل كبير من جراء الواقع المأساوي الذي كنّ يعشنه.

(2) هو أبن الشيخ نصر الله الخلخالي الشخصية العلمية التي كانت تجاورنا، وكان مشرفاً عاماً على رواتب طلبة العلم، له مبّرات وخيرات كثيرة.

والحفاظ عليها، فكان الكثير منهم يرى بأن التوسط أو السعي في إطلاق سراحنا هو تهمة فعليه أن يتجنبها أو ينساها أو يتناساها. . . . . . وهذا ما عمّق روح الاستسلام لكل طبقات المجتمع، بل لكل من يُفكر أو يعتقد في أن يصون نفسه وحرائره من بطش السلطة. . . . . . فالكثير من العلماء في تلك الفترة كان على علم بما جرى لي وللبقية من النساء الطيبات البريئات، ولكنهم ولحد علمي لم يُحرّكوا ساكناً حتى ولو في أبسط المبادرات.

فقد تحجج البعض من المتدينين أو من أوساط العلم بأن الذي يتحمل هذه المأساة هو التيار (السياسي الشيعي) من الأحزاب الإسلامية الشيعيّة ويعنون به الحزب الشيعي الوحيد وهو (حزب الدعوة)، وأن الاعتقال تم بسبب تسييس الأزواج وهو ما انعكس على عوائلهم، فالمُلام الوحيد هو الحزب ذاته، وعلى كوادره القابعين في الخارج أن يخترعوا طريقة لإطلاق سراح هذه النسوة. . . . . . ومع أن هذه المقولة لا تخلو من صحة في حيّز الأسباب ولكنه قول لا يمكن اعتباره قول (عقلائي). . . . . فحتى لو كان ذلك **فهل تهمة حزب الدعوة أو أي حزب إسلامي آخر من الأحزاب الإسلامية غير أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ومقاومة الطغاة، ثم رفعة الأمة وتثقيف المجتمع. . . . . . . ؟**[1].

نعم كان كذلك، ولكن النفس التبريريّة كانت تعمل عملها في تسليط الأفكار التي تؤدي بها إلى المتاعب والمصاعب باتجاه أدلجتها وتحويلها إلى مفاهيم يبحث الإنسان بين ثناياها عما يُبرّر له التقاعس عن أداء واجبه،

(1) من الضروري أن نشير إلى أهمية عقلانيّة الأسلوب لكل عمل يقف أمام توجهات سلطات غاشمة ديكتاتورية، فالإمام الحسين يوصي أصحابه في حياة معاوية بقوله عندما طلب منه الثوريون الشيعة في إعلان ثورته بمجرد قتل الإمام الحسن فأجابهم بقوله المعروف: (ليكن كل منكم حلساً من أحلاس بيته). (ثورة الحسين، شمس الدين، المصدر السابق).

وخصوصاً واجبات التضحية ومواجهة المصاعب (ذات الشوكة). . . . . وتحديداً في نطاق مواجهة الحاكم الظالم الذي يكون ثمنه باهظاً على الإنسان وعلى مستقبله. . . .[1].

لم يتذكر المجتمع بل لم يستوعب وأنا أتحدث معهم عن ظروف تلك الفترة بأن ذلك كان قد حدث في تلك الفترة، بل أحيانا يقولون لي ياعلوية ربما أنت تُبالغين أو أنك كنت تتصورين ذلك، ولو كان الراوي غيري ربما لقبلت حُججهم، فكيف والأمر هو معي بالذات. . . . . فالمجتمع في العموم عندما يتحول إلى كيان مهزوز ضعيف تغيب عنه قادته وتضعف في أبنائه روح الانتفاضة، فإنه عندئذ يفقد مصداقيّة تسميته (بالأمة)، بل هو شُتات، وكما يُعبّر عنه الإمام علي (همج رعاع). . وهو تماماً ما كانت عليه حالة المجتمع النجفي في تلك الأوقات، وكلما ازداد عامل الخوف وعامل الاضطهاد كلما تأصّلت فيه حالة الاستكانة والضعف إلى أن تحوّل في تلك الفترة إلى شبح أمة كما يُعبّر عنه الشهيد الأول.

فقد أشار بافلوف (ت 1936) عالم الشعوب من خلال تجاربه (الاستجابة الشرطية) (Classical Conditioning) بأن الشعب لا ينتفض مادامت السلطة تُمارس (وباستمرار) قدراتها في الإرهاب والخوف والقتل، وبعكس ذلك ينتفض الشعب متى ما توقفت السلطة لفترة عن تلك (الاستمرارية)[2].

---

(1) هنالك موقفان يجب التفريق بينهما في مسعى مواجهة الحاكم الظالم، الأول هو قبل انطلاق الثورة وهو الموقف الذي أشرت له في وصية الإمام الحسين في زمن معاوية، والثاني هو بعد انطلاق الثورة وهو الموقف الذي يجب على الأمة أن تبادر إلى نصرة الثوار بالأنفس والمال كما نحن عليه الآن ونحن في سجن البعث بسبب انتماءنا إلى الخط الفكري التغييري الذي يطمح إلى رفع مستوى الأمة.

(2) أنظر تجارب بافلوف العلميّة في كتبه التي تُرجمت إلى العربية، والمُسمى قانون الفعل =

لقد قتل النظام أكبر مفكري العصر في عام 1980، كما أعدم أول أمرأة في تأريخ التشيع، ثم قتل شباب العراق من الأكاديميين ثم انبرى ليقتل كل رمز علمي ووطني، كما ملأ السجون بالأحرار من أبناء الوطن، واستمر على ذلك لحين نهاية العقد التاسع من القرن الماضي حيث قتل إلى ذلك التأريخ ستة مراجع[1] بينما كانت الأمة مشلولة تماماً ليس بلحاظ التفكير فقط، بل بلحاظ غياب مجرد التفكير، فلا تدري أي من مراجعهم أو قادتهم تم قتله، ومن منهم تم تشريده، فكانت لا تعلم ولا تريد أن تعلم لأن ذلك هو حُجّة يتجنب الشعب سماعها لأنها تُفسد عليه تفكيره أو حلمه في المعيشة أو التمتع بفتات ما تم تقديمه إليه من قبل النظام.

هذا الشعب تم ترويضه بشكل مُتقن من قبل جلاديه، كما في ذات الوقت كان يعيش مع عمليات الترويض تلك بشيء من الإيجابية مادامت مسيرتها لا تُسبب له من مُنغصات. . . فالعملية هي فرعان في الواقع، قسم منها من مسؤولية الحُكّام، ولكن المسؤولية الثانية هي المهمة المباشرة للشعب الذي تقبّل الخنوع والضعف والاستكانة والعيش بما تدرّه عليه هذه الزمرة من فُتات موائدها.

فقد يستغرب الكثير من الناس عمق المأساة التي أصابت هذا الشعب وهي أكبر المآسي التي تعرّض لها شعب خلال خمسة عقود من حروب وانتفاضات ومذابح. . . . . فالحرب العراقية الإيرانية كان ضحيتها لوحدها مليون عراقي شيعي، وحرب الكويت ربع مليون عراقي شيعي، والانتفاضة

= اللاشرطي: كما أنظر الموقع المعرفي التالي:
http://en.wikipedia.org/wiki/Classical_conditioning.

(1) (الشهيد الصدر الأول 1980) (الشيخ الغروي 1988) (السيد الخوئي 1992)، (والسيد السبزواري 1993)، (و الشيخ البروجردي 1998)، و(الشهيد الصدر الثاني 1999).

الشعبانية نصف مليون عراقي شيعي، ومواجهات الإرهاب ما بعد عام 2003 والى الآن ربما وصلت إلى مليون شيعي. . . . . وهكذا، أما إذا أضفنا الأكراد بمجملهم الفيليّة والكردستانيين فقد لا نُبالغ إلى القول بضعف ذلك العدد. . . . . . فأي شعب من شعوب المنطقة، بل شعوب العالم واجه خلال هذه الفترة القصيرة من التأريخ كل هذه المذابح وبهذا العدد الضخم. . ؟ بالتأكيد ليس هنالك من شعب صُبّت عليه غضب السماء نيرانها إلا هذا الشعب الذي قرر منذ اليوم الأول لوصول البعث إلى الحكم في عام 1968 أن يستكين لخيار الظالم.

من الخطأ أن نرمي بتبعات المصائب التي حلت بنا على حُكّام البعث أو العشيرة التكريتية البدوية لوحدهم، **بل إنه خيارنا نحن، نحن الذين أعنّا الظالم على أنفسنا**، وصرنا لقمة سائغة ليس لصدام وزمرته فحسب، بل لكل شعوب المنطقة. . . . . فقد صرنا بعد عام 2003 مطمع الشعوب التي تُريد أن تُجرّب قدراتها ونجاح سياساتها على حساب أرواح العراقيين الذين قرروا أن يكونوا هكذا، لا كما أراده لهم مؤسس هذه البلاد في سنة 656 ميلادية عندما غادر المدينة ليستقر هنا في العراق الكوفة وليخاطبهم بعد أن يأس منهم في نصرته[1].

والشعب العراقي منذ أيام الإمام علي هو شعب مهاجر ذو تجمع قبلي

(1) فَيَا عَجَباً عَجَباً وَاللَّهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ، وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ. . . . . فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَّةُ الْقَيْظِ أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا الْحَرُّ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَّةُ الْقُرِّ أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا الْبَرْدُ، كُلُّ هَذَا فِرَاراً مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ.

معظم المهاجرين إليه كانوا من قبائل اليمن وقد استقروا في هذه المنطقة بسبب وفرة المياه، فأقاموا دول أهمها هي دولة المناذرة التي كانت قبل الاسلام والتي سقطت بدخول الإسلام في معركة القادسية في عام636 م. . فالبداوة (العرب) أو (قريش) لا تدخل معارك الإيديولوجيات التي جاء بها الدين أو المبادئ، وإنما معارك البداوة تتمحور حول العصبيّة والحيازة والفخر والغلبة. . . . فمفاهيم الوطن والأرض ليست واضحة لديهم، ولذلك نرى الإمام علي كان قد حرّضهم بمفاهيم الدين والوطن والمبادئ في أول الأمر قبل أن يُجرّبهم، إلى أن غيّر لغة التحريض في تحسيسهم من خلال الجانب النسائي المتعلق بمفاهيم البداوة والسرقة والحيازة والعصبيّة، ولكنهم في ذلك الوقت لم يكن لهم من سبب في مساندة علي الذي لا يختلف - كما يعتقدون - في مفاهيمه عن معاوية، فكلاهما ملك، وكلاهما من قريش القبيلة، ولكن الثاني يمتلك ما لا يمتلكه الأول، وبذلك تقاعسوا عن نصرته حتى قتل في عام 661 م. بطريقة لم تُحرّك المجتمع، ولم تُغيّر مفاهيمه، وإنما اعتبروه قتيل السلطة وليس قتيل المبادئ.

عندما سيطر البعث على الحكم في عام 1968، لم تكن الظروف مختلفة كثيراً عن ظروف القرن الأول الهجري، بلحاظ غياب العقليّة المبدئيّة التي يمتلكها المجتمع، مع أن الظاهر هو أن المجتمع العراقي مجتمع شيعي الهوى والانتماء، وهذا صحيح، ولكن المبادئ الدينية شيء ومبادئ الوراثة والعصبية شيء آخر. . . . . فقد تبدّل المجتمع إلى اعتناقه التشيّع ولكن البداوة[1] بقيت ضاربة بأطنابها في كيان المجتمع، فقد كانت

(1) نسبة البداوة في العهد الملكي هي 35%، والريف 41%. المدن 24%، أنظر: مجلة الثقافة الجديدة، عدد 12، السنة السابعة، 1959، للباحث العراقي محمد سلمان حسن.

حركة البعث في عام 1968 حركة قبليّة عشائرية يقودها عشائر الفرات الأعلى[1] مما سبب في استعار الروح العشائريّة القبليّة البدويّة التي كانت كامنة في كيان المجتمع العراقي الشمالي أو الجنوبي، والصراع على الحكم منذ عام 1958 والى الحين هو صراع قبلي بدوي عشائري[2].

(1) أعضاء القيادة القومية لحزب البعث كان عددهم 15 عضوا كلهم سنة، وواحد من أصل كردي مستعرب هو عبد الكريم الشيخلي كما يُقال. ستة منهم من تكريت القرى، وإثنان من أصول تكريتية، وثلاثة من سامراء، وواحد من الموصل وإثنان من قرى الدليم وواحد من بغداد. كما لم يكن في التشكيلة أي شخصية جنوبيّة سواء أكانت ريفية أو عشائرية أو متحضرة. . . . في العهد الجمهوري من 1958 إلى 1988 ثلاثين سنة لم يشغل رئاسة الوزراء شيعي إلّا مرة واحدة ولمدة أقل من سنة وهو ناجي طالب عام 1966. أما في زمن البعثيين فلم يشغل أي شيعي جنوبي وزارة. . . . ما بين 1958 إلى عام 1994 تشكلت 19 وزارة يمثل السنة فيها 73%، والشيعة 20% والباقي إما صابئي أو مسيحي أو فقط مسلم. (أنظر: دليل الوزارات العراقية 1920– 2003، المركز العراقي للمعلومات والدراسات، دار نور الشروق، بغداد، 2007).

(2) فعند وصول البعثيين زائداً القوميين مع عبد الكريم قاسم (ت 1963) إلى الحكم كانت النعرة التي استعرت بين قاسم المنحدر من أصل محلة منفتحة في بغداد وهي محلة (المهديّة) بالرصافة والتي كانت تضم الكنيسة والمعبد اليهودي والحسينية والجامع، مع تمتّعها بالتوجه التعايشي بين الملل والأديان، بينا كان منحدر القوميين ومعهم البعثيين، عبد السلام عارف (ت 1965) من محلة (سوق حمادة) بالإضافة إلى تربيته في مضارب (زوبع) أخواله، بعكس زوجته (أم أحمد) المرأة المتحضرة، ولذلك تركته هذه المرأة منذ زمن بعيد، وخصوصاً بعدما غدر عبد السلام برفيقه وصديقه عبد الكريم قاسم، وهو الذي عفي عنه بوساطة أم أحمد، هذا من ناحية، من ناحية أخرى كان التكارتة، هم من حمل الاسم البعثي مثل حردان (ت 1971)، والبكر (ت 1982)، وصدام (ت 2006)، وعيادة الصديد، وطلفاح (ت 1993)، وسبعاوي (ت 2013)، وبرزان (ت 2007) وغيرهم، وهذا الصراع مع أنه يبدو ليس من ضمن سياق المعادلة، ولكن له تأثير كبير على عقليّة القيادة، خصوصاً إذا أدرك الإنسان بأن البدوي غدّار لا يؤمَن جانبه، كما قتل عارف قاسم، وقتل صدام البكر، وقتل صدام معظم أصدقائه المقربين. . وهكذا صراع وقّر الأرضية أو الشرارة التي ألهبت بقيّة العوامل في القتال الدموي ما بين أصدقاء الأمس. ولم يكتف النظام بالممارسة البدويّة تلك، بل أن الزي البدوي =

بعد التغيير في عام 2003 قفزت إلى الحكم المجاميع المُهمّشة التي كانت في النظم السابقة خارج نطاق السلطة وهم الشيعة (الريفيين) وهذه هي التي تبنت جانب المعارضة في زمن النظام السابق، وهو ما سهّل وصولهم إلى السلطة بالتعاون مع الحلفاء، كما هو الآن في تبني السُنّة لعنوان المعارضة في هذا الوقت ما بعد عام 2003، وهذا يعني بأن العصبيّة في السيطرة العشائريّة ستبقى بين كر وفر مادام الشعب العراقي يعيش في عقلية بدويّة تعصبية سُنّة كانوا أم شيعة. . . . فالبداوة وتقاليدها خطر حضاري على العراق، وعلى مستقبل الإسلام في المنطقة، لأن أعراف البداوة تُلغي تعاليم الإسلام التي لا تؤمن بالطبقيّة في تقسم المجتمع وفي شكل السلطة وطبيعة تسييس المبادئ.

ولنا هنا أن نُدرك مدى الخطورة التي كانت تواجه العراق ومستقبله في جولات الصراع الدائرة بين أفكار القبلية. . . . . تلك القبلية المُغلّفة بالدين أحياناً، وبالمذهب أحياناً أخرى، وبالانتماء المناطقي تارة ثالثة، أو بالديمقراطية وغيرها من مصطلحات لعلنا أدركناها كلنا بعد التغيير في عام 2003. . . . . . . يبقى هذا الصراع مستعراً ربما تحت الرماد أحياناً ما لم يتوجه المُخططون التربويون والاجتماعيون وعلماء السياسة إلى وضع برنامج ثقافي بعيد النظر يستند على (التوافق) وليس إلغاء القبليّة أو قيم البداوة بكاملها، على شرط أن تكون مبادئ الإنسان هي المتحكمة في أعراف القبيلة لا العكس[1].

= وشكل التمنطق بزي الشقاوات بدا لباساً رسمياً لصدام ومجموعته، وبمرور الوقت بدأ يرتدي الزي الريفي البدوي وبدأ أعضاء قيادته يتفاخرون بذلك إمعاناً وإيغالاً في محاربة فكرة التحضر والمدنيّة، راجع كتاب: (حكومة القرية، لمؤلفه طالب الحسن، دار أور، 2002).

(1) أنظر كتاب: لماذا لا يثور العراقيون، صلاح شبر، دار روافد، بيروت، 2015.

فلم أجد في العصر الحالي بعد التغيير من عام 2003 والى الآن من بادر إلى سؤالي عن تأريخ الاعتقال أو ما واجهته من ألم نفسي وجسدي علي وعلى أبنائي، بل صرت رقماً مُهملاً . . . . . . أقول ذلك ليس بلحاظ أنني أرمي إلى طلب خير الدنيا، فقد أنعم الله علي بنعم لا تُحصى أهمها هو سلامة العقل وسلامة الدين، فضلاً عن سلامة الصحة وهي أكبر من كل ما يمكن للإنسان أن يتدبره. . . . . فكل لحظة من عذاب السجن شاء لي عقلي أن أوقفتها لبارئي وخالقي قدوةً وتأسيّاً بسيدة الصبر ومُلهمة العقل الإنساني بنت علي زينب التي علّمتني كيف أكون إنسانة، وكيف أرتفع في إسلامي لأقترب من قيم الخالق وقيم ساداتنا وقادتنا أئمة آل البيت.

ليس ذلك ما أقصده من عتبي، ولكني أقول ذلك بلحاظ أهمية رصيد الصراع مع الباطل والشيطان، وهذا الرصيد لم يعد مُلكاَ لي أو للنجف أو للتشيع، بل هو ملك الإنسان الذي يكافح ويصارع من أجل قتل الشر وإظهار الباطل سواء أكان ذلك في الشرق أو الغرب لدى المسلمين أو مع غيرهم. . . . . **فالصراع مع الباطل يجب توثيقه أولاً وتقديره ثانياً،** لأن الأمم التي هي في صراع مستمر مع الباطل تحتاج إلى رصيد معرفي ممن سبقهم في هذا الطريق طريق ذات الشوكة[1] الذي من أجله أرسل الله الرُسل تلو الرسل وكل منهم مرتبط بمن قبله لكي ينقل صورة وحدانيّة مقاومة الباطل إلى الناس.

إن ما أقصده بالضبط هو ضرورة توثيق مسيرة المُضحين الذين قدّموا أغلى ما يملكون، قدموا النفس والصحة والمستقبل في سبيل بناء هذه الأمة، فلو كنت أنا كباقي الناس لم أكن قد دخلت السجن، ولو لم أكن

(1) ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ **[الحديد: ٢٥]**.

زوجة الشهيد الكبير لما تقرّب من باب داري الظلمة والقتلة، بل لتركوني كما بقية النساء في المجتمع النجفي، ولكن العنوان هو الذي حتّم عليّ أن أواجه السجن والسجانين. . . . . وهكذا إنسان مثلي أو آخرين من المهم جداً أن يكون لهم موقع في مسيرة الدولة الحديثة (الديمقراطية) التي يُسيطر عليها الإسلام السياسي الشيعي الذي لم يصل إلى ما وصل إليه إلا بسبب انتمائه إلى الاسم أو الشخصية الكبيرة أعني الصدر العظيم.

لن أبالغ إذا قلت بأنه لم يسأل عني أحد، بل لم يهتم بي أحد، ولم أجد من حاول الاستفادة من دروس السجن التي مررت بها أنا وأخواتي السجينات وخصوصاً العالمة الكبيرة أم علاء زوجة السيد القبانجي[1] بل وجدت العكس، فقد صار في سدة المؤسسات الحكومية شخصيات شاذة مشكوكة الجذور والتدين والتأريخ. . . . . . . فقد أسسوا ما يُعرف (بمؤسسة السجناء السياسيين)[2] التي تحولت إلى هيئة بيروقراطية بكل ما في الكلمة من معنى، بل صارت دائرة مشابهة لبقية الدوائر في الدولة ينخرها الفساد بكل تجلياتها، مثلها كذلك مؤسسة الشهداء[3] التي صار الاسم لا ينطبق على المُسمى، بل صارت مرتعاً كبيراً للابتزاز والرشوة وسرقة المال العام. . . . فقد نسي العراق وللأسف شهداءه، بل لم يعرف للشهداء من أثر

(1) بعد إطلاق سراح السيد حسن القبانجي في عام 1985 بقي في النجف رمزاً وعلماً كبيراً من أعلام المنبر والتأليف حتى حدثت انتفاضة صفر من عام 1991 عندها اعتقل بعد فشل الانتفاضة وغيّب ولم يُعرف عن جثمانه شيء. من أولاده هو السيد صدر الدين إمام جمعة النجف، العلامة أحمد القبانجي أستاذ الحداثة المعروف، احد الشهداء الخمسة عز الدين، ثم الشهيد الكبير علي (أنظر: بوصلة الثورات، أزقة النجف، حامد جواد شبر رمزاً، صلاح شبر، المصدر السابق).

(2) http://www.ppf.gov.iq/.

(3) http://www.alshuhadaa.com/.

في مسيرة الدولة الجديدة. . . . . . فالممارسات مختلفة عن تراث الشهادة التي سطّرها الباري عز وجل في محكم كتابه[1] بل إنهم تاجروا بالأسماء خير تجارة لبعض ممن يمكن أن يضيف شرعية على عمل أولئك القادمين الجدد في مسيرة الحكم[2].

فكما بدأت هذا الفصل، لم يكن المجتمع الذي واجهنا ونحن سجينات بمختلف عنه ونحن خارج السجن، سواء أكان أولئك فيما يسمى المعارضة أو في الحكم، وهذا معناه في المسيرة الفكرية هو تغليب مبدأ السياسة على مبدأ العقيدة والدين، وإتباع ما هو أسهل لهم في تحقيق مبادئ السيطرة والحيازة والعصبية التي تعود جذورها إلى ريفيّة المجتمع العراقي وابتعاده عن قيم الخير وقيم الإسلام والتشيع، وهو ما يتطلب أن يبادر المُغيّرون إلى وضع برنامج بعيد المدى يشرف عليه متخصصون في علوم تثقيف الشعوب وبناء الأمم والاستفادة من المجتمعات التي سبقتنا في التحضر كالشعب الماليزي العظيم والشعب المصري والشعب الكوري وغيرهم من الشعوب المهمة التي صنعت لأممها مجداً مطرّزاً بالغار.

(1) ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

(2) في دول العالم التي تحترم شهداءها نجد بأن الدولة تُسمي أكثر من مؤسسة أو شارع أو جامعة أو فعاليّة أو مسجد بأسماء شهدائها الذين عبّدوا الطريق لوصول أقرانهم إلى الحكم، فقد اهتم الأمريكان والأوروبيين والآسيويين بكل الشهداء الذين سقطوا في مسيرة التحرير أو مقاومة الأنظمة المتسلطة وأطلقوا أسماءهم على شوارعهم ومدنهم وجامعاتهم. . . . . . . في العراق الأمر مختلف تماماً فلم يُسمى شارع من شوارع النجف على سبيل الفرض بأسماء شهداء ومساجين، بل أن الناس هي التي بادرت إلى تسمية هذه الساحة أو هذا الشارع، بينما لم ينزل أسم ذلك المكان على الصفحات والخرائط الرسمية في التخطيط المدني وعلى صفحات محرك (Google) وغيرها. وقد بادر ابني السيد محمد أمين بمبادرة شخصية منه إلى تسمية الشارع الذي يقع به بيتنا باسم السيد الشهيد زوجي.

ليس بمستبعد أن يعود الوضع كما هو السابق في زمن النظام البعثي بعد أن قامت وما تزال دول المنطقة (خصوصاً العرب) بتقويتهم وهم الآن في طور القوة والصعود بسبب ضعف وجهل قادة العراق الحاليين من سياسيي الإسلام السياسي من الذين وجدوا في المناصب الحكومية نهاية العالم، فما كان منهم إلّا أن نسوا أو تناسوا القول المشهور (لو دامت لغيرك لما وصلت إلك). . . . فقانون المجتمعات والحضارات هو قانون ثابت لا يتغير وينطبق على كل المجتمعات التي تمر بأسلوب انهيارها . . . . . فالأمة إن لم تلتزم بمثُلها وبقيمها وبثقافتها (الجامعة) فأمامها ثلاث خيارات:

- أن يسيطر عليها مجرموها . . . . . [1] وأكابر مجرميها . . .
- أن تقتلها صراعاتها الداخلية وحروبها مع الآخرين أو غضب الطبيعة[2].
- أو أن تسقط علي يد غزو خارجي.

وهذه الخيارات طُبّقت بالتمام في مسلسل النظام السابق. . . فقد سيطر على العراق مجرمو الأمة، ثم بدأت الحروب والصراعات الداخلية تاكل الشعب، ثم أخيراً وقع تحت قوة غزو خارجي. . وهنا بعد عام 2003 بدأت دورة الحياة من جديد كما هي النبتة التي تدخل طور السبات في الشتاء لتعود ثانية أقوى مما كانت عليه قبلاً، ثم تبدأ عوامل الضعف تنخر بها إذا لم تتوفر لها مقومات العيش ومقومات إعطاء الثمر والخير. . . فهو قانون طبيعي ينطبق على الجميع. .

(1) ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

(2) ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٢].

اعتقد الحاكمون الجُدد أنهم معفيّون من سُنّة التأريخ، وسُنّة قانون المجتمعات بعد أن أسكرتهم خمرة السلطة وخمرة أموال النفط فسحقوا المجتمع بدراية أو عدم دراية، فسلط الله عليهم قوى شريرة عاثت في الأرض فساداً (داعش) (والقاعدة) وغيرها من قوى الشر التي وجدت لها محلاً خصباً في ظل غياب مبادئ الخير والارتباط بالله وبما فرضه علينا من تحقيق العدل في رعاية الأمة والإشفاق على الصغير واحترام الكبير وتقدير العالم.

حلم (الإسلام السياسي) الذي وصل إلى الحكم في عام 2003 هو تسديده من قبل السماء بسبب إيمانه الظاهري والتزامه بالدين وابتعاده عن شهوة القتل التي كان النظام السابق يمارسها في حكمه، ولكن ذلك الاعتقاد أمر في غاية الخطأ، فقوانين المجتمعات ثابتة، إن لم يتحقق العدل من المستحيل بناء المجتمعات(1) . . . والعدل هو ركيزة الدولة والأمة والذي ينطبق على كل شيء في مسيرة الدولة في المال وفي الشهادة وفي المناصب وفي الأخلاق وفي كل ما من شأنه أن يتعلق بعلاقة الإنسان مع أخيه الإنسان. . . . . وهذا العدل مفقود تماماً في مسيرة الدولة ما بعد عام 2003، بعد أن سيطرت عليه العشائريّة الحزبية والسياسة وتحول العراق إلى لقمة سائغة ليس لأبناء العراق فحسب، وإنما لمن تحالف معهم أبناء العراق من القوى القادرة على توفير السلاح وتوفير الإرهاب.

ونعود ثانية إلى حياة السجن، لأقول بأنني خلال مدة إقامتي في السجن لم يصلني من المراجع أو من الشخصيات المعروفة الدينية أو الاجتماعية أو غيرها ممن عرض عليّ المساعدة أو التعاطف، وكأنّ الأمة قد فُرّغت من

(1) ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨].

عاطفتها ومن الرحمة التي تربط بني الإنسان. . . . . فقد كانت أم علاء تقول لي في أزمات الوحدة وشدة الموقف بأن الله يحبنا لأننا بقينا وحيدين، وأنه سبحانه عزّ وجل يقول: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥]، فطوبى لنا سنأتيه بأعمالنا وبما عانيناه من أذى ومصاعب وإهدار لكرامتنا التي أرادوا لها أن تسقط من نفوسنا.

لقد كانت الأشهر الستة الأولى صعبة جداً علينا وكنت أعاني بشكل يومي من ألم الركبتين اللتين تؤلمانني بسبب طول الجلوس على الأرض الرطبة وعدم الحركة وقلة الغذاء النافع للجسم[1]، هذا بالإضافة إلى الوضع النفسي الشديد الذي كان ينتابنا مرات عديدة يومياً. . . . . فكان أكثر ما أفكر به هو أن يبقى أولادي خارج معادلة الصراع فهؤلاء لا يرحمون إنساناً، ولو افترضنا عودتهم وتسليمهم أنفسهم فليس هنالك من احتمال إلا قتلهم وقتلي معهم، أما الحديث عن إطلاق سراحي فهو حديث هراء. . .

كنت دائمة القلق من أن يُجازف أحد أبنائي بعد أن تغمره العاطفة في الرجوع إلى العراق خصوصاً وأنني كنت أعتقد آنذاك بأن ابني الشهيد السيد حامد لازال حياً في شمال العراق أو في سوريا أو إيران. . . كذلك كان اعتقادي بابني الثاني السيد زيد[2] بأنه أسير لدى الجانب الإيراني وهو حي

(1) بعد خروجي من السجن هجرت العراق واستقريت أول الأمر في الأردن ثم في كندا بعدها في سوريا، وهنالك تم تبديل كلا مفصلي الركبة بمفصلين معدنيين، وهو فضل رباني منحني ثانية قدمان أتمكن بهما من القيام بواجباتي وعملي وفرائضي.

(2) السيد زيد جواد شبر مواليد 1952 خريج جامعة المستنصرية، تزوج في عام 1981 وفرض عليه الالتحاق بالحرب الدائرة مع إيران، وقد خرج من البيت في عام 1982 وغابت أخباره عنا بعد أن ترك زوجة حامل ببنت. وكان زيد ابني هو أول المعتقلين عند وصول البعث إلى الحكم في العراق، وقد عُذّب عذاباً شديداً وأطلق سراحه فخرج محطم النفسية بعد أن مورس معه أشد أنواع التعذيب القاسي في الوقت الذي كان الشهيد في عمر المراهقة.

يُرزق كما وصل الخبر إلينا. وهذا ينطبق أيضاً على ولدي الصغير الخطيب السيد محمد أمين الذي انفصل عن الجيش العراقي وقرر ترك العراق[1] والذي أرى في ثوريته بأنه ربما يعود ثانية في مسيرة الثوار إما لإنقاذي أو لتسليم نفسه.

أما أبني الكبير صلاح فهو أكثر من كنت حذرة منه لما تلمسته من تفاعله مع الواقع العراقي ولكنني في الوقت ذاته كنت مطمئنة من أنه بعيد عن العراق ومن الصعوبة له أن يصل إلى هنا[2]. أما بناتي فإن قلقي لا يقل تجاههن عن قلق الأولاد لما يعانين من صعوبة كبرى من الضغوط التي يواجهنها في عملهن وفي وحدتهن في غيابي والتي سوف أترك فصل من هذا الكتاب لتلك المعاناة.

كنت في ساعات الفراغ وبعد الانتهاء من الأدعية وقراءة القرآن أخيط قطع من القماش تُستعمل كسجادات في أثناء الصلاة، وقد وزعت على الجميع ممن في السجن واحدة أو اثنتين لكل منهن حيث بدأن البعض بتعلم الصلاة وقراءة القرآن، كما أرسلت الكثير منهم إلى خارج السجن عندما كانت بناتي تأتين لزيلرتي، وكانت تلك القطع عبارة عن ذكرى توقد نفوس

(1) لقد اعتقل الشهيد السيد حامد والخطيب السيد محمد أمين كلاهما في عام 1974 عندما كانت أعمارهما 18 و17 في معتقل الفضيليّة المشهور مع الشهداء الخمسة (شيخ عارف، سيد عماد، سيد عز الدين، حسين جلوخان، نوري طعمة) ومع البقية الباقية من العلماء الأفاضل كالشهيد الثاني والسيد الهاشمي وغيرهم.

(2) في الواقع لقد فهمت فيما بعد عام 2003 بأن ولدي صلاح كان قد دخل العراق في تلك الفترة بعد أن تخفّى في زي المصريين من أجل تنفيذ عملية الربط الالكتروني في محاولة لإسقاط النظام. (أنظر كتاب: أيام اعتقالي في السجون الأمريكية، صلاح شبر، دار الجواد، بيروت، 2012).

الأمة الخانعة التي اعتقدت بأن النصر لا يأتي من سعي أفرادها بل من عوامل غير شرطية سفسطائية عبثية كما اعتقدتها.

كما بدأت أكتب من داخل السجن بعض الأشعار باللغة العامية[1] في مدح آل البيت والتأسي بأحزانهم، وكنت أقرأها على السجينات أحياناً في تلك المناسبات، وقد شعرت وأنا داخل السجن بأن الله قد زودني بطاقات لم أتحسسها وأنا خارج المعتقل، فقد كان الصوم صعب علي جداً فيما سبق، أما في فترات السجن فشعرت بأن لي قدرة كبيرة على مقاومة الظروف الصعبة، فكنت أقضي يومين من الأسبوع في الصيام، هذا بالإضافة إلى شهر رمضان المبارك ومناسبات المستحبات في أشهر السنة. وهكذا هو الإنسان الذي لا يعرف قيمة ما يحمله من طاقة إلّا بعد أن يمر بظروف مُعاكسة يستشعر بها قدراته، وهو كما يصفه علماء العرفانيّات بأن تلك الظروف هي محك الشخصية.

كانت الاعتقالات مستمرة خلال الشهور الستة الأولى وفي كل يوم يأتوننا بعائلة جديدة مع أطفالهم حتى وصل العدد إلى مرحلة لا تطاق، ولكن أصعب الأوقات هو اعتقال (بائعات الهوى) معنا بين الفينة والأخرى وخصوصاً في منتصف الليل، حيث كانوا يأتوننا بهنّ (هدية) ويرمونهن بيننا رمياً، فكان علينا أن نجعل لهم مكاناً معنا إلى حين الإفراج عنهنّ، وقد كان حال هذه الطبقة من العاهرات أحسن منا في المعاملة وفي تلبية طلباتهن، فلم يكن يبقين في السجن إلا ليلة أو ليلتين ويتم إطلاق سراحهن إما بتوسط أو غيرها من الطرق التي يراها مدير المركز أو حتى الشرطة العاديين.

(1) فرض علي أهلي عندما كنت طفلة أن أترك مقاعد الدراسة وأنا في الصف الثالث الابتدائي عندما كنت أعيش في الكاظمية بعد أن توفى والدي وعمري صغير فتبنوني أخوتي الكبار من زوجة أبي الأولى وذلك في عام 1935.

في أوقات أخرى كان ينقل تلك العاهرات وبائعات الهوى إلى غرفة جانبية ليست في الحقيقة إلا عبارة عن مخزن لتجنب المعارك التي تنشب ما بين أخواتنا المؤمنات وهذه الطبقة الساقطة من النساء. . . . . ولا أدري هل أن جلب تلك العاهرات هو نوع من الإذلال والحرب النفسية أم أنه أمر مسترسل، أو أنه ممارسة خُلقيّة في صعوبة التمييز ما بين هذا وهذا. . . . . . ؟ ويبدو أن البعث قد نسي الجانب الأخلاقي لهذه الأمة، فكيف نتصور بأن هنالك دعارة منتشرة في أشرف بقعة في العراق وهي النجف. . ؟ وهل خفي عن المدّعين بالعروبة بأن الشرف العلوي والحسيني لن يتغير أو يضعف حتى وان تم خلطه مع أشر وافسق الناس.

❀ ❀ ❀

وما السجن إلّا ظلُ بيتٍ سكنتهُ … أرّفهُ في أفنائه وأنعّمُ

فكم من طليقٍ أوثق الذلُ نفسهِ … وآخر مأسوراً يَعولُ ويُكرمُ

وقد شُحذ الخطيّ وهو مُطبّقٌ … وقد ثقب الهندي وهو مُقوّمُ

وما هي إلا غمرةٌ سوف تنجلي … وما هي إلا نبوةٌ تتصرّمِ



الفصل السابع

العائلة.... كيف عانت..؟

كما ذكرت في الصفحات السابقة، لقد تفرّق أبنائي الذكور الأربعة. . . . . اثنان غُيّبا عني الشهيد زيد في الشهر الخامس من عام 1982، ثم بعده وفي نفس العام الشهيد حامد، كما لجأ ابني الصغير أمين إلى إيران تجنباً لحرمة الانخراط في محاربة دولة الإسلام. ولدي الكبير صلاح غادرنا في نهاية عام 1979 لدراسة الدكتوراه في أمريكا.

هيفاء: ابنتي هيفاء وهي بكري (أم حراء) سيدة فاضلة متزوجة من الحقوقي السيد حسن (معز الدين) ابن قاضي الشرع السيد عباس شبر منذ عام 1972، تعمل معلمة في إحدى مدارس البصرة حيث يقيم زوجها.

عندما سمعت باعتقال السيد والدها في رمضان عام 1983 أسرعت إلى النجف من البصرة ولم يكن في البيت معي إلا ابنتي الصغرى سلوى. وصلت ابنتي هيفاء ليلاً من البصرة وكان برفقتها ابنتاها الصغيرتان حراء ودعاء، فبقيت معي خلال العطلة الصيفية، فكانت في هذه الفترة خير عون لي في البحث عن السيد أو التوسط لمعرفة مكانه، وفيما إذا كان في النجف أم في بغداد، فكما ذكرت فإن الكثير من الناس والأقارب[1] قد ملأ الخوف

(1) أنظر في هامش سابق قرار مجلس قيادة الثورة في التعامل مع أقارب المعدومين.
http://saddamscruelty.blogspot.com/2009/02/blog-post_9746.html.

نفوسهم وصاروا يبتعدون عن كل ما يمت بصلة إلينا، فكنا أحيانا نذهب أنا وهي الى بعض الأشخاص الذين لهم علاقة بالسلطة، وقد قررنا يوماً أن نذهب إلى الفضيلية في بغداد[1] (السجن الرهيب الذي يقع في أطراف بغداد يتم وضع المعارض السياسي فيه بعد انتهاء التعذيب معه) علّنا نجد من أثر للسيد هنالك، ويقع السجن في شمال بغداد وكان أولادي حامد وأمين قد تم اعتقالهم هنالك عام 1974. سألنا عن السيد في السجن فقالوا لنا ادخلوا في الدهاليز واسألوا عمن يساعدكم فدخلنا فصرنا نسأل كل من نجده فكانوا ينفون معرفتهم بهذا الاسم فرجعنا بخفيّ حُنين.

في عام 1984 تمّت خطوبة ابنتي سلوى بعد أن وجدت أنه من الحكمة في هذا الظرف أن لا تتوقف الحياة بعد اعتقال السيد، فابنتي هي الوحيدة التي بقيت معي دون زواج، فكانت ترفض الفكرة لأن أباها معتقل ومفقود ولا نعرف أي شيءعنه، إلى أن تقدم لخطبتها أحد شباب آل محي الدين وهم عائلة معروفة بالشرف والكرم والعلم فرفضت ابنتي سلوى ذلك، فقلنا نتصل بوليها (صلاح) الذي يلي والدها، وفعلاً تم الاتصال به فقال لنا بأنه من الأصلح في هذا الظرف أن لا تبقى أختي بدون زواج، فتمت عمليّة الخطوبة والزواج بغياب والدها وقد سبب لنا ذلك ألماً كبيراً، ولها أيضا... ولكن ظروف القهر كانت قد فرضت علينا ما فعلناه...... وهكذا تم الاتصال بأختها الكبيرة هيفاء وتمت الخطبة ثم بعدها بقليل تمت عملية انتقالها إلى بيت الزوجيّة بعد أن بادرت عائلة الزوج بما تعارف عليه المجتمع من طريقة نقل الزوجة.

في اليوم الثاني من الزواج لم يكن في البيت أحد إلا ابنتي هيفاء التي جاءت لحضور حفلة الزفاف.... طُرقت الباب فاعتقدت هيفاء بأن القادم

(1) http://www.alnoor.se/article.asp?id = 44752.

هم جيراننا أو أهل الزوج الجديد، وبمجرد أن فتحت الباب وإذا بخمسة أشخاص كانوا في الحديقة صاحوا بها من أنت.......؟ هل أنت زوجة السيد جواد شبر..؟ سكتت بسبب هول الصدمة...... اقترب منها أحدهم قائلاً لها: اسمعي...... إذا سمعت صراخ أو بكاء سنقتلكم كلكم، فقد قتلنا السيد جواد شبر، لأنه من حزب الدعوة، ولا نُريد أن نُسبب لكم المزيد من المتاعب في اعتقالكم كلكم وإعدامكم..... فلذلك عليكم أن تسكتوا فقط..... هل فهمت...؟.... ثم ضرب الباب في وجهها وذهب...

كما أنهم ذهبوا إلى خمسة أو ستة من جيراننا القريبين وأخبروهم بأنهم قتلوا السيد جواد شبر لأنه (...) ولأنه من حزب الدعوة.....

لم تدرِ ابنتي ما تقول وبعد أن دخلت البيت أغمي عليها، جئت لأتبيّن الأمر فوجدت ابنتي تنزف ووضعها الصحي سيء وأنا لا أعلم ما حدث، فقد حاولت في بداية الأمر التكتم على الخبر، ولكنها أخيراً أخبرتني بما حدث.... وكنا بين مُصدّق ومُكذّب لا نعلم كيف نتحقق من الموضوع... فالسلطات الأمنية كانت تُشيع أحياناً مثل تلك الأخبار من أجل تحيّن الفُرص لعودة أبنائنا الذكور إلى البيت بطريقة أو بأخرى كي يتم إلقاء القبض عليهم.

اتصلت هيفاء بزوجها في البصرة فجاء على جناح السرعة فأخذها مباشرة إلى المستشفى، وبعد الفحوصات قيل لها بأن غدد البنكرياس قد توقفت وأنّ معدل السكر في الدم قد ارتفع إلى 400.... غادرت النجف على أثر وضعها الصحي المزري إلى البصرة، وإذا بالمتابعة الأمنية تلاحقها إلى هنالك..... فأرسل عليها من قبل مديرية أمن البصرة للتحقيق معها، فقالت لها المديرة أنها من صالحها أن تنتمي إلى الحزب لكي تتجنب شرور

المخابرات، فرفضت قاطعة لأن الانتماء يعني إعطاء السلطة بطاقة الاستسلام والخنوع والضعف. . . . . . فقد يكون من أهم عوامل خنوع المجتمع العراقي هو سيطرة حالة الخوف بسبب استسلام الجميع إلى ما تُقرره قيادات الحزب والسلطة.

تم دعوتها إلى اجتماع في مقر الحزب، فذهبت فوجدت أمامها المئات من المعلمات اللاتي لم ينتمين إلى حزب السلطة، فوزعوا أوراقاً عليهن لملئها من أجل الانتماء إلى الحزب، وفي الاستمارة السؤال عن علاقتهن العائلية بالمعارضين للسلطة من الرجال، وهذا معناه أن عليها أن تكتب أسم والدها، وإلّا فإن الإعدام مصير من يكتب بما يخالف الواقع. . . . . تمكنت ابنتي أن تجد طريقة في التخلص من الورطة ومغادرة القاعة بدون أن تضع اسمها في المنتمين، ولكنها في ذات الوقت تركت المدرسة، وبقيت في البيت متخفية لا يعلم بها أحد.

وبعد شهور نشروا اسمها في الجريدة مطالبينها بالالتحاق بوظيفتها(1) ولكنها لم تلتحق. . . . . بعدها بأيام طرق عناصر الأمن الباب وكان أحد الجيران يراقبهم، لم تفتح ابنتي لهم الباب، فخرج ذلك الجار وأخبر الجلاوزة بأنهم تركوا البيت منذ زمن بعيد فغادروا المكان. . . . . بعدها بأيام تركت ابنتي هذه المنطقة (البصرة القديمة) وذهبت إلى منطقة أخرى في نفس المدينة (الجزائر) مع زوجها، وهنالك كانت الحرب على أشدها في معارك البصرة، فقصف الدار بفعل تبادل القذائف، فلم يكن بُدّاً لها من أن تترك البصرة كلياً والاستقرار في بيت صغير تركه السيد الكبير في كربلاء.

(1) ترك الوظيفة في زمن النظام السابق يُفسر بأنه معارضة واحتجاج سياسية، ولذلك يُعرّض الشخص إلى عقوبات أمنية والى ملاحقة.

في تلك الفترة تم استدعاء مواليد زوجها للالتحاق بالحرب (مواليد 46) بعد أن امتلأ العراق بجثث القتلى في المعارك بين العراق وإيران وكان تقريباً كلهم من الشيعة . . . . فقد كان البعث بخباثته يضع المواليد المتقدمة التي يستدعيها إلى الحرب على الخطوط الأمامية لكي يسهل قتلهم ويزداد بذلك عدد الأرامل واليتامى ما بين الشيعة أملاً منه في تفتيت العوائل الجنوبية التي تُمثل أصل المعارضة للنظام .

قرر زوجها عدم الالتحاق بالعسكرية وهذا معناه أنه كتب على نفسه قرار الإعدام[1] . . . فما كان منه إلّا أن بقي مختفياً في البيت لا يخرج أبداً

(1) قرار مجلس قيادة الثورة رقم 1140 في 26/ 8/ 1981 «يعاقب بالاعدام من يعود إلى ارتكاب جريمة الهروب من الخدمة العسكرية خلال فترة الحرب بعد تسليم نفسه إلى الجهات المختصة أو إلقاء القبض عليه . وفي كتاب الفرقة المدرعة العاشرة المرقم 1256 في 28/ 8/ 1982 تطبق عقوبة الإعدام على من يرتكب جريمة الهروب دون التقيّد بمدة معينة أي يتحقق الهروب حتى لو كان ليوم واحد فقط ، عُدّلت مدة الهروب ومراته كما يبدو بقرار مجلس قيادة الثورة المرقم 1370 في 13/ 12/ 1983 حيث يُعاقب بالإعدام الهارب أو المتخلف عن الخدمة العسكرية إذا كانت مدة الهروب أو التخلف أكثر من سنة أو ارتكب الهروب أكثر من مرة . ثم عُدّلت مرة أخرى بقرار مجلس قيادة الثورة المرقم 877 في 1987 حيث طُبّقت على كل من يرتكب جريمة الغياب أو الهروب لمدة أكثر من خمسة أيام . وشددت لاحقاً تلك المدة بقرار مجلس قيادة الثورة المرقم 700 في 27/ 8/ 1988 الذي ينص على أن ينفذ حكم الإعدام من قبل المنظمة الحزبية بعد التثبت من واقعة جريمة الهروب والتخلف عن الخدمة العسكرية بكل هارب أو متخلف يلقى القبض عليه بغض النظر عن عدد مرات الهروب ومدته . وخلال حرب الخليج الثانية أصدر مجلس قيادة الثورة القرار 20 في 18/ 1/ 1991 الذي منح الهاربين والمتخلفين عن الخدمة العسكرية 15 يوماً . لم يُحدد الرئيس عقوبة الهاربين فقط ، بل أخرج العمل أيضا ، حيث حدد كيف تنفذ عملية الإعدام ومن يحضرها بكتاب ديوان رئاسة الجمهورية 3/ 2/ 1983 الذي ينص : عند تنفيذ حكم الإعدام بالمُدانين من المتخلفين والهاربين من الخدمة العسكرية يتم التنفيذ بهم على شكل مجاميع (كل مجموعة تضم خمسة أو ستة مُدانين) بحيث لا يكون التنفيذ فردي لكل شخص على حده . أنظر :
http://www.gilgamish.org/printarticle.php?id=23726.

لأكثر من سنة، وبعد تلك السنة أصدر النظام قرار العفو عن الهاربين في استبدال السجن بدل الإعدام، فقرر زوجها تسليم نفسه بيد السلطة، فحُكم عليه أن يقضي عقوبة السجن لسنة في السجن العسكري..... بقيت ابنتي خلال تلك الفترة مع حفيدتي (حراء وزهراء) تعاني صعوبة المعيشة وألم الملاحقة والتشريد..... فقد تمكنت المخابرات في تلك الفترة من قتل أخ زوج أبنتي بعد تعذيب تقشعر منه الأبدان[1].

خرج زوج ابنتي من السجن بعد معاناة يصعب تسطيرها في هذا الكتاب فقرروا ترك النجف أو كربلاء والذهاب إلى بغداد لتغييب وجوههم عن ملاحقات المخابرات فجاءوا إلى منطقة مختلطة في أطراف العاصمة فاستأجروا بيتاً هنالك.

نداء: ابنتي الوسطى التي كانت معي في لحظات اعتقالي والتي على إثرها قررت أن لا تبقى في البيت فرجعت إلى بيتها في بغداد مع زوجها، عندها في ذلك الوقت بنتها الكبيرة (سجى) وطفل آخر مصطفى الذي ولد في ظروف قاسية أدت إلى عوقه وهو في سن مبكر، وقد قررت أنا أيضاً هجرة النجف بعد إطلاق سراحي خوفاً من الاعتقال المتكرر والعيش مع ابنتي نداء في إحدى ضواحي بغداد. وكانت ابنتي تعمل كباحثة اجتماعية في إحدى دوائر الدولة، ثم وعلى أثر اعتقالي ضويقت من قبل عناصر المخابرات في دائرتها فتركت وظيفتها، فبقيت تعاني الحرمان بعد أن أصيب

(1) هو العلامة الكبير السيد عصام شبر مواليد 1950 نجل العلامة السيد عباس شبر عالم البصرة، وقد كان السيد الشهيد من خيرة من أنتجته مدرسة العلم في النجف، فقد تم ملاحقته بعد أن ترك البصرة متخفياً في كربلاء فلاحقوه هنالك ثم سجنوه بعدها قطعوا جسده بصورة وحشية ورموه في تابوت بباب داره في شباط من عام 1988 تاركاً ثلاثة أنجال، أنظر الموقع التالي:
http://www.kitabat.info/subject.php?id = 17260.

زوجها بشظية في الحرب أدت إلى بتر جزء من رجله اليسرى فتوجه عندئذ إلى العمل الحر بالقدر الذي يمكنه لتوفير معيشة عائلته[1].

وفي الشهر الرابع من سنة 1988 طرقت الدار صباحاً وعندما فتحت ابنتي الباب هجم عليها خمسة رجال يرتدون زي السلطة البعثيّة وقالوا لها أنهم يريدون تفتيش البيت، ثم اعتقالنا جميعا، فطلبوا منها أن تتهيأ لذلك، دخل عناصر المخابرات إلى الدار وأول شيء عملوه هو تقطيع أسلاك التلفون ثم فتشوا الغرف واحدة واحدة، ثم طلبوا منّا مرافقتهم إلى دائرة الأمن، فلبست ملابسي وأنا مستعدة إلى اعتقال آخر أو سجن قد يطول إلى ما شاء الله، بينما اجتهدت ابنتي نداء أن تلبس ما تمكنت من ملابس تغطي جسمها بشكل كامل خشية من احتمال تعذيب أو ما شابه.

كانت ابنتي قد رزقت قبل شهر ونصف بمولود جديد (أفنان) وكانت تتغذى من أمها فحملتها معها ترافقها طفلتها سجى ومصطفى المعاق، فطلبت منهم أن يسمحوا لنا في أن نترك الأولاد عند الجار، فرفضوا لأن الأوامر جاءت باعتقالنا كلنا بلا استثناء. أركبونا في سيارة المخابرات وأخذونا إلى مديرية أمن الكاظمية، ومن هنالك إلى مديرية الأمن العامة

---

(1) في سنة 1984 كان السيد صبيح صادق شبر (مواليد 1952) يعمل كجندي مكلف في قاطع سيف سعد (الوحدة الطبية)، فقرر ضابط التوجيه السياسي (المسؤول الحزبي) أن يتخلص من سيد صبيح وذلك بعد أن اكتشف بأن أب زوجته قد تم إعدامه وأن أمها مسجونة، وفي هذه الحالة فإن النظام عندما يريد التخلص من المعارضين يرسلهم إلى الجبهات في الخطوط الامامية وهذا ما حدث عندما أمره ذلك الضابط أن ينزل إلى ساتر ترابي لإنقاذ الجرحى الذين أصيبوا في الهجوم، وبمجرد أن نزل صبيح إلى الخندق انفجر لغم أرضي بتر قسما من قدمه اليسرى فنقلوه إلى المستشفى وأجريت له خمسة عمليات بعد أن تبنى أمر العلاج بنفسه وصرف عليها من ماله الخاص فتمكن الأطباء من أن يبقوا جزء من القدم سالمة.

فدخلنا كلنا، وهنالك فصلونا احدنا عن الآخر واخذوا ابنتي نداء إلى مكان لا أعرفه، أما أنا فأبقوني في غرفة لا أعرف مصيري ولا ندري لماذا جاءوا بنا إلى هنا.

قادوا ابنتي إلى ضابط اسمه (تحسين) ولعله اسم مستعار جلست نداء في الغرفة أمامه وبدأ الضابط بالتحقيق معها يسألها عن أمور كثيرة ولكن أهم سؤال هو أنهم أخرجوا لها صورة ابني صلاح وسألوها هل تعرفين هذا الشخص، أجابت بنعم، سألوها هل يتصل بكم..؟ أجابت بالنفي، وقالت بأن علاقتي به ليست جيدة منذ زمن بعيد، ولذلك فلا أعرف عنه شيء.. تأفف الضابط تحسين وهو يهز يده ويتوعد بشكل حانق، وهو يؤكد على عنوان ورقم تلفون ابني صلاح، وكان في ذلك الوقت في كندا بعد أن ترك أمريكا.

- سألها الضابط: أتدرين لماذا أسألك عن صلاح..؟
- لا.. لا أدري لماذا.
- انه مجرم كبير، وخطر علينا، ونريد أن نعرف عنه كل شيء.
- حقكم انتم حكومة، ولا أدري ما أجيب.
- انه المخطط لانفجار آخر حدث في شارع أبو نؤاس.. أتعرفين بذلك...؟
- لا لا أعرف.... كيف أعرف ومن أين..؟
- مو معقول متدرون عن ذلك...
- اقسم بالله لا أعرف عن ذلك...
- وهل تعرفون الله أنتم... انتم مجرمون...

- نحن عائلة شريفة أمينة وطنية يشهد العراق بوطنيتنا . . . .

- لا تتكلمي هذا الكلام وإلا أسلط عليك كلاب تنهشك الآن. . . .

- آسف. . . ليس لي إلّا أن أوضح موقفي. . . .

ثم أخرج صورة أخرى وطلب من ابنتي أن تخبره عن اسمه. . قالت له لا أعرفه ولم أره. . . . وكان ذلك الشخص هو جثة ميت ولكن وجهه واضح فأجابته بأنها لا تعرفه، ولكن المحقق ألح عليها في ضرورة إخباره عنه، ولكنها بالفعل لا تعرفه، والمعتقد بأنهم كانوا متشككين في أن الصورة هي لأبني الثاني السيد حامد الذي استشهد منذ وقت طويل.

- أهؤلاء أطفالك أيضاً. . ؟ سأل الضابط تحسين. . .

- وزوجك أقاربك أيضاً ابن خالتك أليس كذلك. .

- نعم أنه بعد أن بترت ساقه فهو يعمل الآن في إحدى المحلات. . .

- نحن نعلم، فقد اعتقلناه قبل قليل ولا داعي أن تخبرينا عنه وسيصل بعد قليل. . .

- اعتقلتموه. . ؟ كيف. . . !

- نعم اعتقلناه، لكي تكون صورة صلاح عندنا كاملة من مصادر عدة لأنك لا تريدين أن تخبرينا عن أخيك بالكامل.

- ابداً. . أنني فعلاً لا أعرف عنه. . فقد تزوجت وأنا صغيرة وغادرت النجف وكنا بالصدفة يرى أحدنا الآخر. . . .

- ولكن هذه الصدف ألم يكن لك معه صورة أو ما شابه أو ذكريات. . ألم

يرسل لك وهو في أمريكا صورة أو تلفون. . . ؟ إنه شيء غير معقول. . . . .

- صدقني أن كل ما أعرفه عن صلاح هو ما أخبرتك به.

- زين إذا كان كذلك فاخبريني عن الآخرين. . . .

ثم بدأ يسألها عن كل فرد من أفراد العائلة أين يعمل وأين أكمل جامعته، وعمره وما إلى ذلك، وربما كان ينوي مطابقة المعلومات التي بحوزته، أو أنه كان يريد التأكد من صحة كلامها عن صلاح. . . . بعدها بادر إلى سؤالها عن أشياء وقعت في العراق ليختبرها فيما إذا كانت على علم بها أو لا، فظهر بأنها لا تعرف كثيراً عن حوادث سياسية، وخصوصاً الهجمات التي كانت المعارضة تشنها على مراكز الحزب في مناطق بغداد والمحافظات، فمثلاً سألها عن حريق حدث قبل أسبوع في منطقة سكناهم، فقالت لا أعرف عن ذلك ولم أسمع به، وفعلاً لم تكن ابنتي تعلم عن ذلك لأننا بعد أن خرجت من المعتقل انزوينا بشكل كبير خوفاً من تكرار الاعتقال ومن الملاحقة. . . . . . وقد كان في ذلك الوقت المحامي السيد حسن شبر زوج ابنتي أم حراء قد قرر أن لا يلتحق بالعسكرية، فجاء إلى بيت نداء واختفى فيه في إحدى الغرف بعيداً عن عيون المخابرات التي كانت تعاقب الهارب ومن آواه بالإعدام، وبالصدفة أن السيد المحامي كان قد غادر البيت قبل يومين بالضبط من وصول عناصر المخابرات لا لسبب واضح، وإنما فقط للتمويه في تغيير أماكن التخفي.

بعد استجواب استمر لأكثر من ساعتين قال لأحد الجلاوزة أن يخرجها إلى الممر، وفي هذه الأثناء جيء بمجموعة من الشباب وهم مقادون باتجاه غرف التعذيب، وكانت المخابرات تعتقد بأن أحدهم هو أبني الشهيد سيد

حامد وهكذا مصادفة ستكشف الأمر عن هوية المعتقلين الذين رفض البعض منهم الإدلاء بهويته أو اسمه الحقيقي. . . هذا في الوقت الذي كانت ابنتي مع أبنائها الأطفال الثلاث يجلسون على البلاط منتظرين مصيرهم أو ما سوف ينتهي إليه الأمر.

في نفس الوقت كان التحقيق معي قد أجري بنفس الأسئلة ونفس الصور التي عرضوها لأولادي وكانت أجوبتي كما هي لا أعرف أي شيء عن ذلك، أو ما يدّعون فيه بأن ابني الأكبر يقود عمليات مقاومة مسلحة ضد النظام.

بعدها جمعونا سوية ثم أطلقوا سراحنا بعد أن تأكدوا بأننا لا نعلم أي شيء عن ما يقولونه. في تلك الفترة سأل المحقق تحسين عن اسم أحد أقربائنا وفيما إذا كنا نعرفه آو نلتقيه. . . . . فقالت له ابنتي نعم نراه أحياناً ويأتي أحيانا يأكل عندنا فقال له بما معناه ما أحقره من إنسان. .ويبدو أن المعلومات التي تم رفعها من قبل ذلك القريب كانت تقرّباً أو تزلفاً، وربما خوفاً أو جبناً هو مدار البحث والاعتقال بعد أن جنّدوا كل قواهم في سبيل ملاحقة أبنائي الذكور صلاح وحامد. . . .

رجعنا إلى البيت وفي نفس اليوم الذي عدنا فيه وإذا بأفنان قد تغير شكلها وكان عمرها أقل من أربعين يوم، وصارت ترتجف بشكل غير طبيعي، ولا أحد يعلم ما حدث، أخذوها إلى المستشفى ثم واصلوا معها العلاجات فظهر بأنها ولسبب لم يعرفه أطباء العراق قد أصابها مرض ربما نفسي أو غيره تركها بنتا معوقة، فقدت ذاكرتها وفقدت نطقها، وبقيت إلى الآن بهذه الصورة بالإضافة إلى الولد مصطفى.

بعد عشرة أيام أتصل تحسين الرائد على البيت وبمجرد أن أجابت ابنتي

نداء قال لها أنا فلان فارتعدت فرائصها من الخوف بمجرد سماعها باسمه، فقال لها أنت كنت قد اعترفت بأنك ستجلبين صور عن أخيك صلاح، أين هي الصور، قالت عفواً أستاذ أنا منذ الأيام السابقة كنت طريحة الفراش وأنا مستعدة في أي وقت تريدون أن اجلب لكم الصور، قال لها أذن تعالي إلى ساحة عبد المحسن الكاظمي وهنالك سأصل وآخذ الصور منك. . . .

في وقتها قررت نداء ابنتي أن تستعين بالأقارب أو المعارف أو من له حضوة في رد كيد هذه الطغمة الفاسدة، فالأمر سوف لن ينتهي في لقاء بل ستتواصل الاعتقالات والابتزازات وغيرها مع ابنتي. . **وأخيراً قررت نداء أن تأخذ ابنتها الرضيعة معها إلى المكان الذي تم الاتفاق عليه، وهي تحمل بعض الصور لأبني صلاح قديمة**. . . . . وخلال ساعة وصل الضابط تحسين في سيارته (السوبر) محاولاً استعمال أساليب دنيئة في بث الرعب والخوف في نفس ابنتي، ولكن نداء كانت مصرة أن تعطيه الصوروتختفي، وقد كان ذلك المجرم يحاول أن يلعب لعبة الرخصاء المهزومين.

وكان في ذلك الوقت ينتظر في زوايا الساحة زوجها وبعض من الأقارب خوفاً من حدوث شيء، ولكن ذلك لم يحدث، بل أخذ الصور وغادر. . . . وبعد عشرة أيام اتصل ثانية وطلب اللقاء فقالت ابنتي له عن ماذا اللقاء. . .؟ فقد أعطيتكم الصور وانتهى الأمر، فقال لها لنعيد إليك الصور، قالت لا احتاجهم، قال لا، يجب أن أسلمها لك أنت، فتعالي في نفس الموعد والمكان، وهنالك ذهبت ابنتي وهي في أقسى حالات الانهيار والرعب، إلى أن جاء الجلواز فحاول الضغط عليها كي تصعد معه في السيارة، ولكن ابنتي نداء كانت في منتهى التحدي معه، وقالت له بأنها ليست مستعدة سماع أية كلمة غير أخذ الصور، وعندما شاهد إصرارها دفع لها الصور وغادر. . . . .

بقيت الملاحقة مستمرة لنا حتى بعد أن غيّرنا مكان سكننا في منطقة لا يتوارد إليها الشك، وذلك بعد أن تم قتل صاحب الدار بطريقة غامضة وهو ملحق عسكري في الإمارات، وجيء بجنازته، فقررنا أن ننتقل إلى البيت الجديد الذي كان في منطقة خليطة من شتى التوجهات، ولكن مع ذلك اكتشفونا، وبدأت الملاحقة إلى ابنتي، مع اعتقادي بأنهم كانوا يقومون بذلك من جرّاء شكّهم بأن ابني صلاح يدخل إلى العراق بأسماء مستعارة، وينفذ عمليات جهادية ويغادر، وأنه يلتقي ابنتي في بيتها أو في مكان ما، فصارت نداء فخا منصوبا للإمساك بصلاح.

وفي الثالث من شهر مايو 1989 سافرت نداء مع عائلتها إلى السليمانية لقضاء إجازة فكان هنالك سيارة تتابعهم أينما ذهبوا، وحتى الفندق الذي سكنوا فيه كان نفس الشخصين هنالك، وهو اعتقاد المخابرات بأن مكان اللقاء مع ابني صلاح هو السليمانية، لأنها المدينة التي كانت أطرافها في اتصال مع الحدود الإيرانية مكان المجاهدين.

وخلال وجود العائلة في السليمانية تم اغتيال عدنان خير الله بالطريقة التي أثارت أكثر من علامة استفهام على ضلوع صدام بالعملية، وذلك في الرابع من ايار من عام 1989. . . . وفي نهاية فترة الاصطياف كان قرار ابنتي أن يسافروا إلى (حلبجة) حيث وقعت المجزرة الرهيبة التي راح ضحيتها أكثر من خمسة ألاف إنسان[1]، فسافرت العائلة هنالك ورأت بأم عينيها ما ارتكبته أيدي الإجرام، وفي طريق العودة من حلبجة كانت ابنتي حامل في شهرها الرابع فشعرت بآلام تشبه آلام الوضع فذهبت إلى مستشفى هنالك فأخبروها بأن الجنين في بطنها إما ميت أو حدث به شيء ما، ويبدو

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Halabja_chemical_attack.

أن واقع مدينة حلبجة وآثار غازات السيانيد وبقية المواد المشعة المتبقيّة قد أثّر بها، مما سبب في تلك الأعراض، وبمجرد أن رجعت إلى بغداد قبل الذهاب إلى المستشفى شعرت بأعراض مشابهة لأعراض الطلق، وفعلاً في نفس الليلة اسقطت الجنين ميتاً من بطنها.

سلوى: أما ما بقي من العائلة فهن بناتي الثلاث اللاتي عانين ما عانين من سلطة البعث ومن مخابراته، فقد تزوجت ابنتاي الكبيرتان هيفاء ونداء قبل الثمانينيات وبقيت معي سلوى الصغيرة التي تزوجت بعد اعتقال أبيها، وكان ذلك بعد أن اقترحت العائلة بأن بقاء البنت في هذا الظرف صعب بدون زواج، فالبعث ومخابراته لا يتورع عن ملاحقة عوائل المجاهدين، فمن الأجدر تسهيل أمور زواجها لمن يتقدم لخطبتها بعد أن تم رفض الكثير ممن تقدم لذلك انتظاراً كما اعتقدنا إطلاق سراح السيد الشهيد، وأخيراً صار القرار أن نقبل باقترانها من آل محي الدين جارنا أصحاب الكرم والتأريخ بعد أن اتصلنا بأخيها الكبير في أمريكا فكان مشجعاً على ذلك...

كانت ابنتي سلوى تمارس التعليم في مدرسة قريبة من بيتنا (مدرسة الرباب الإبتدائية) تذهب صباحاً وترجع ظهراً، وهي تقوم بمهامي في البيت من تنظيف وطبخ واستقبال الضيوف..... فعندما اعتقلوا السيد الخطيب والدها في عام 1983 بدأت عناصر المخابرات تأتي تباعاً إلى مدرستها وتسأل عنها وعن نشاطها وفي قولهم بأنهم يريدون الحديث معها بغيةً منهم في تهديدها، فكانت المديرة تخرج لهم إلى الشارع وتمنعهم من الدخول إلى المدرسة، وتقول لهم: يجب عليكم أن تعرفوا قيمة الناس وقيمة هذه الفتاة في أصولها وشرفها، وكذلك تمنعهم من الحديث معها رأفة بها...... ولم تكن المديرة تُعلم ابنتي بما يجري من مطالبة عناصر الأمن باعتقالها أو التضييق عليها كرماً وتضحية منها.

بعد اعتقالي بأيام جاء كتاب إلى البيت باستدعاء سلوى إلى مديرية الأمن في النجف وحُدّد موعد لذلك، زوجها الحاج قاسم كان في ذلك الوقت جنديا في الجيش عمل المستحيل في سبيل منع اعتقال زوجته مع الإشارة إلى أهمية عدم ربط العلاقة التي بأبيها الخطيب السيد الذي كنا نعتقد بأنه أعدم كما أخبرونا عن ذلك[1]، لأن لذلك تبعات كبيرة على كل ما يتعلق بالزوج الذي كان عليه أن يخبر مديرية الاستخبارات العسكرية في علاقته بالشخص المعدوم، وأنه هو أب زوجته.

فالاستخبارات العسكرية تُلزم الجندي أو المنتمي أن يملأ استمارة عن كل ما يتعلق بوضعه، وفيما إذا كان أحد من أقاربه من المعارضين إلى النظام أو المعدومين أو المسجونين. . . . وإلّا فعقوبة الإعدام هي النتيجة لذلك. . . . . تكتم الزوج على الموضوع بشكل كبير تجنّباً لمأساة كبرى قد تصيب العائلة بأكملها[2].

لم يكن أمام الزوج آنذاك إلا أن يُطلّق أبنتي في المحكمة وذلك بعد مضي تقريباً سنة على زواجهما، أي رسمياً بدون تطليقها شرعاً[3] وقد كان هذا الأمر من أشد اللحظات وأصعبها ألماً على قلب الزوجين، هذا في

(1) ثاني يوم من زواج سلوى بالضبط جاءت المخابرات إلى بيتنا لتخبرنا بأنهم قتلوا السيد الشهيد والدها، كما اشرتُ له سابقاً بداية الكتاب.

(2) كان الحاج قاسم يعمل في القوة الجوية وحدة القلم، وهو القسم الذي يُشرف على الأسماء وعلى بريد المعسكر، وغالباً ما يعمل فيه من يتم الوثوق به أو من يملك تأثيرا على الضباط.

(3) في العراق لا تعترف العوائل النجفيّة بالخصوص بالزواج أو الطلاق الرسمي. . . . الذي يهم الناس هو طلاق السيد أو الشيخ كما يُسمونه، أي أن يحضر الرجل العالم إلى البيت ويتم قراءة صيغة الزواج أو الطلاق، والناس هنا تذهب إلى المحكمة الحكوميّة من أجل المعاملات الرسمية ليس إلّا، أما الذي لا يحتاج إلى ذلك فإنه لا يُسجل زواجه في دوائر الدولة.

الوقت الذي يستلزم عليهما أن لا يظهرا أمام المجتمع بأنهما يعيشان في بيت واحد، مما فرض على ابنتي أن تُخفي نفسها عن الناس وعن زيارات الأقارب وتقبع في غرفتها خوفاً من الوشايات.

وفي هذه الأثناء تم استدعاء ابنتي إلى الأمن من خلال المدرسة طالبين منها الحضور إلى مديرية الأمن. . . . . وفي اليوم المُحدد لبست ابنتي ملابس سوداء ثم لفت كل جسمها ببنطلون أسود خشية من التعذيب، وحفظاً على الستر والحجاب وذهبت إلى هنالك حيث تنتظرها كل الاحتمالات[1] بعد أن سعى زوجها بما يتمكن في سبيل عدم إبقائها في السجن أو إرسالها إلى بغداد. . . . فقد ذهب معها أحد الأشخاص الذين لهم علاقة صداقة مع مدير الأمن وجلس في الغرفة التي ينتظر بها المراجعون.

سلّم الرجل ابنتي سلوى إلى الأمن، فأخذوها وهي ترتدي ملابس واسعة مع طقم داخلي يغطي كل الجسم ثم قناع الوجه فاستلمها أحد الجلاوزة، وأخذها إلى غرف متعددة إلى أن حلّ بها المقام أخيراً في الغرفة التي تنتظر بها لحين وصول مدير الأمن. . . . . . بعد ثلاث ساعات نودي

(1) سجون النساء المؤمنات في العراق كثيرة ومعقدة معظمها توجد في بغداد وفي مديريات الأمن العامة، مشكلة التعقيد تنطلق من الوضع الاجتماعي لسجن المرأة التي تمنع الأب أو الزوج أو الأخ في أن يبوح بالموضوع لأنه يخشى الفضيحة (كما يُعتقد) (بسبب دناءة المخابرات وقلة حياءهم)، ولذلك فإن معظم العوائل الذين سُجنت بناتهم أمسكوا على صمتهم ألماً وخوفاً من الرأي الاجتماعي. أنظر موضوع حقوق السجينات في الوطن العربي:
http://www.aljazeera.net/programs/forwomenalone/2004/6/4/.
كما أن الكثير من الأزواج طلّقوا زوجاتهم اللاتي تم سجنهم في مديريات الأمن. أنظر التقرير التالي الصادر عن مؤسسة الحكيم، لندن:
http://www.alhakeem-iraq.net/print.php?id=97.

عليها فدخلت على -كما يقولون- مدير الأمن، فقال لها اجلسي على الكرسي فجلست وهي ترتجف من الخوف والرهبة، فسألها:

- أنت سلوى. . أليس كذلك. . ؟

- نعم أستاذ.

- تتذكريني. . ؟ أنا الذي كنت أتصل بوالدك، وأنت تجيبين على التلفون. . أليس كذلك. . . . ؟

- لا أتذكر جيداً، فالكثير من الناس تتصل، وليس من السهل عليّ معرفة هذا الصوت من هذا الصوت.

- ممتاز. . قولي لي لماذا جاءوا بك إلى هنا. . ؟

- جاءني كتاب إلى المدرسة في أن أحضر إلى مديرية الأمن. .

- أنت معلمة يبدو. . ؟

- نعم أستاذ. .

- والدك كان يحبك كثيراً. . . أنت الصغيرة، ألست كذلك. . ؟

- نعم. . . .

هنالك انحدرت دمعة ساخنة ترقرقت من خلف غطاء الوجه (البوشية) عندما ذكر هذا المجرم اسم والدها، مع حشرجة ملأت صدرها وصوتها. . . . .

- لقد اعتقلوا والدتك. . . . . أليس كذلك. . ؟

- نعم أستاذ، فهي امرأة مُسنّة ومريضة، ولا أدري لماذا اعتقلوها. . . .

رفع سماعة التلفون كأنه يتظاهر بأنه مستنكر لعلمية الاعتقال، وسأل أحدهم هل اعتقلتم امرأة السيد جواد شبر. .؟ وكأنّ الجواب جاء من الطرف الآخر بنعم، فرمى سماعة التلفون من يده وهو يقول بسيطة. . . بسيطة، ثم نادى على أحد الجلاوزة وقال له أنظروا ما عندها. . . . . ويبدو أن هذا المجرم هو ربما (نوري الفلوجي) حسب نبرة صوته، وهو معاون مدير الشعبة الخامسة (زهير التكريتي)، وهو الشخص الذي كان يتصل بالسيد ويهدده أو يساومه، كما أنه أشرف على التعذيب عندما اعتقل بها السيد في المرتين السابقتين (أنظر أقسام الشعبة الخامسة)[1].

خرجت ابنتي من الغرفة بمساعدة جلواز آخر في ممرات كثيرة، وغُرف مُتداخلة حتى وصلا إلى غرفة مليئة بالفايلات فجلست هنالك. . . . . كان أول سؤال سألها لماذا توسطتم مع فلان (الشخص الذي رافقها، صديق مدير الأمن). . .؟ ثم بدأ بالسب والوعيد بكلام فاحش وسألها:

- قولي لي أين أخوتك. .؟
- أيهم تسأل عنه. .؟
- ابدئي بمحمد. . .
- ما عندنا محمد. . . .
- زين قولي لي من إخوتك. . .
- أخي صلاح الكبير أرسلته الجامعة بعثة إلى أمريكا. . . .
- آه. . . . وينه هو الآن. .؟ هل يخابركم. . . . .؟

(1) http://www.inciraq.com/pages/view_paper.php?id = 200912024.

- لا، منذ زمن بعيد، ولا نعلم عنه شيء.....

- ثم من..؟

- زيد استشهد في الجبهة...... حامد خرج من البيت ونعتقد بأنه عندكم، وأمين جندي في الجيش، وصار له أكثر من ثلاثة أشهر لم نره....

- أين حامد..؟

- مفقود...

- أمك تقول شهيد، وأنت تكولين مفقود شنو القصة..؟

- الأم تتصور ما تريد أن تتصوره ولا أدري.....

- هل أنت متزوجة...؟

- نعم

- من زوجك..؟

- قاسم محي الدين...

- متى تزوجت.....؟

- قبل أشهر...

- عائلة مجرمة وخونة كلكم... وأنت يجب أن نرسلك إلى بغداد ليعرفوا كيف يصفون حساباتهم معكم..

- أستاذ أنا أمرآة بسيطة، ولا أعرف أي شيء عما تتحدث عنه، وأخوتي أنتم حكومة وتعرفون أين هم، أكثر مني...

- اسمعي إذا اتصل بكم واحد من إخوتك ولم تخبرينا سنعدمك. . فهمت. . . !! والآن لولا الواسطة التي جاء معك لذبحناك ولعرفت من ربك يا (. . .) بنت (. .).

ثم بدأ بالسب واللعن على الشهيد السيد وعلى آل شبر وعلى أولادي إلى أن طلب منها أخيراً أن تُوقّع على ورقة تقول بأنها ستقبل الإعدام إذا سمعت أي خبر عن أخوتها ولم تخبرهم، فوقعت على الورقة، وحلفت بالله على ذلك ثم أمرها بأن تغادر وهو يتوعد إلى أن أوصلها إلى الخارج.

ذهبت سلوى إلى البيت، وبدا الأمر خطيراً ليس عليها فقط، بل على عائلة زوجها، فصار القرار بعد الاعتقال هذا أن يُرتبوا أمور الطلاق الرسمي، وهو أمر صعب جداً، خصوصاً وأن الناس لا تعرف خلفيّات الموضوع وأبعاده، وقد يتطور الأمر إلى ما هو أشد من ذلك. . . . . فقد تم ترتيب الموضوع بشكل سري جداً مع البعض من الناس في أن ترافقهم سلوى في الحضور إلى المحكمة أمام الحاكم لعرض قضية الطلاق. . . . . فذهبت ابنتي وكان معها شاهدان من الأشخاص الأقارب الذين تم ترتيبهم بشكل تبدو القضية كأنها حقيقية، فحضرت في ذلك اليوم ودار الحديث التالي بعد أن سألها القاضي[1]:

- ما أسمك. .؟

- سلوى جواد شبر. . .

- سلوى جواد شبر. . . !! أعاد القاضي ما قالته سلوى. . . . .

- نعم. . أجابت سلوى. . . .

(1) كان القاضي هو الأستاذ عبد ناصر الساعدي.

- يعني أنت بنت الخطيب الكبير. . ؟

- نعم أستاذ.

- أنت ابنته حقاً. . . .

- أيه أستاذ، أنا أصغر ذريته. . . .

- آه. . ثم آه. . . . لعن الله الدنيا ولعن الحياة. . . . . .

- . . . .

- وتريدين أن أحكم بطلاقك. . ؟

- هكذا هو. . .

- لا. . لا. . . . . أنا ما أطلق بنت هذا السيد العظيم. .

- . . . .

- رحمه الله. . رحمه الله. . . . كان استأذنا. . كان موجهنا. . . . .

ثم التفت إلى زوجها الحاج قاسم وسأله: هل أنت زوجها. . ؟ أجاب بنعم. . . فأراد القاضي أن يقول شيء، أي أن يعترض على الطلاق أو يؤخره[1] ولكنه استدرك الأمر. . فقال للزوج أعطني هويتك ثم سأل الشهود أيضاً، بعدها تم الطلاق الرسمي وأصدرت الورقة التي كان يجب لها أن تُقدّم إلى المخابرات العسكرية لإنقاذ رقبة الزوج الكريم من حبل المشنقة.

لم يتوقف عناصر الأمن في التردد على المدرسة التي تعمل بها سلوى،

(1) لقد قام العلامة الكبير السيد عدنان البكاء بالسعي في إتمام الأمر بشكل ينقذ العائلة من شر المخابرات من خلال إتمام الطلاق الصوري.

ولولا حكمة المديرة وطريقة اقناعها لعناصر الأمن لكان قد تم اعتقال سلوى أكثر من مرة، فبالرغم من أن المديرة كانت بعثية في الانتماء (الصوري)، ولكنها كانت كريمة النفس تهتم بابنتي خير اهتمام جزاها الله خيرا. . . .

فقد تم بعد مضي شهرين على اعتقالها استدعاها إلى المنظمة الحزبية مع عدد من العوائل الذين أعدم أبناؤ هم كنوع من التشفي أو كسر روح الصمود لديهم وللتبرؤ من حزب الدعوة كما هو سبب الاستدعاء الذي وصلهم. . . . . . فذهبت سلوى مع كامل حجابها وغطاء الوجه، فكان هنالك في التجمع الوجيه الكبير المرحوم عبد الغني البغدادي[1] وقد تم استدعاؤه لنفس هدف استدعاء ابنتي، فعندما عرف أن الجالسة في هذا التجمع هي سلوى دمعت عيناه وطلب منها أن تنقل تحياته إلي، فقد كانت عائلته تزورني وأنا في السجن، ولم تتوان عن الوفاء ليس لي فقط، بل للهدف الذي دخلنا من أجله السجن.



قالوا سُجنتُ لرأيٍ كنتُ تُعلنُهُ فاكتم، وحسبُكَ ما عانيتُ من غضض
قلتُ: هيهات سجني لا يُغيّرُني إنّ الهزار ليشدو وهو في القفص

(1) عبد الغني البغدادي شخصية مغمورة، ولكنها شخصية فخر لكل من تعرّف عليها وامتزج بطيب أخلاقها، فهو جارنا في النجف حي الحنانة، وهو أب المجاهدة الصابرة ساجدة البغدادي وأب طبيب القلب المتخصص محمد حسن البغدادي، والشهيد حسين البغدادي. فقد كانت هذه العائلة مثال لا يوصف في الوفاء والإخلاص والعلم والتدين.

الفصل الثامن

الإفراج

الهدف الرئيسي من السجن هو كسر روابط الإيمان بين الإنسان وقضيته، هذا في العموم، أما نظرية البعثيين العشائريين الطائفيين في العراق فهو الشعور بالانتشاء والانتصار بالإضافة إلى تحقيق مفهوم (الحيازة) و(الغلبة) لتحقيق أوهام تاريخية قديمة متأصلة بفكرة (قرشية - بدوية) مؤطّرة (بأمويّة - جاهليّة). . . . . . فقد كان الاعتقاد بسبب جهل الحكام الذين غالباً لا يملكون من الفهم إلا بما تفرضه عليهم سياسات القوة والعنف. . . . . وهذا أمر ربما سارت عليه كل حكام المنطقة منذ عام 11 هجرية عندما استعمل العنف مع المرأة أولاً، وهي أم الرسالة أعني بها الزهراء (ت 11/ 632 م) بنت الرسول التي كان للحاكمين أصحاب الثورة في أن يوقفوها من أن تقول كلمتها أو تتفوه بمنطقها بما تمليه عليها سُنّة الرسول.

فلا غُرو أن تكون أول من واجه الانحراف العقيدي أو التأويلي هو امرأة تلك هي بنت الرسول (ص) بعد أن عجزوا عن التماشي مع قدراتها البلاغيّة وحُججها الرسالية[1] فقرروا استعمال العنف في إيقاف تلك القدرة

(1) يا بن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فريّاً على الله =

بطريقة تبدو آنذاك لمجتمع المدينة بأنها جديدة على واقع الرسالة التي جاء بها الرسول. . . . . إن الحاكم عندما يمتلك مادة العنف والقتل فإن تفكيره يُحوّل تلك القوة إلى إله له يعبده، ويراه بأنه حلّ محل فطرته في تعريف وتفهم معنى الإله.

تماماً تتكرر الصورة بعد نصف قرن من وفاة النبي 680 ميلادية إذ تنبري امرأة أخرى لانحراف الحاكمين في مواجهتهم بعد أن وجد سيف العنف طريقه لإحتزاز رقاب الرجال، فكان على المرأة أن تستمد من عُمق عقيدتها ما يُمكنُ به تغطية فراغ تغييب الرجال بطريقة الإعلام المُنظّم المُنسق ذو اللهجة المتمكنة من أجل محاربة تضليل وتسطيح الأمة.

انظر إلى خطبة ابنتها لتقول[1] بما يكسر حاجز الخوف وجدار الصمت

= ورسوله، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم. . . . . ؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦]، وقال في ما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريا، إذ قال: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٥-٦]، وقال (أيضاً): ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصّكم الله بآية أخرج أبي محمداً منها. . .؟ أم تقولون: أن أهل ملتين لا يتوارثان. . .؟ أولست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة. . . .؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي. . .؟ فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحَكَم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم ما قلتم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم.

(1) أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الأسارى أن بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامةً، وان ذلك لعظم خطرك عنده. . . . .؟ فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متسقة وحين صفا لك مُلكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى: =

وإرهاب الدولة. . . . كل ذلك كانت هنالك امرأة قادت مسيرة التوحيد لشعبها قبل أكثر من خمسة آلاف سنة وهي آسيا بنت مزاخم التي وجدت أن الموت لها أفضل من أن تبقى ضمن حلقة الكفر(1) وضليل زوجها الفرعون. . . . .

إن المرأة هي أقرب أحياناً إلى فطرة الخير، لما خلق الله في نفسها من طاقات ذاتيّة إنسانيّة. . . . وقد يطول بنا المقام لكي نذكر أسماء تلك النساء العظيمات اللاتي هن في الواقع مثالاً لنا نحن من سار على دربهن(2)، فليس من الصعوبة أن ندرك بأن العظماء بأجمعهم كانت إلى جنبهم امرأة كبرى، كالرسول وعلي والحسين والرضا والحجة الغائب، وغيرهن كثير حتى أبطال العالم الغربي. . . . . . فأم قسطنطين (سانت هيلانة) ملك بيزنطية هي التي أقنعت ابنها الملك في اعتناق المسيحية، والتي على أثرها انتشرت المسيحية في الدولة الرومانية(3). وهكذا هي أم موسى وأم عيسى

= ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]. . . . أمن العدل يا ابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، ليس معهن من حماتهن حمي، ولا من رجالهن ولي، وكيف يُرتجى مُراقبة من لفظ فوه أكباد الازكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء، وكيف يستبطأ في بُغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن، والإحن والأضغان، ثم تقول غير مُتأثم ولا مُستعظم: لأهلّوا واستهلوا فرحا/ ثم قالوا يا يزيد لا تشل. . ؟. . . . . . فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جُهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تُميتُ وحيُنا، ولا يُدحض عنك عارها، وهل رأيُك إلّا فند وأيامك إلا عدد، وجمعُك إلّا بدد، يوم ينادى المنادي ألا لعنة الله على الظالمين.

(1) ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **[التحريم: ١١]**.

(2) زوجة زهير بن القين، أم عبد الله بن عمير، وأم عمر بن جناة، جارية مسلم بن عوسجة، وهن النساء اللاتي استشهدن في كربلاء.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/Helena_(empress).

وغيرهن من عظيمات بنين أمجاد أمتهن بعد أن عانين من ديكتاتورية حكام ذلك العصر. . . . . . نفس الأمر نجده في الجبابرة والطغاة والظالمين، فدوماً تجد أن هنالك امرأة تعمل إما في الخفاء أو في العلن على توجيه ذلك السلطان إلى الشر والقتل.

تحولت حياة السجن لنا إلى أمر طبيعي، وذلك بعد أن استعنا بالله مع حضور كامل إلى القدرات اللاتي سبقننا في مسيرة الصراع، وخصوصاً فقد كانت ظلال بنت الهدى ماثلة أمامنا، فهي المرأة التي ربما يعرفها الكل من المعتقلين الذين ينشدون التقرب إلى الله في تقديم هذه المعاناة الكبرى على طريق تحقيق المجتمع الفاضل المستقبلي.

انقضى على سجننا أكثر من سنة ونصف وقد كنا قد قررنا دائما أن نتحلى بصبر وقوة وعزيمة وصمود نتمكن بها من أن نكسر أنف القوة البعثية التي امتلكها صدام وزمرته. . . . . فليس هنالك أشد على الظالم من أن يجد أن المظلوم قد تحول إلى قوة إيمانية لا تُعير اهتماماً لموت أو لقوة أو لضربة سوط، وهذا تماماً هو الذي دفع الأحمق الفرعون إلى تعذيب زوجته آسيا حتى الموت. . وهو ذات الأمر في قصة زينب الكبرى التي تحدّت العالم بكلمتين كبريتين لم يقلها قبلها من المفجوعين في لحظات الحروب عندما تخطت إلى جسد أخيها لتقول لبارئها بكل شموخ: اللهم تقبّل منّا هذا القربان. . . . . . كانت تلك الكلمة هي التي حطّمت سايكولوجية الجيش الأموي وشتتت عزيمته، وتحول إلى أضحوكة كل منهم يُعيّر الآخر في جبنه وانحدار مبادئه. . . .

أبداً. . . . لقد قررنا أن تأكلنا الأرض برطوبتها، وأن يمص القمل كل دمائنا، وأن تُلهب السياط جلودنا على أن نُشعر عدونا باستسلامنا أو ضعفنا. . . . . . هكذا تحول المشهد خلال الأشهر الأخيرة من حياة

السجن. . في الوقت الذي لم يعد أحد من ذوي المعتقلات أو هنالك من إشارة إلى أن ما يشبه ذلك، فلا معلومات ولا ضعف ولا استسلام ولا تردد ولا خشية من موت أو قتل. . . هكذا هي قوتنا التي تولدت في نفوسنا حتى ضاق بنا الظالم أي ضيق، ونادي علينا في التجمع في الباحة الخارجية لكي نستمع منه ما يريد أن يقول لنا. . . .

لقد كان المبعوث إلينا من الضعف والجبن ما أحاط نفسه بحفنة من رجال المخابرات خوفاً من أن ينتابه منا ما يُشعره بالعار من نفسه. . قال: بأن الرئيس تفضل عليكم في أن يُطلق سراحكن على شرط أن تُخبرونا بمن سجناكم من أجلهم. . . . . . فانتم لستم مذنبين، وإنما المذنبين الذين لا حياء لهم، إنهم أبناؤكم الذين تركوكم سنة ونصف في السجن، إنهم أولئك (كذا وكذا) وعليكم أن تعلموا أن الرئيس تفضل عليكم في إطلاق سراحكم بالرغم من أنكنّ مُشاركات في فعل أولادكم في مواجهة الحزب. . . . . ثم انهال على السيد القبانجي وبدأ يتكلم بكلام بذيء صادر عن حنق وغضب بسبب الصمود الذي شاهدوه من كلي الطرفين، رجالاً ونساء. . .

فقد كانت النخوة العربية والمقاييس العشائريّة ترى في أن انتصار المرأة في موقف ما يُعادل عشرات المرات أكثر من إنجاز الرجل، كذلك الأمر في مسيرة التزامها بالدين وبالتقاليد فهي غالباً ما تكون حُجة على الحُكّام الظالمين[1]. . فالبعثيون لم يعانوا ومخابراتهم من الذل كما عانوا من

(1) في انتفاضة صفر من عام 1977 دعا البعث جماهير ووجهاء النجف إلى الحضور في بيت الحزب، وهنالك جيء بمتكلم كان يحث الناس على ترك الشعائر الحسينية، بعدها هدد المحافظ بالإعدام كل من يتجرأ على التوجه مشياً إلى كربلاء. بعدها كانت هنالك امرأة طلبت أن تسأل المحاضر، فقالت بأن الإيطاليين يحجون إلى جبل شامخ حفاة كل سنة تستغرق رحلتهم أيام مع رفضهم تعبيد الطريق لكي يسهل الصعود بالسيارة إلى تلك القمة، والسبب =

صمود هذه النسوة وفي طريقة إدارتهن للأزمة وعدم التخاذل أو التذلل أو الاستكانة مع أنهن لا يملكن إلا قُدرة الإيمان بالقضية ووضوح الطريق.

وبعد التهديد الذي تلقيناه من الأجير البعثي في خطابه لنا، قال: بأن إطلاق سراحكم سيتم الآن، ثم دخلت النسوة وهن مستبشرات بما تحقق في ذات الوقت كان الكل قد شعر بأنهنّ أصبحن عائلة واحدة، كيف يمكن لهنّ أن يفترقن أو يبتعد أحدهم عن الآخر بعد هذه المدة الطويلة التي أصّلت فينا حب الآخر، كما أصّلت أيضاً العلاقة مع الأطفال الذين كانوا هنالك في الشعور بانتمائهم لنا كلنا، وكذلك الأمر ما ينعكس على الأطفال الذين تعلقوا بالموجودين..... فقد كانت ساعة الفراق صعبة علينا الخروج من السجن كان يوما حزينا على الجميع

لست أعلم أين أذهب عندما طُلب منا على حين غرة أن يتم الإفراج عنا، فبيتنا في منطقة الحنانة تركته بناتي بعد أن صار من المستحيل البقاء فيه.... فقد عادت بناتي إلى بلداتهم هيفاء إلى البصرة ونداء إلى بغداد وسلوى عند زوجها، كما كنت أخشى أن تكون عملية إطلاق سراحنا مصيدة في معرفة المكان الذي سوف أذهب إليه من الأقارب.... فقررت أن أجلس خارج السجن أنتظرمن أحدهم أن يعرفني ليأخذني إلى ابنتي الصغيرة سلوى التي سمعت منها بأنها قد استأجرت بيتاً قريباً من المستشفى.

مرت ساعة من الزمن وأنا جالسة بباب المخفر، لا أدري أين أذهب

= هو أن عيسى كان قد مر مرور الكرام على هذا الجبل قبل ألفا سنة، واسترسلت قائلة: أنا لا أعلم لماذا منعت زيارة ابن الرسول مشياً على الأقدام، عندها ضجت القاعة بالهتاف، وخرج النجفيون وهم يهتفون بشعارهم المعروف: أبد والله ما ننسى حسينا.. لم نعرف من كانت تلك المرأة ولكنها كانت نجفية بالتأكيد. (أنظر: بوصلة الثورات: صلاح شبر، المصدر السابق).

ومعي بعض حاجياتي بعد أن أعطيت إلى الشرطة كل ما وصلني من فرش وملابس وغيرها ولم يبق معي إلا أشياء قليلة. . . . . بعدها اقترب مني رجل لا أعرفه، وكأنه مرسل من قبل شخص كما انتابني شعور بذلك. . . . . . فقال لي لماذا أنت جالسة هنا. . . ؟ شرحت له الأمر: فبكى بعد أن عرفني. . . . . وقال حرم السيد جواد شبر لا تدري أين تذهب. . . !! يا أمي كل بيوتنا هو بيتك، فصاح على سيارة أجرة وقال لصاحب السيارة تأخذها أولاً إلى مستشفى النجف الجديد (الحكيم الآن) وأسأل عن ابنتها لترى ما الأمر. . . .

ركبت السيارة وانا لا أعلم أين تقع المستشفى. . . في نفس الوقت علمت ابنتي بأنهم أطلقوا سراحي من جهة أخرى، فجاءوا على وجه السرعة إلى المخفر، فقيل لهم بأنني ذهبت في سيارة الأجرة، عندها انطلقوا يبحثون عني، وبالصدفة وجدوني وأنا مع سائق التاكسي بجانب عطار نُريد أن نسأله، وبمجرد أن وقع نظر ابنتي علي أغميّ عليها من الفرح ولم تصدق ما تشاهده بأم عينيها.

قررت مباشرة أن أرحل إلى مدينة أخرى، بعد أن جفتني النجف، وبعد أن تنكرت لي، بل تنكرت لقضيتي وقضية الشهداء العظام، مع أن ذلك ربما فيه بعض التجاوز على النجف، ولكنه شعور ينتابني بين الفينة والأخرى. . فقد غادر الرسول (ص) مكة بعد أن لاقى ما لاقى من قريش، فقرر أن لا يعود إليها أبداً وفعلاً حتى بعد فتح مكة لم يبق إلا أياما معدودة ثم غادرها.

هجرت النجف إلى بغداد واستقريت عند ابنتي الوسطى نداء وكان زوجها في ذلك الوقت قد أصيب في الحرب مع إيران بشظية في رجله قطعت أصابعه وتركته قعيداً في البيت يتداوى حتى تم تسريحه من الجيش. . . .

❀ ❀ ❀

يا ظلام السجن خيّم وامتع أنّات روحي
كم جريح متألم في الليالي كم جريح
ليس للسجن دوام فاعتقال وسراح
مثلما يأتي الظلام هكذا ياتي الصباح!!



المصادر

الكتب العربية

1. القرآن الكريم

2. ابن أبي الحديد، عبد الحميد: شرح نهج البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003. نسخة الكترونية (https://archive.org/details/shrhnahjbalagha).

3. الأزري، عبد الكريم: تاريخ في ذكريات العراق 1930-1958، الجزء الأول، بيروت، 1982.

4. الأشعري، أبي الحسن: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المكتبة العصرية، بيروت، 1990.

5. البحراني، احسان: نبضات الذاكرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2011.

6. الجاحظ، ابي عثمان: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1998.

7. الحسن، طالب :حكومة القرية، دار أور للطباعة والنشر، بيروت، 2002.

8. الحسني، عبد الرزاق: العراق، قديماً وحديثاً، عبد الرزاق الحسني، مطبعة العرفان، صيدا، 1958.

9. الحسني، عبد الرزاق: تأريخ الوزارات العراقية، ثمانية أجزاء، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، 1965.

10. الخليلي، جعفر: موسوعة العتبات المقدسة، مجلد 8 كربلاء، ص 372، عشرة أجزاء، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1987.

11. الصدر، محمد باقر: حديث في الولاية، موسوعة الشهيد الصدر، دار العارف، بيروت، 1990.

12. العلوي، حسن: التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي، دار الزوراء، لندن، 1988.

13. العلوي، حسن: الشيعة والدولة القومية، مطبوعات CEDI، فرنسا 1989.

14. الغزالي، أبو حامد: الإقتصاد في الاعتقاد، مطبعة السعادة، مصر 1327 هجرية.

15. الغزالي، زينب: أيام من حياتي، دار الشروق، مصر، 1984

16. القزويني، جودت: المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية، دراسة في التطور السياسي والعلمي، دار الرافدين، بيروت 2005.

17. الكرملي، أنستاس: لغة العرب، جمعها: جميل الجبوري، وزارة الاعلام، بغداد، 1975.

18. الكوراني، علي: سلسلة القبائل العربية في العراق، ساعد فيه: الشيخ عبد الهادي الربيعي، والشيخ كمال العنزي، 2010.

19. الماوردي، ابي الحسن علي بن محمد: الأحكام السلطانية والولايات الدينية. تحقيق احمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989؛ نسخة الكترونية
(https://archive.org/details/AlahkamSultaniya).

20. النعماني، محمد رضا: الشهيد الصدر، سنوات المحنة وأيام الحصار، المطبعة العلمية، قم، 1996.
21. الوردي، علي: لمحات إجتماعية من تأريخ العراق الحديث، عشرة مجلدات، بغداد 1969.
22. اليعقوبي، ابن واضح: تأريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم، 1414 هجرية.
23. آل طعمة، سلمان هادي: تراث كربلاء، تأريخها، عشائرها، أسرها، أعلامها، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، كربلاء، العراق، 1964.
24. آل محبوبة، جعفر: ماضي النجف وحاضرها، دار الأضواء، بيروت، 1986.
25. بطاطو، حنا: العراق: الكتاب الأول، الحزب الشيوعي، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، وكذلك الكتاب الثالث، ترجمة عفيف الرزاز. مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1999.
26. رؤوف،عادل: مرجعيّة الميدان، محمد محمد صادق الصدر، المركز العراقي للإعلام والدراسات، سوريا، 1999.
27. سوادي، فليح: كنت نزيل سجون صدام، شركة الديوان للطباعة، بغداد، 2011.
28. شبر، جواد: أدب الطف، أو شعراء الحسين، دار المرتضى، بيروت، 1969.
29. شبر، صلاح: أيام اعتقالي في السجون الأمريكية، دار الجواد، بيروت، 2012.
30. شبر، صلاح: بوصلة الثورات، أزقة النجف، حامد جواد شبر رمزاً، دار العارف، بيروت، 2013.

31. شبر، صلاح: ثقافة التسنن وثقافة التشيع وصراعهما التأريخي، دار العارف، بيروت، 2015.

32. شبر، صلاح: لماذا لا يثور العراقيون، دار روافد، بيروت، 2015.

33. شبر، محمد أمين: خطيب الأمة السيد جواد شبر، دار الكفيل، كربلاء، العراق، طبعة ثانية، 2014.

34. شمس الدين، محمد مهدي: ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامية، بيروت، 2006.

35. غوستاف لوبون: سايكولوجية الجماهير، ص 161، ترجمة هاشم صالح. دار الساقي، لندن، 1991 (ISBN 1 85516 815 4).

36. شبر، صلاح: الحرب النفسية أو معركة الكلمة والمعتقد، الجزء الأوّل، دار القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة، 1967.

37. نقاش، اسحاق: شيعة العراق، ترجمة عبد الإله النعيمي، منشورات دار المدى، لبنان، 1996.

38. فلهاوزن، بوليوس: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام، الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة، مصر، 1985.

المجلات والدوريات

1. العرفان اللبنانية، عدد 31، ص 315، لسنة 1934، مقال اضطهاد الشيعة في العراق.

2. تقرير حالة السجون العربية: تقرير المنظمة العربية للإصلاح الجنائي حول أوضاع السجون والسجناء فى بعض الدول العربية (الأردن-

البحرين - تونس- سوريا - العراق - ليبيا مصر - المغرب - اليمن)
(www.aproarab.org)

3. دليل الوزارات العراقية 1920- 2003، المركز العراقي للمعلومات والدراسات، دار نور الشروق، بغداد، 2007.

4. مجلة الثقافة الجديدة، عدد 12، السنة السابعة، 1959، للباحث العراقي محمد سلمان حسن.

مواقع المعرفة الأجنبية:

1. http://de.wikipedia.org/wiki/Bischr_ibn_al-Mu%CA%Bftamir ابن المعتمر
2. http://en.wikipedia.org/wiki/American_Revolutionary_War الثورة الأمريكية
3. http://en.wikipedia.org/wiki/Armenian_Genocide مذابح الأرمن
4. http://en.wikipedia.org/wiki/Auspicious_Incident مذبحة الانكشارية
5. http://en.wikipedia.org/wiki/Bah%C3%A1%27%C3%AD_Faith البهائيين
6. http://en.wikipedia.org/wiki/Category:American_journalists المحللين السياسيين في أمريكا
7. http://en.wikipedia.org/wiki/Classical_conditioning تجارب بافلوف
8. http://en.wikipedia.org/wiki/Culture تعريف كلمة الثقافة
9. http://en.wikipedia.org/wiki/French_Revolution الثورة الفرنسية
10. http://en.wikipedia.org/wiki/Helena_(empress) سانت هيلانة
11. http://en.wikipedia.org/wiki/Iran%E2%80%93Iraq_War. الحرب العراقية الإيرانية
12. http://en.wikipedia.org/wiki/Janissaries الانكشارية
13. http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_Christian_preachers الخطباء في أمريكا
14. http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_colleges_and_universities_in_metro politan_Boston بوسطن
15. http://en.wikipedia.org/wiki/Mohamed_Bouazizi محمد بوعزيزي
16. http://en.wikipedia.org/wiki/Paris_Commune كومونة باريس
17. http://en.wikipedia.org/wiki/Revolutions_of_1848 الربيع الأوروبي
18. http://en.wikipedia.org/wiki/State_terrorism إرهاب الدولة
19. http://en.wikipedia.org/wiki/Terrorism الإرهاب

20. http://en.wikipedia.org/wiki/Watergate_scandal فضيحة ووتركيت
21. https://ar.wikipedia.org/wiki/سجن _ المطبق
22. https://en.wikipedia.org/wiki/Hasan_al-Utrush الحسن الأطروش
23. https://en.wikipedia.org/wiki/Bob_Woodward بوب وودوورد

المواقع الألكترونية

1. http://en.wikipedia.org/wiki/Human_rights_in_Saddam_Hussein%27s_Iraq انتهاك حقوق الانسان في العراق
2. http://en.wikipedia.org/wiki/Iraqi_insurgency_(2003%E2%80%9311). المنظمات المسلحة في العراق
3. http://files.amnesty.org/air12/air_2012_full_ar.pdf تقرير منظمة حقوق الانسان
4. http://imamsadeq.com/ar/index/book?bookID = 127&page = 15 الثائر طباطبا
5. http://iq.one.un.org/documents/230/UNESCO%20Literacy%20Leaflet%20%28ENG%29.pdf نسب الأمية في العراق
6. http://islamicbooks.info/H-27-Arabic-Authors/Al-Obaidi-37-Ashuraa-Principles.htm. كتب الحكم في الاسلام
7. http://saddamscruelty.blogspot.com/2009/02/blog-post_9746.html اعـــــدام الأقارب
8. http://saddamscruelty.blogspot.com/2009/02/blog-post_9746.html قوانين صدام
9. http://www.alhakeem-iraq.net/print.php?id = 97 السجينات في العراق
10. http://www.aljazeera.net/programs/forwomenalone/2004/6/4/ حقوق السجينات في الوطن العربي
11. http://www.alkhaledoon.com/showthread.php?t = 58119 حسن القبانجي
12. http://www.alnoor.se/article.asp?id = 44752 سجن الفضيلية
13. http://www.alnoor.se/article.asp?id = 44752. سجون العراق
14. http://www.alshuhadaa.com/ مؤسسة الشهداء العراقيين
15. http://www.alshuhadaa.com/readtxt2129.htm سلوى البحراني
16. http://www.alsiraj.org/blog/archives/225 الخطباء في التأريخ
17. http://www.cihlhr.org/home/2010-05-12-22-51-25/2010-04-03-23-11-35/122-2010-04-03-23-06-45.html حقوق السجين السياسي
18. http://www.gilgamish.org/printarticle.php?id = 23730 قوانين إعدام العائلة
19. http://www.inciraq.com/pages/view_paper.php?id = 200912024 الشعبة الخامسة
20. http://www.kitabat.info/subject.php?id = 17260 عصام شبر

21. http://www.ppf.gov.iq/. مؤسسة السجناء العراقيين

22. http://wwwallafblogspotcom.blogspot.com/2013/06/1921-2003.html نساء كتبن عن أزواجهن

23. https://www.facebook.com/ResalatalhusainPage/posts/302090739855293 الخطباء المعدومين

الكتب الأجنبية

1. Fischer, Michael: Iran from Religious dispute to Revolution p: 123-133. Cambridge, Massachusset, Harvard University Press. 1980.
2. Stephen Longrigg, Iraq, 1900 to 1950 (Oxford, 1953), 25.
3. Vally, Nasr:The Shia Revival: How Conflicts Within Islam will Shape the Future. Publisher: W. W. Norton & Company, 2007.

وثيقة رقم 1

حزب البعث العربي الاشتراكي — امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة

المكتب العسكري

الرقم / م/ ٧٨/ ٢٢٠٠١

التاريخ / ١٩ / ٨ / ١٩٨١

قررت القيادة القطرية بجلستها المنعقدة بتاريخ ١١/ ٨/ ١٩٨١ اعتماد الضوابط التالية بشأن التعامل مع ذوي المعاقبين حزبيا وقانونيا :ـ

اولا / هناك عناصر تعاقب او عوقبت سابقا وهم ليسوا حزبيين في حزب البعث العربي الاشتراكي وهناك عناصر تعاقب او سبق معاقبتها وهي كانت ضمن تنظيمات الحزب او من غير الحزبيين

أ ـ غير الحزبيين /

١ ـ العناصر التي عوقبت او ستعاقب في المستقبل بسبب تجسس لصالح جهة اجنبية .
٢ ـ العناصر التي عوقبت او التي ستعاقب بسبب التآمر على سلامة الثورة والحزب .

ب ـ الحزبيون /

١ ـ العناصر التي عوقبت وفصلت من الحزب والتي ستعاقب مستقبلا بسبب التجسس لصالح جهة اجنبية او الاندساس لصالح حركة سياسية معادية .
٢ ـ العناصر التي فصلت او ستفصل مستقبلا بسبب عمل تآمري على الحزب والثورة .
٣ ـ العناصر التي فصلت والتي ستفصل بسبب نشاط تكتلي ذو طابع تخريبي وانشقاقي .
٤ ـ العناصر المنشقة عن الحزب اي العناصر التي لا زالت تعمل ضمن تنظيم منشق عن الحزب ومعاد رغم صدور قرار بفصلهم سواء كانوا سابقا ضمن تنظيمات الحزب او لم يكونوا اصلا ضمن تنظيماته

ثانيا / الاجراءات القانونية او الحزبية والادارية والى درجة من القربى يشمل بصفة ذوي العناصر الواردة في اولا وفصل المرتبطين بالحزب منهم .

أ ـ اخوة المعاقبين .
ب ـ اخوات المعاقبين .
ج ـ ابناء المعاقب (بنين وبنات)
د ـ ابناء الاخ
هـ ـ زوجة المعاقب
و ـ نساء المحكومين بالاعدام وابناء الاخت او الاعمام او الاخوال يتخذ بين كوثر لتقرير الحالة والتأثير التبادلي من المحكوم والمعدومين وفق ما تقدره
ز ـ اذا ارتأت المنظمة الرأسية بالمحافظة اجراء باستثناء من الحالات الواردة من اولى داخل تسلسه ان تقدم تقريرا خطيا الى القيادة تبين مبرراتها باستثناء الحالة .

ثالثا / المشمولون ذوي المعاقبين / الوارد مستوى ارتباطهم (العائلي) في ثانيا اعلاه هي /
أ ـ منع تنظيمهم في الحزب وفصل المرتبطين منهم بالحزب حاليا .
ب ـ عدم قبولهم في الكليات والمعاهد والمدارس ذات العلاقة بالقوات المسلحة بما في ذلك المخابرات واجهزة الامن الداخلي .
ج ـ عدم قبولهم في الكليات والمعاهد المقرر قبولها للحزب والحزبيين فقط .
د ـ الزمالات والدراسات العليا خارج القطر .
هـ ـ عدم توظيفهم في المراكز الحساسة وابعاد الموجودين منهم حاليا وهي
١ ـ المؤسسة الاعلامية الثقافية .
٢ ـ الطيارين ومؤسسة الطيران
٣ ـ وزارة الخارجية وامانة سر القطر وامانة مجلس قيادة الثورة والمكاتب التابعة لمجلس قيادة الثورة برئاسة الجمهورية ومجلس الوزراء .
و ـ عدم توظيفهم في الممثليات العراقية خارج القطر .

وثيقة رقم 2

بسم الله الرحمن الرحيم

قادسية صدام

سري وشخصي

الكتيبة الساحلية الثانية
(حضيرة الأمن)
العدد / س ش /
التاريخ ٧ / ٨ / ١٩٨٤

الى / بعث م. بط ١ . بط ٢ . ب ٠٢٠ ط ق ص . ر ع فا تق م / ٢٢٢

الموضوع / تعميم

كتاب مديرية الاستخبارات العسكرية العامة السري والشخصي ١٠٧١٨ في ١٩٨٤/٧/٤ المبلغ الينا بكتاب شعبة الاستخبارات والاستطلاع البحري السري والشخصي ٦٢٤ في ١٩٨٤/٧/٢٩ . أدناه الضوابط المتخذة بحق ذوي الهاربين الى جانب العدو الفارسي والقطاعين المدني والعسكري . نرجو الاطلاع مع تعميمكم عليها .

١ . اذا كان المجرم الهارب متزوج فيتم حجز زوجته واطفاله .

٢ . اذا لم يكن متزوج يتم حجز والده ووالدته او الشخص المؤثر في العائلة في حالة وفاة والديه .

حجز اشقاء الهارب من العسكريين .

المقدم

آمر الكتيبة الساحلية الثانية

وثيقة رقم 3



الرئيس صدام يقلد الوالد الذي قتل ابنه وسام الرافدين عام ١٩٨٦

الفهرست

هذا الكتاب

قلت لابنتي وأنا أودعها وهم يسحبونني الى سيارة المخابرات:

إذا حدث لي شيء ما، أريدكم أن تعرفوا:

أن النظام لا يخاف من المعتقلين، ولكنه يخاف من

أولئك الذين لا ينسون المعتقلين.

❖❖❖

كتبت كتابي هذا وأنا في نهاية مطاف عمري بعد أن نيّفت على الثمانين....

فقد عشت كثيراً........

أكتب كتابي لكي ألاقي ربي وحيدة (وكل آتيه يوم القيامة فردا)......

وأنا في موتي فخورة بأنني صرت فرعاً من سلالة بنات الرسالة زينب الكبرى....

❖❖❖

ليس كتابتي لكي يشفقوا عليّ الناس أو يغمروني بعجبهم....

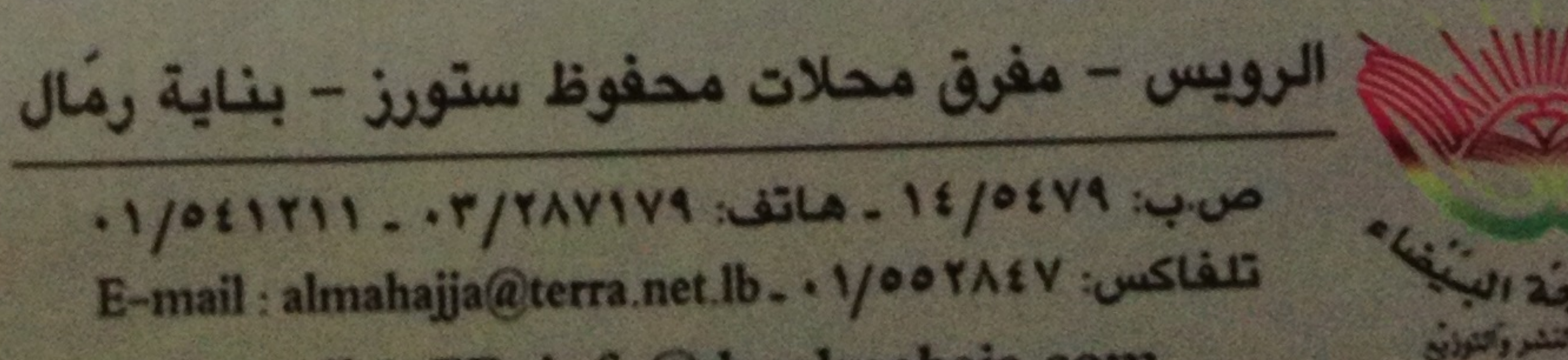
وليس الكتاب للفخر لما عانيته من مصاعب ومحن....

وإنما كتبته لأنني أحمل رسالة...

والرسالة هي دينٌ عليّ. وعليكن أنتن من بقين بعدي من بناتي وأجيال هذه الأمة...

❖❖❖

قبل أن أسلم روحي الى بارئها. سطّرت ما أتمكن من أن أتذكره عام ونصف في سجون الطغاة.



دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail : almahajja@terra.net.lb

E-mail & FB: info@daralmahaja.com